

# العوامل من القواصم

في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي

للإمام القاضي الفقيه

أبي بكر بن محمد بن العربي المالكي

(٤٦٨-٥٤٣ هـ)

تحقيق

مصطفى أبو المعاطي

دار الغد الجديد

# الْعَوَاصِمُ مِنَ الْقَوَاصِمِ

فِي تَحْقِيقِ مَوَاقِفِ الصَّحَابَةِ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ

لِلْإِمَامِ الْقَاضِي الْفَقِيهِ  
أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْعَرَبِيِّ الْمَالِكِيِّ  
(٤٦٨ - ٥٤٣ هـ)

تَحْقِيقُ  
مُصْطَفَى أَبِي الْمَعَاظِلِيِّ

دَارُ الْعِلْمِ الْجَدِيدِ

## مقدمة التحقيق

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فبين يديك أخا الإسلام كتاب من أنفس كتب التراث لإمام من كبار أئمة المسلمين في مسألة من مسائل الدين العظمى .

إنه كتاب ( العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ ) . للإمام القاضي أبي بكر بن العربي .

وهذه المسألة العظيمة التي بحثها المؤلف في هذا الكتاب من أمهات المسائل التي ضل بسبب الجهل بها خلق كثيرون . وثبت الله أهل الحق بما هداهم إلى معرفته من كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ ومعرفتهم لقدر سلفهم الصالح رضى الله عنهم أجمعين .

وقد طبع هذا الكتاب المبارك عدة طبعات أشهرها وأفضلها الطبعة التي علق عليها الشيخ العلامة محب الدين الخطيب رحمه الله . وخرج أحاديثها وعلق عليها الشيخ الفاضل / محمود مهدى الاستانبولي .

وقد عهد إلى بالاعتناء بالكتاب . ومراجعته وتحقيق أحاديثه .

فقمتم بذلك حسب الأنشطة الآتية :

- ١ - مراجعة الكتاب على عدة نسخ مطبوعة حتى يتسنى لنا ضبط المتن .
- ٢ - الإبقاء على الحواشي التي وضعها الشيخ محب الدين الخطيب . وبعض حواشي الشيخ الاستانبولي .
- ٣ - تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها من كتب السنة وذكر درجتها من الصحة .
- ٤ - الإبقاء على الملاحق التي وضعها الشيخ الاستانبولي مع الإضافة إليها .

خير هذه الأمة بعد نبيها : أبو بكر ثم عمر .

ويثلاثون بعثمان ويربعون بعلى عليه السلام كما دلت عليه الآثار وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة .

مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلى عليه السلام بعد اتفاقهما على تقديم أبى بكر وعمر أيهما أفضل ؟ فقدّم قوم عثمان وسكتوا أو ربّعوا بعلى .  
وقدّم قوم عليا . وقوم توقفوا .

لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم على .

- وإن كانت هذه المسألة - مسألة عثمان وعلى - ليست من الأصول التي يُضَلَّل فيها المخالف عند جمهور أهل السنة .  
لكن التي يُضَلَّل فيها مسألة الخلافة .

وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على (١) .

ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله .

- ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم .

ويحفظون فيهم وحدة رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدیر خم : « أذكركم الله في أهل بيتي » (٢) .

وقال أيضاً للعباس عمه وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يحفو بنى هاشم فقال ﷺ :  
« والذي نفسى بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرايتى » (٣) . وقال : « إن الله اصطفى بنى إسماعيل واصطفى من بنى إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشاً . واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم » (٤) .

(١) قال شيخنا ابن عثيمين في شرح الواسطية (٢/٢٧٢) : ( وهذا ما أجمع عليه أهل السنة في مسألة الخلافة ) .

(٢) رواه مسلم (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم .

(٣) إسناده ضعيف : رواه أحمد في ( المسند ) ( ٢٠٧/١ ) وفي فضائل الصحابة ( ١٧٥٧ ) بنحوه من طريق يزيد ابن أبى زياد وهو ضعيف .

(٤) رواه مسلم (٢٢٧٦) ، والترمذى (٣٦٠٩ ، ٣٦١٢) من حديث واثلة بن الأسقع .



- ويقولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين .

ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة خصوصا خديجة (رضي الله عنها) أم أكثر أولاده . وأول من آمن به وعاضده على أمره وكان لها منه المنزلة العالية . والصديقة بنت الصديق (رضي الله عنها) .

والتي قال فيها النبي ﷺ : « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » (١) .

- وينبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل .

- ويمسكون عما شجر بين الصحابة . ويقولون : إن هذه الآثار المروية في مساوئهم منها ما هو كذب . ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه الصريح والصحيح منه هم فيه معذرون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره . بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة .

ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم لأن لهم من الحسنات التي تحو السيئات ما ليس لمن بعدهم وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون وأن المدة من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم .

ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه . أو أتى بحسنات تحوه . أو غفر له بفضل سابقة . أو بشفاعه محمد ﷺ الذين هم أحق الناس بشفاعته . أو ابتلى ببلاء في الدنيا كفر به عنه .

فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين : إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطؤوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور .

ثم إن القدر الذي يُنكر من فعل بعضهم قليل نذر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم :

(١) رواه البخاري (٣٧٦٩) ومسلم (٢٤٣١) عن أبي موسى الأشعري .

### فضيلة الصحابة رضي الله عنهم (\*)

فى هذا الزمان الذى غابت فيه القدوة الصالحة . وتنكب الناس طرق الهدى وتنكر كثير منهم لأهل الفضل يحسن بنا أن نتوقف قليلاً مع خير جيل شهدته الدنيا - بعد الأنبياء - إنه جيل الإيمان والتوحيد - إنه جيل العبادة والإخلاص - إنه جيل العدل والوفاء - إنه جيل الصبر والصمود . إنه جيل الجهاد والجلاد - إنه . . . إنه جيل الصحابة الكرام .

ذلكم الجيل الفريد الذى عاش الإسلام . نعم عاش الإسلام بكماله وشموله . علم فاستقام له العلم . وفهم فحسن منه الفهم .

( إنه الجيل الذى تم فيه اللقاء بين المثال والواقع فترجم مثاليات الإسلام إلى واقع وارتفع بالواقع البشرى إلى درجة المثال . . ونحن فى حاجة ملحة لأن نتعرف على هذا الجيل لنعرف مكان الأسوة لنا فيه فى واقعنا المعاصر ولنقيس على ضوئه مدى قربنا وبعدها عن حقيقة الإسلام ؟ ) (١) .

- لقد طلب الله سبحانه من المسلمين أن يتأسوا برسول الله ﷺ وأن يقتفوا أثر ذلك الجيل الفريد ويصلوا أنفسهم به .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [ الاحزاب ] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوْقِ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [ النساء ] . وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [ الحشر ] .

- إن هذا الجيل الفريد الذى صنع الله به للإسلام مجداً وعزاً من الممكن أن يتكرر فى واقع الحياة إذا سار اللاحق على هذا الدرب مع أن فضل الصلحة لا يدرك .

(٥) عن كتابي ( العشرة المبشرون بالجنة ) ص ٤ - ١١ .

(١) واقعنا المعاصر للأستاذ محمد قطب ص ١٥ .

- وإن من حق هذا الجيل ( جيل الصحابة ) علينا أن نحبه ونواليه ونعرف له فضله وهذا من صلب عقيدة المسلمين التي يتميز بها أهل السنة من أهل البدعة . فحب الصحابة دين وإيمان وسب الصحابة ويغضهم ضلال وهوان .

ومن هو الصحابي :

**الصحابي :** هو من لقي النبي ﷺ فيدخل في ذلك كل من لقي النبي ﷺ وطالت مجالسته من روى عن النبي ﷺ ومن لم يرو . ومن غزا معه أو من لم يغز ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه . ومن لم يره لعارض كالعمى ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافرًا ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى (١) .

عدد الصحابة :

لقد صحب النبي ﷺ عدد كبير جدًا من الصحابة رضي الله عنهم . يقول أبو زرعة الرازي : ( توفي النبي ﷺ . ومن رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف إنسان من رجل وامرأة كلهم قد روى عنه سماعًا أو رؤية ) (٢) .

عدالة الصحابة :

الصحابة كلهم عدول ثقات أثبات فالله سبحانه هو الذي عدّ لهم وأخبر عن طهارتهم وزكاهم نبيه ﷺ وبين فضلهم . وكيف لا يكونون بتلك المكانة وهم صفوة الله من خلقه الذين اصطفاهم لصحبة نبيه ﷺ .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : ( إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالاته . ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن . وما رأوه سيئًا فهو عند الله سيئ ) (٣) .

(١) الإصابة لابن حجر (١/١٠) .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٣٠٩/٥) .

(٣) حسن : رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٦٠٠) موقوفًا .

وجل : ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ (١) ونحوه قال ابن الجوزي فى تفسير آية الفتح ( محمد رسول الله ) . قال : هذا الوصف لجميع الصحابة عند الجمهور - زاد المسير ٨ / ٤٤٩ ) .

٦- وقال تعالى : ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٧) ﴿ [ التوبة ] .

وقد حضر غزوة تبوك جميع من كان موجوداً من الصحابة إلا من عذر الله من النساء والعجزة . أما الثلاثة الذين خَلَفُوا فقد نزلت توبتهم بعد ذلك (٢) .

- وهناك آيات آخر فى تركية الصحابة منها : قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٧٤) ﴿ [ الأنفال ] .

وقوله تعالى : ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٨٩) ﴿ [ التوبة ٨٨ ، ٨٩ ] (٣) .

(١) الفصل ٤ / ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٢) إعتقاد أهل السنة فى الصحابة للشيخ محمد بن عبد الله الوهيى ص ١٩ .

(٣) وانظر أيضاً سورة الفتح آية (٢٦) وسورة الحجرات (٧) .

## الأحاديث فى فضل الصحابة وعدالتهم

١ - عن أبى سعيد قال . كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شىء فسيبه خالد . فقال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا أحداً من أصحابي . فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه » (١) .

والنصيف : هو النصف .

قال ابن تيمية : « وكذلك قال الإمام أحمد وغيره : كل من صحب النبى ﷺ سنة أو شهراً أو يوماً أو رآه مؤمناً به فهو من أصحابه له من الصحبة بقدر ذلك .

- فإن قيل : فلم نهى خالداً عن أن يسب أصحابه إذ كان من أصحابه أيضاً ؟ وقال : « لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه » ؟

قلنا : لأن عبد الرحمن بن عوف ونظراءه من السابقين الأولين الذين صحبوه فى وقت كان خالد وأمثاله يعادونه فيه وأنفقوا أموالهم قبل الفتح وقاتلوا وهم أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى فقد انفردوا من الصحبة بما لم يشركهم فيه خالد ونظراؤه ممن أسلم بعد الفتح الذى هو صلح الحديبية وقاتل . فنهى أن يسب أولئك الذين صحبوه قبله ومن لم يصحبه قط نسبته إلى من صحبه كنسبة خالد إلى السابقين وأبعد (٢) .

٢- وقال ﷺ لعمر : « وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » (٣) .

قيل : المعنى أن أعمالهم السيئة تقع مغفورة فكانها لم تقع (٤) .

وقال النووى : قال العلماء : معناه الغفران لهم فى الآخرة وإلا فإن توجب على أحد منهم حد أو غيره أقيم عليه فى الدنيا . ونقل القاضى عياض الإجماع على إقامة الحد

(١) رواه البخارى فى كتاب فضائل أصحاب النبى برقم (٣٦٧٣) ، ومسلم فى الفضائل (٢٥٤١) واللفظ له .

(٢) الصارم المسلول ص ٥٧٦ .

(٣) رواه البخارى (٣٩٨٣) ، ومسلم (٢٤٩٤) .

(٤) معرفة الخصال المكفرة لابن حجر ص ٣١ .

## ترجمة المؤلف

### القاضي أبي بكر بن العربي

اسمه ونسبه ومولده :

هو الإمام القاضي محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري الإشبيلي المعروف بابن العربي المالكي . يكنى أبا بكر .

ولد : ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة ٢٢ شعبان سنة ٤٦٨ هـ ( ٣١ مارس ١٠٧٦ م ) .

وكان مولده بمدينة إشبيلية في أحضان أسرة كانت لها حظوة لدى المعتمد بن عباد في عصر دول الطوائف .

وقد كان أبوه من فقهاء بلدة إشبيلية ورؤسائها سمع في بلده من أبي عبد الله بن منظور وأبي محمد بن خزرج .

وبقرطبة من أبي عبد الله محمد بن عتاب . وأبي مروان بن سراج .  
وحصلت له عند أصحاب إشبيلية رئاسة ومكانة .

فلما انقضت دولتهم خرج إلى الحج مع ابنه القاضي أبي بكر يوم الأحد مستهل شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وأربعمائة وسنُّ القاضي أبي بكر إذ ذاك نحو سبعة عشر عاماً .

رحلته العلمية :

\* وقد كان القاضي أبو بكر قد تأدب ببلده وقرأ القراءات فلقى بمصر أبا الحسن الخلعى . وأبا الحسن بن مشرف . ومهديا الوراق ، وأبا الحسن بن داود الفارسي .

ولقى بالشام : أبا نصر المقدسي ، وأبا سعيد الزنجاني ، وأبا حامد الغزالي ، وأبا سعيد الرهاوي ، وأبا القاسم بن أبي الحسن المقدسي ، والإمام أبا بكر الطرطوشي ، وتفقّه عنده ، وأبا محمد هبة الله بن أحمد الأكفاني وأبا الفضل بن الفرات الدمشقي .

ودخل بغداد وسمع بها من أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار الصيرفي المعروف بابن

الطيورى . ومن أبى الحسن على بن أيوب البزار ومن أبى بكر بن طرخان ، ومن النقيب الشريف أبى الفوارس طراد بن محمد الزينى ، وجعفر بن أحمد السراج . وأبى الحسن بن عبد القادر وأبى زكريا التبريزى . وأبى المعالى ثابت بن بندار الحمامى .

- وحج فى موسم سنة تسع وثمانين . وسمع بمكة من أبى على الحسين بن على الطيرى وغيرهم من العلماء والأدباء . فدرس عندهم الفقه والأصول . وقيد الحديث . واتسع فى الرواية وأتقن مسائل الخلاف والأصول والأحكام على أئمة هذا الشأن من هؤلاء وغيرهم .

- ثم صدر عن بغداد إلى الأندلس . فأقام بالإسكندرية عند أبى بكر الطرطوشى . فمات أبوه بها أول سنة ثلاث وتسعين .

ثم انصرف هو إلى الأندلس سنة خمس وتسعين ( وقيل : سنة ثلاث وتسعين ) .  
- وقدم بلده إشبيلية بعلم كثير لم يأت به أحد قبله من كانت له رحلة إلى المشرق .  
وقد ذكر فى بعض كتبه بعض ما أفاد من هذه الرحلة .

- وكان رحمه الله من أهل التفنن فى العلوم والاستبحار فيها والجمع لها متقدما فى المعارف كلها متكلماً فى أنواعها نافذاً فى أحكامها وحريصاً على آدائها ونشرها . ثاقب الذهن فى تمييز الصواب منها .

- وكان يجمع إلى ذلك كله : آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة ولين الجانب وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الود .

وسكن بلده . وشوور فيه وسمع . ودرس الفقه والأصول وجلس للوعظ والتفسير ورحل إليه للسمع .

توليته القضاء :

تولى الإمام أبو بكر القضاء ببلده فنفع الله به أهلها لصرامته وشدته ونفوذ أحكامه وكانت له فى الظالمين صولة مرهوبة وتؤثر عنه فى قضائه أحكام تدل على عقله الراجح واطلاعه الواسع وإيمانه الراسخ .

- ثم صرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم ببيته فى الناس وتدرسه لمن يطلبه .

٢ - وقال رحمه الله : كنت بمكة مقيماً في سنة ٤٨٩ هـ وكنت أشرب من ماء زمزم كثيراً وكلما شربته نويت العلم والإيمان ففتح الله لى ببركته فى المقدار الذى يسره لى من العلم ونسيت أن أشربه للعمل<sup>(١)</sup> . وياليتنى شربته لهما حتى يفتح الله لى فيهما ولم يقدر فكان صفوى للعلم أكثر منه للعمل وأسأل الله الحفظ والتوفيق برحمته .

٣ - ومنها قوله : حكاية عن الجوهرى أنه كان يقول : ( إذا أمسكت عُلَاقَةَ الميزان بالإيهام والسبابة وارتفعت سائر الأصابع كان شكلها مقروءاً بقولك : ( الله ) فكانها إشارة منه سبحانه لتيسير الوزن إلى أن الله سبحانه مطلع عليك فاعدل فى وزنك ) ا.هـ .

(١) هذا من تواضعه رحمه الله .



### مؤلفاته

وقد ترك الإمام القاضى أبو بكر بن العربى عدة كتب ومؤلفات وتصانيف نافعة تدل على تضلعه فى العلم من أهمها :

- ١- أحكام القرآن .
- ٢- كتاب المسالك فى شرح موطأ مالك
- ٣- القبس على موطأ مالك بن أنس .
- ٤- عارضة الأحوذى على كتاب الترمذى .
- ٥ - العواصم من القواصم .
- ٦- المحصول - فى أصول الفقه .
- ٧- سراج المريدين فى سبيل المهتدين .
- ٨- كتاب المتوسط .
- ٩- كتاب المشكلين .
- ١٠ - تأليف فى حديث أم زرع .
- ١١ - الناسخ والمنسوخ .
- ١٢- تخليص التخليص .
- ١٣- القانون فى تفسير القرآن .
- ١٤- أنوار الفجر فى تفسير القرآن .
- ١٥ - ملجئة المتفقهين إلى معرفة غوامض النحويين واللغويين .
- ١٦- قانون التأويل .
- ١٧- المقتبس فى القراءات .
- ١٨ - كتاب النيرين فى الصحيحين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقديم للشيخ محمود مهدى الاستانبولى

### حفظه الله

إن المسلمين - بل الإنسانية كلها - أشد ما كانوا اليوم حاجة إلى معرفة فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ، وكرم معدنهم ، وأثر تربيته فيهم ، وما كانوا عليه من علو المنزلة التى صاروا فيها « الجيل المثالى » الفذ فى تاريخ البشر .

وشباب الإسلام معذورون إذ لم يحسنوا التأسى بالجيل المثالى فى الإسلام ؛ لأن أخبار أولئك الأخيار قد طرأ عليها من التحريف والأغراض والبتير والزيادة وسوء التأويل فى قلوب شحنت بالغل على المؤمنين الأولين ، فأنكرت عليهم حتى نعمة الإيمان !!

وقد أصبح من الفرض الدينى والقومى والوطنى على كل من يستطيع « تصحيح تاريخ صدر الإسلام » أن يعتبر ذلك من أفضل العبادات ، وأن يبادر له ، ويجهده فيه ما استطاع إلى أن يكون أمام شباب المسلمين مثال صالح من سلفهم يقتدون به ، ويجددون عهده ، ويصلحون سيرتهم بصلاح سيرته (١) .

وهذا التوجيه يذكرنا بأثر ورد عن الصحابي الجليل « جابر بن عبد الله » « إذا لعن آخر هذه الأمة أولها ، فمن كان عنده علم فليظهره ، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد ﷺ ! » .

وقد كان أول من سارع إلى القيام بهذا الواجب العلامة القاضى « أبو بكر بن العربى » رحمه الله فى كتابه العظيم : « العواصم من القواصم فى تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى ، وتبرئتهم مما نسب إليهم الملاحدة والمفسدون والمضللون » .

وقد كشف فى هذا الكتاب عن نور الحق ، وخذل الباطل ، فإذا هو زاهق وأضاء

بأعينهم عدل عمر ، وزهده فى متع الدنيا ، وإنصافه لجميع الناس ، لم يستطع أن يمنع الحقد الذى فى فؤاده على الإسلام من أن يدفعه إلى طعنه بالسكين دون أن يسىء إليه . وفى قوم طاعن<sup>(١)</sup> عمر بالسكين من يؤلفون المؤلفات إلى يومنا هذا فى تشويه حسنات هذا المثل الأعلى للعدل والإنسانية والخير وفى عصر عثمان<sup>(\*)</sup> من ضاقت صا ورهم بطيبة ذلك الخليفة الذى خلق قلبه من رحمة الله ، فاخترعوا له ذنباً ، ومازالوا يكررونها على قلوبهم حتى صدقوها ، وتفتنوا فى إذاعتها ، ثم استحلوا سفك دمه الحرام ، فى الشهر الحرام ، بجوار قبر أبى زوجته محمد عليه الصلاة والسلام . وما برحت الإنسانية تشاهد المعجزات من رجالات الإسلام فى نشره وإدخال الأمم فيه وتوسيع النطاق فى الآفاق لكلمة « الله أكبر .. حى على الفلاح » حتى نودى بها على جبال السند ، وفى ربوع الهند ، وعلى سواحل المحيط غرباً ، وفى أودية أوروبا وجبالها ، بما لم يملك أن يصفه حتى أعداء الإسلام إلا بأنه معجزة . كل هذا فى زمن هذه الدولة الأموية التى لو صدر عن المجوس ، وعبد الأوثان ، عشر ما صدر عنها من الخير ، وجزء من مائة جزء مما أثار عن رجالها من إنصاف ومروءة وكرم وشجاعة وإيثار وفصاحة ونبل ، لرفعوا لأولئك المجوس والوثنيين أُلوية الثناء والتقدير فى الخافقين . والتاريخ الصادق لا يريد من أحد أن يرفع لأحد لواء الثناء والتقدير ، لكنه يريد من كل من يتحدث عن رجاله أن يذكر لهم حسناتهم على قدرها ، وأن يتقى الله فى ذكر سيئاتهم فلا يبالغ فيها ولا ينخدع بما افتراه المغرضون من أكاذيبها .

نحن المسلمين لا نعتقد العصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ ، وكل من ادعى العصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ فهو كاذب ، فالإنسان إنسان ، يصدر عنه ما يصدر عن الإنسان ، فيكون منه الحق والخير ، ويكون منه الباطل والشر ، وقد يكون الحق والخير فى إنسان بنطاق واسع فيعد من أهل الحق والخير ، ولا يمنع هذا من أن

(١) (١٢٧) يحتفل بعض الزنادقة من كل عام فى اليوم الذى استشهد فيه الخليفة عمر على يد المجوسى أبى لؤلؤة الذى يعطونه لقب « باب شجاع » !! فيا للخيانة الشنيعة والحقد الدفين !! (م) .

(\*) أن عصر عثمان ؓ هو من أسعد وأعظم العصور الإسلامية برخائه وفتوحاته العظيمة وقد حاول تشويهه أناس لا دين لهم وأوضحنا ذلك فى الصفحات المقبلة .

تكون له هفوات . وقد يكون الباطل والشر فى إنسان آخر بنطاق واسع ، فيعد من أهل الباطل والشر ، ولا يمنع هذا من أن تبدر منه بوارد صالحات فى بعض الأوقات .

يجب على من يتحدث عن أهل الحق والخير إذا علم لهم هفوات ، أن لا يسىء ما غلب عليهم من الحق والخير فلا يكفر ذلك كله من أجل تلك الهفوات . ويجب على من يتحدث عن أهل الباطل والشر إذا علم لهم بوارد صالحات ، أن لا يوهم الناس أنهم من الصالحات من أجل تلك الشوارد الشاذة من أعمالهم الصالحات .

إن أحداث المائة الأولى من عصور الإسلام كانت من معجزات التاريخ ، والعمل الذى عمله أهل المائة الأولى من ماضينا السعيد لم تعمل مثله أمة الرومان ، ولا أمة اليونان قبلها ، ولا أمة من أمم الأرض بعدها .

أما أبو بكر وعمر ، وسائر الخلفاء الأربعة الراشدين ، وإخوانهم من العشرة المبشرين بالجنة ، وطبقتهم من أصحاب رسول الله ﷺ ، خصوصاً الذين لازموه وراقبوه وتمتعوا بجميل صحبته - من أنفق منهم من قبل الفتح وقاتل ، والذين أنفقوا من بعد وقاتلوا - فإنهم جميعاً كانوا شموساً طلعت فى سماء الإنسانية مرة ، ولا تطمع الإنسانية بأن يطلع فى سمائها شمس من طرازهم مرة أخرى ، إلا إذا عزم المسلمون على أن يرجعوا إلى فطرة الإسلام ، ويتأدبوا بأدبه من جديد ، فيخلق الله منهم خلقاً آخر يعيش للحق والخير ، ويجاهد الباطل والشر ، حتى تعرف الإنسانية طريقها الحقيقى إلى السعادة . وهذه الشمس من أصحاب رسول الله ﷺ تتفاوت أقدارها ، وتباین فى أنواع فضائلها ، إلا أنها كلها كانت من الفضائل من مرتقى درجاتها . وإذا بدأ المشتغلون بتاريخ الإسلام من أفاضل المسلمين فى تمييز الأصل من الدخيل من سيرة هؤلاء الأفاضل العظماء ، فإنهم ستأخذهم الدهشة لما اخترعه إخوان أبى لؤلؤة ، وتلاميذ عبد الله بن سبأ ، والمجوس الذين عجزوا عن مقاومة الإسلام وجهاً لوجه فى قتال شريف ، فادعوا الإسلام كذبا ، ودخلوا قلعته مع جنوده خلسة ، وقاتلوهم بسلاح ( التقية ) بعد أن حولوا مدلولها إلى النفاق ، فأدخلوا فى الإسلام ما ليس منه ، وألصقوا بسيرة رجاله ما لم يكن فيها ولا من

سجية أهلها . وبهذا تحولت أعظم رسالات الله وأكملها إلى طريقة من الخمول والعطالة والجمود كان من حقها أن تقتل الإسلام والمسلمين قتلا ، لولا قوة الحيوية الخارقة التي في الإسلام ، وهى التى يرمى إذا رجعنا إليها ، وجردناها من الطوارئ عليها ، وخلصنا سيرة رجالها عما شئت به ، وسرنا فى طريقهم مخلصين : أن نعود مسلمين من ذلك الطراز الأول كما كان فى الواقع ، لا كما أراد مبغضو الصحابة والتابعين لهم بإحسان أن يعرضوه على الناس .

ونحن بتقديمنا هذه الحقائق من قلم الإمام ابن العربى ، أو من النصوص الأصلية التى علقنا بها عليها ، إنما أردنا عكس ما يريد المتعرضون لهذه البحوث من ترديد خلافات عفى عليها الزمن . والصحابة كانوا أسمى أخلاقاً وأصدق إخلاصاً لله وترفعاً عن خسائس الدنيا من أن يختلفوا للدنيا ، لكن كان فى عصرهم من الأيدى الخبيثة التى عملت على إيجاد الخلاف وتوسيعه ، مثل الأيدى الخبيثة التى جاءت فيما بعد فصورت الوقائع بغير صورتها . ولما كان أصحاب رسول الله ﷺ هم قدوتنا فى ديننا ، وهم حملة الكتاب الإلهى والسنة المحمدية إلى الذين حملوا عنهم أماناتها حتى وصلت إلينا ، فإن من حق هذه الأمانات على أمثالنا أن ندرأ عن سيرة حفظتها الأولين كل ما ألصق بهم من إفك ظلماً وعدواناً ، لتكون صورتهم التى تعرض على أنظار الناس هى الصورة النقية الصادقة التى كانوا عليها ، فتحسن القدوة بهم ، وتطمئن النفوس إلى الخير الذى ساقه الله للبشر على أيديهم . وقد اعتبر فى التشريع الإسلامى أن الطعن فى الدين الذى هم رواه ، وتشويه سيرتهم تشويه للأمانة التى حملوها ، وتشكيك فى جميع الأسس التى قام عليها كيان التشريع فى هذه الملة الخفيفة السمحة . وأول نتائجه حرمان شباب الجيل ، وكل جيل بعده ، ومن القدوة الصالحة التى من الله بها على المسلمين ليتأسوا بها ، ويواصلوا حمل أمانات الإسلام على أثارها ، ولا يكون ذلك إلا إذا ألموا بحسناتهم ، وعرفوا كريم سجايهم ، وأدركوا أن الذين شوهوا تلك الحسنات وصوروا تلك السجاي بغير صورتها ، إنما أرادوا أن يسيئوا إلى الإسلام نفسه بالإساءة إلى أهله الأولين . وقد آن لنا أن ننتبه من هذه الغفلة فنعرف لسلفنا أقدارهم لنسير فى حاضرنا على هدى ونور من سيرتهم

الصحيحة وسريرتهم النقية الطاهرة .

وهذا الكتاب الذى ألفه عالم من كبار أئمة المسلمين بيئاً لما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ من صفات الكمال وادحاضاً لما ألصق بهم وبأعوانهم من التابعين لهم بإحسان ، يصلح على صغره لأن يكون صيحة من صيحات الحق توقظ الشباب المسلم إلى هذه الدسيسة التى دسها عليهم أعداء الصحابة ومبغضوهم ، ليتخذوها نموذجاً لأمثالها من الدسائس ، فيتفرغ الموفقون إلى الخير منهم لدراسة حقيقة التاريخ الإسلامى ، واكتشاف الصفات النبيلة فى رجاله ، فيعلموا أن الله عز وجل قد كافأهم عليها بالمعجزات التى تمت على أيديهم وأيدى أعوانهم فى إحداث أعظم انقلاب عرفه تاريخ الإنسانية ، لو كان الصحابة والتابعون بالصورة التى صورهم بها أعداؤهم ومبغضوهم لكان من غير المعقول أن تتم على أيديهم تلك الفتوح ، وأن تستجيب لدعوتهم الأهم بالدخول فى دين الله أفواجاً .

والقاضى أبو بكر بن العربى مؤلف « العواصم من القواصم » إمام من أئمة المسلمين ، ويعتبره فقهاء مذهب الإمام مالك أحد أئمتهم المقتدى بأحكامهم ، وهو من شيوخ القاضى عياض مؤلف كتاب « الشفا » فى التعريف بحقوق المصطفى ، ومن شيوخ ابن رشد العالم الفقيه والد أبى الوليد الفيلسوف ، ومن تلاميذه عشرات من هذه الطبقة كما سترى من ترجمته الآتية بعد (\*\*) وكتابه « العواصم من القواصم » من خيرة كتبه ، ألفه سنة ٥٣٦ وهو فى دور النضج الكامل بعد أن امتلأت الأمصار بمؤلفاته وتلاميذه الذين صاروا فى عصرهم أئمة يهتدى بهم . وهذا الكتاب فى جزئين متوسطى الحجم ، ومبحث الصحابة الذى نقدمه لقارئنا هو أحد مباحث جزئه الثانى ( من ص ٨ ، ٩ إلى ص ١٩٣ من طبعة المطبعة الجزائرية الإسلامية فى مدينة قسنطينة بالجزائر سنة ١٣٤٧ ) وكان قد وقف على تلك الطبعة شيخ علماء الجزائر الأستاذ عبد الحميد بن باديس رحمه الله . ومما يؤسف له أن الأصل الذى اعتمد عليه فى تلك الطبعة كان مكتوباً بقلم ناسخ غير متمكن ، فوقعت فيه تحريفات لفظية وإملائية حرصنا على ردها إلى أصلها ، بل إن النسخة المخطوطة التى طبعت عليها

طبعة الجزائر يظهر أن المجلد وضع بعض ورقاتها في غير موضعها ، فأرجعناها إلى ما دل عليه السياق في القول ، والترتيب في المسائل ، وفيما عدا ذلك التزمنا الأمانة في عرض الكتاب إلى أقصى غاية . وعلقت على كل بحث منه بما يزيده وضوحاً ، مقتبساً ذلك من أوثق المراجع وأمهات الكتب الإسلامية المعتمدة ، مبيّناً في كل نص مأخذه بكل أمانة ووضوح .

وأرجو الله أن يجزل ثواب الإمام ابن العربي على دفاعه هذا عن أصحاب رسول الله الذين حملوا معه ﷺ أعظم رسالات الله ، وكانوا أصدق أعوانه على تبليغها في حياته وبعد أن اختاره الله إليه . بل كانوا سبب كياننا الإسلامي ، ولهم ثواب انتمائنا إلى هذه الملة الخنيفية السمحة التي لا عيب لها غير تقصيرنا في التخلق بآدابها في أنفسنا ، وتعميم سننها في بيوتنا ومجتمعنا وأسواقنا ومحاكمنا ودور حكمنا . وعسى أن يكون في قراء هذا الكتاب من يعاهد الله على أن يكون خيراً منا عملاً وأصح منا علماً ، وعلي الله قصد السبيل .

محِب الدين الخطيب (٥)

العواصم من القواصم  
فى تحقيق مواقف  
الصحابه بعد  
وفاته ﷺ



## بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله [ وسلم ]

قال صالح بن عبد الملك بن سعيد :

قرأت على الإمام محمد أبى بكر بن العربى (١٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : الحمد لله رب العالمين (١٣) اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم . وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم . إنك حميد مجيد .

اللهم إنا [ نستدعى من رضاك ] المنحة ، كما نستدفع بك المحنة . ونسألك العصمة ، كما نستوهب منك الرحمة .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، ويسر لنا العمل كما علمتنا ، وأوزعنا شكر ما آتيتنا . وانهج لنا سبيلا [ تهدي ] إليك ، وافتح بيننا وبينك باباً نقدر منه عليك ، لك مقاليد السموات والأرض وأنت على كل شىء قدير .

\* \* \*

---

(١٢) هو غير ( ابن العربى ) المتصوف الذى يكتب اسمه نكرة ( م ) .

(١٣) بهذا التحميد ، والدعاء السديد ، افتتح الإمام ابن العربى الجزء الأول من كتابه (العواصم من القواصم) . فافتتحنا به هذا القسم من جزئه الثانى ( من ص ٩٨ إلى ص ١٩٣ من مطبوعة الجزائر سنة ١٣٤٧ ) وهو ما اخترنا إفراده بهذا السفر خاصاً بتحقيق مواقف الصحابة رضوان الله عليهم بعد وفاة النبى ﷺ ، كما أشرنا إلى ذلك فى تصدير الكتاب . ( خ ) .

### قاصمة الظهر

بعد أن استأثر الله بنبيه ﷺ وقد أكمل له ولنا دينه ، وأتم عليه وعلينا نعمته ، كما قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة : ٣] ؛ وما من شيء في الدنيا يكمل إلا وجاءه النقصان ، ليكون الكمال الذي يراد به وجه الله خاصة ، وذلك العمل الصالح والدار الآخرة ، فهي دار الله الكاملة - قال أنس « ما نفضنا أيدينا من تراب قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا (١٤) » .

واضطربت الحال ، ثم تدارك الله الإسلام ببيعة أبي بكر ، فكان موت النبي ﷺ ( قاصمة الظهر ) ومصيبة العمر :

فأما على فاستخفى (١٥) في بيته —

(١٤) في مطبوعة الجزائر « نفوسنا » والمروى في الحديث « قلوبنا » من وجوه متعددة أشار إليها الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ( ٢٧٣/٥ - ٢٧٤ ) أحدها للإمام أحمد عن أنس « لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء » . قال : وما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا » . وهكذا رواه الترمذی ، وابن ماجه . وقال الترمذی : هذا حديث صحيح غريب . قال ابن كثير : وإسناده صحيح على شرط الصحيحين ( خ ) .

(١٥) لأن فاطمة وجدت على أبي بكر لما أصر على العمل بقول رسول الله ﷺ : « لا نورث ما تركنا صدقة (٥) » سيأتي تفصيل ذلك في ( ص ٦٢ ، ٦٣ ) ، فعاشت فاطمة بعد موت النبي ﷺ ستة أشهر معزلة في بيته ومعها على . قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ( ٦/٣٣٣ ) : فلما مرضت جاءها الصديق فدخل عليها فجعل يترضاها فرفضت . رواه البيهقي من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي ثم قال : وهذا مرسل حسن بإسناد صحيح (٥٥) . وقال البخاري (ك ٦٤٨ ج ٣٨ ص ٨٢ - ٨٣ ) =

(٥) صحيح ورد من طرق منها عن أبي بكر وعائشة وعمر ، ورواه البخاري (٤٢٤١) ، ( ٤٠٣٦ ) . ( ٦٧٣٠ ) ، ( ٦٧٢٥ ) ، ( ٣٠٩٣ ) ، ( ٣٠٣٤ ) ، ( ٧٣٥ ) ، ( ٦٧٢٨ ) ، ( ٣٠٩٤ ) ، ( ٥٣٥٨ ) ، ( ٣٧١٢ ) ورواه مسلم ( ١٧٥٧ ) ، وأحمد ( ٦/١ ) برقم ( ٢٥ ) ( ع ) :

(٥٥) (ساقه ابن كثير في البداية ( ٣٩٦/٤ ) عصرية ) من طريق البيهقي وقال : وهذا إسناد جيد قوى والظاهر أن الشعبي سمعه من على أو ممن سمعه من على ، ا . هـ قلت : رواه البيهقي في سننه الكبرى ( ٣٠١/٦ ) ( ع ) .

= من حديث عروة عن عائشة : « فلما توفيت دفنها زوجها على ليلا ولم يؤذن لها أبا بكر وصلى عليها ، وكان لعل من الناس وجه في حياة فاطمة ، فلما توفيت استنكر على وجه الناس ، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته إلخ » وببيعة على هذه هي الثانية بعد بيعته الأولى في سقيفة بنى ساعدة . وأضاف الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٢٤٩/٥) أن علياً لم ينقطع عن صلاة من الصلوات خلف الصديق ، وخرج معه إلى ذى القصة لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتل أهل الردة .

ويحتمل أن يكون مراد المؤلف باستخفاء علي ما كان منه ومن الزبير قبيل الاجتماع في سقيفة بنى ساعدة ، وقد أشار عمر بن الخطاب إلى ذلك في خطبته الكبرى التي خطبها في المدينة في عقب ذى الحجة بعد آخر حجة حجها عمر ، وهذه الخطبة في مسند الإمام أحمد ( ١ / ٥٥ الطبعة الأولى - ج ١ رقم ٣٩١ الطبعة الثانية ) من حديث ابن عباس ( خ ) .

(١٦) إن هذا الخبر لا يتفق مع الخبر الوارد في أعلى هذا الكلام القائل بأن علياً لم ينقطع عن صلاة من الصلوات خلف الصديق . . . وإنه خرج معه لما خرج أبو بكر شاهراً سيفه لقتال المرتدين .

والحقيقة لقد اضطربت الروايات في بيان موقف علي بن أبي طالب من خلافة أبي بكر الصديق ولعبت الدسائس دورها ، ونسجت الافتراءات والأكاذيب حولها بقصد زعزعة الثقة بالإسلام بصورة عامة ، وبالصحابة بصورة خاصة ، وإظهارهم بمظهر الجشع والمتهالك على المناصب والأموال ولو بمخالفة الشريعة ونحن ننقل فيما يلي أصح الروايات عن موقف علي النبل ثم تأتي على بعض الروايات الأخرى التي تقول بامتناعه عن البيعة حتى وفاة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ونوضح زيفها وكذبها .

قال العلامة محمد عزة دروزة في كتابه « الجنس العربي » ( ١٤٧ وما بعدها ) :  
لقد روى الطبري عن عبد الله بن سعيد الزهرى عن عمه يعقوب عن سعيد بن عمر عن الوليد بن عبد الله عن الوليد بن جميع الزهرى أن عمرو بن حريث سأل سعيد بن زيد :

قال : فمتى بويع أبو بكر ؟

أشهدت وفاة النبي ؟

قال : نعم . .

قال : يوم مات رسول الله ﷺ كرهوا أن يبقوا بعض يوم ، وليسوا في جماعة

قال : فخالف عليه أحد !؟

وأما عثمان فسكت .

= قال : لا ! إلا مرتد أو من قد كاد أن يرتد لولا أن الله أنقذهم من الأنصار .  
 قال : فهل قعد أحد من المهاجرين ؟ قال : لا ! تابعوا على بيعته من غير أن يدعوه ( ج ٢ ص ٤٤٧ ) والمتبادر أن القائل أراد بما ذكره عن الأنصار موقف سعد بن عباد وأنصاره يوم السقيفة وتطلعهم إلى رئاسة الحكم ، فانقذهم الله وجعلهم يتراجعون ويتابعون أبا بكر دون افتراق وخلاف ونزاع . والرواية تعبر عما كان من شدة حرص أصحاب رسول الله من مهاجرين وأنصار على سرعة البت في أمر الرئاسة حتى يجتمع كلمتهم ، وتفيد أن الهاشميين أيضاً - وهم من المهاجرين - قد تابعوا علىبيعة أبي بكر ولم يقعد منهم أحد . ولقد روى الطبرى خبر مبايعة على لأبى بكر فوراً ، وبحركة رائعة حيث روى بأسانيد عن حبيب بن أبى ثابت أن علياً كان في بيته ، فأتى إليه الخبر عن جلوس أبى بكر للبيعة ، فخرج في قميص ما عليه أزرار ولا رداء عجلاً كراهية أن يبطئ عنه حتى بايعه ، ثم جلس إليه وبعث فأحضر ثوبه وتخلله ولزم مجلسه . ( ٤٤٧/٢ )

وعلى كل حال فإن المتفق عليه في روايات الشيعة وغيرهم أن علياً وبنى هاشم بايعوا أبا بكر فوراً ! كما يروى الطبرى ، أو بعد تردد كما ترى رواية الشيعة ، وتعاونوا معه ، حيث يدل هذا دلالة حاسمة على أنه لم يكن هناك وصية صريحة أو ضمنية من النبى بأن يكون الأمر لعلى من بعده وما رواه الطبرى كذلك بأسانيد أخرى خبر امتناع على وبنى هاشم عنبيعة أبى بكر طوال حياة فاطمة ، لأن فاطمة جاءت هى والعباس إلى أبى بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهو أرضه من فدىك وسهمه من خيرير فقال لهما أبو بكر : أما إني سمعت رسول الله يقول : « لا نورث ما تركنا صدقة ، إنما يأكل آل محمد فى هذا المال » وأنى والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته . فهجرته فاطمة فلم تكلمه فى ذلك حتى توفيت بعد ستة أشهر من وفاة النبى ﷺ ورأى على أنصراف وجوه الناس عنه ، وكان لم يبايع أبا بكر هو ولا أحد من بنى هاشم والقصة طويلة وفى ختامها : بايع على أبا بكر . أى بعد وفاة فاطمة ويلحظ أن صيغة خبر الطبرى تجعل مسألة الميراث سبباً لامتناع على ، وبنى هاشم عن مبايعة أبى بكر ، ومطالبتهم بالميراث من أبى بكر تقتضي أن تكون بعد الاعتراف بخلافته . وفى هذا من التناقض ما يجعل القصة متهافة . وإن كان لها أصل ما ، فكل ما يمكن أن يكون هو أنهم بعد مبايعتهم لأبى بكر طالبوا بما اجتهدوا أنه ميراثهم من =

وأما عمر فأهجر وقال : « ما مات رسول الله ﷺ ، وإنما واعد الله كما واعد موسى (١٧) ، وليرجعن رسول الله ﷺ فليقطعن أيدي ناس وأرجلهم (١٨) » .

= النبي ، فأورد أبو بكر عليهم حديث النبي ﷺ الذي سمعه ووقف الأمر عند هذا الحد . ويكون ما عدا ذلك من مزيادات الشيعة ومدسوساتهم . لأنه لا يمكن أن يكون على وفاطمة وبنو هاشم لم يصدقوا أبا بكر في الحديث الذي رواه ، كما لا يمكن أن يكونوا كباروا وأصروا بعد سماعهم لحديث النبي ﷺ . أ. هـ ( الجنس العربي (١٧/٧) .

ومن الغريب أن أعداء الإسلام الذين يحملون على أبي بكر رضيه الله عنه منع فاطمة من إرثها في فذك وسهمها . من خير ، بينما على نفسه لما تولى الخلافة لم يعط أحد ورثتها ولا لأحد من بني هاشم ما تركه رسول الله ﷺ لحديث : « لا نورث ... » . وإذا كان أبو بكر منع ذلك ، فيكون قد منع ابنته عائشة أيضاً من هذا الإرث !!

وهناك روايات أخرى مختلطة ومكدوبة في رفض على وبنى هاشم بيعة أبي بكر ضربنا عنها صفحا لتهافتها وللروايات الكثيرة التي تثبت مسارعة على لبيعة أبي بكر ومعاونته في شؤون الخلافة ، وهو من أعرف الناس بفضله . ( م ) .  
(١٧) إشارة إلى قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [ البقرة : ٥١ ] ، وقوله سبحانه ﴿ وَوَاَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَتْمٍ مِّقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [ الاعراف : ١٤٢ ] . ( خ ) .

(١٨) مسند أحمد ( ١٩٦/٣ الطبعة الأولى ) حديث أنس بن مالك عن يوم وفاة النبي ﷺ وفيه : « ثم أرخى الستر ، فقبض في يومه ذاك . فقام عمر فقال : إن رسول الله ﷺ لم يمّت ، ولكن ربه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى ، فمكث عن قومه أربعين ليلة . وإني لأرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يقطع أيدي رجال المنافقين وألسنتهم يزعمون ( أو قال : يقولون ) : إن رسول الله ﷺ قد مات » . وفي كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخاري ( ك ٦٢ ب ٥ ) عن عائشة : « ... فقام عمر يقول : والله ما مات رسول الله ﷺ . . والله ما كان يقع في نفسه إلا ذاك ، وليبعثه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم » ونقل الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ( ٢٤٢/٥ ) ما رواه البيهقي من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير قال : قام عمر بن الخطاب يخطب الناس ويتوعد من قال « مات » بالقتل والقطع ، ويقول : إن رسول الله ﷺ في غشية لو =

وتعلق بال العباس وعلى بأمر أنفسهما فى مرض النبى ﷺ ، فقال العباس لعلى : « إني أرى الموت فى وجوه بنى عبد المطلب ، فتعال حتى نسأل رسول الله ﷺ ، فإن كان هذا الأمر فىنا علمناه » (١٩) .

وتعلق بال العباس وعلى بميراثهما فيما تركه النبى ﷺ من فذك وبني النضير وخير (٢٠) .

واضطرب أمر الأنصار يطلبون الأمر لأنفسهم ، أو الشركة فيه مع المهاجرين (٢١) .

=قدم قام قتل وقطع (\*) . وفى ( ٥ : ٢٤١ ) من البداية والنهاية من حديث عائشة وهى تذكر الساعة التى توفى فيها رسول الله ﷺ : فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستأذنا ، فأذنت لهما .. ثم قاما ، فلما دنوا من الباب قال المغيرة : يا عمر ، مات رسول الله ﷺ ، فقال عمر : كذبت ، بل أنت رجل تحوسك ( أى تخالطك ) فتنة ، أن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفنى الله المنافقين . ثم جاء أبو بكر .. وخرج إلى المسجد وعمر يخطب الناس ويقول : إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفنى الله المنافقين .

ومعنى أهجر : خلط فى كلامه ، وهذى وأكثر الكلام فيما لا ينبغى وذلك من هول ما وقع فى نفس عمر من هذا الحادث العظيم ، فهو لا يكاد يصدق (خ) .  
(١٩) فأجابه على كرم الله وجهه : « إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده ، وإنى والله لا أسأله رسول الله ﷺ . رواه البخارى فى كتاب المغازى من صحيحه ( ك ٦٤ ب ٨٣ ج ٥ ص ١٤٠ - ١٤١ ) . ونقله ابن كثير فى البداية والنهاية ( ٢٢٧/٥ ، ٢٥١ ) من حديث الزهرى عن عبد الله بن كعب بن مالك عن ابن عباس . ورواه الإمام أحمد فى مسنده ( ٢٦٣/١ ، ٣٢٥ الطبعة الأولى ، ج ٤ رقم ٢٣٧٤ ، ج ٥ رقم ٢٩٩٩ الطبعة الثانية ) . ( خ ) .

(٢٠) سيأتى تفصيله ص ٤٨ عند الكلام على حديث « لا ثورث ما تركنا صدقة » ( خ ) .  
(٢١) فاجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة ، وبين ظهرائهم سعد بن عباد ، وهم يرون أن الأمر لهم لأن البلد بلدهم وهم أنصار الله وكتيبة الإسلام ، أما قريش فإن داقة منهم دفنت ، فلا ينبغى أن تختزل الأمر من دون الأنصار . وقال خطيب منهم - وهو الحباب بن المنذر - « أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب . منا أمير ومنكم أمير » . ( وجذيلها =

(\*) قلت : رواه البيهقى فى ( دلائل النبوة ) ( ٢١٧/٧ - ٢١٩ ) وهو مرسل - وأيضا فيه ابن لبيبة وهو ضعيف لاختلاطه وتدليس له وقد صرح بالتحديث - البداية ( ٣٣٨/٤ ) عصرية ..

وانقطعت قلوب الجيش الذى كان قد برز مع أسامة بن زيد بالجرف (٢٢) .

\* \* \*

= المحكك : هو أصل شجرتها الذى تتحرك به الإبل . وعذيقها المرجب : نخلتها التى دعمت بيناء أو خشب لكثرة حملها ) . ومع ذلك فقد كان رجل من الأنصار - وهو بشير بن سعد الخزرجى والد النعمان بن بشير - يسابق عمر لمبايعة أبى بكر . وقبيل ذلك كان فى السقيفة الرجلان الصالحان عويم بن ساعدة الأوسى ومعن بن عدى حليف الأنصار ولم تعجبهما هذه النزعة من الأنصار فخرجا وهما يريان أن يقضى المهاجرون أمرهم غير ملتفتين إلى أحد ، لكن حكمة أبى بكر ونور الإيمان الذى ملأ قلبه كانا أبعد مدى وأحكم تدبيرا لهذه الملة فى أعظم نوازله . ( خ ) .

(٢٢) كان هذا الجيش سبعمائة ، والأمير عليهم أسامة بن زيد ، وكان قد ندبهم رسول الله ﷺ للمسير إلى تخوم البلقاء ( شرق الأردن ) حيث قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وابن رواحة . ولما انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى أشار كثير من الصحابة - ومنهم عمر - أن لا ينفذ الصديق هذا الجيش لما وقع من الاضطراب فى الناس ولا سيما فى القبائل . نقل ابن كثير فى البداية والنهاية ( ٦ : ٣٠٤ - ٣٠٥ ) حديث القاسم وعمرة عن عائشة قالت : لما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة وأشربت النفاق ، والله لقد نزل بى ما لو نزل بالجلال الراسيات لهاضها ، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى مطيرة فى حش فى ليلة مطيرة بأرض مسبعة . فوالله ما اختلفوا فى نقطة الإصار أبى بخطلها وعنانها وفصلها » . ( خ ) .

## عاصمة

فتدارك الله الإسلام والأنام - وانجابت ( الغمة ) انجياب الغمام ، ونفذ وعد الله باستئثار رسول الله (٢٣) وإقامة دينه على التمام ، وإن كان قد أصاب ما أصاب من الرزية الإسلام - بأبى بكر الصديق رضي الله عنه (٢٤) ، وكان إذا مات النبي ﷺ غائباً في ماله بالسَّح (٢٥) ، فجاء إلى منزل ابنته عائشة رضي الله عنها - وفيه مات النبي ﷺ - فكشف عن وجهه ، وأكب عليه يقبله وقال : أبى أنت وأمى يا رسول الله ، طبت حياً وميتاً . والله لا يجمع الله عليك الموتين ، أما الموتة التي كتب الله عليك فقدمتها . ثم خرج إلى المسجد - والناس فيه ، وعمر يأتي بهجر من القول كما قدمنا - فرقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت » . ثم قرأ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى

(٢٣) استأثر الله فلائاً ، وبفلاَن : إذا مات . ( خ ) .

(٢٤) أى فتدارك الله الإسلام والأنام بأبى بكر . ( خ ) .

(٢٥) فى البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥/ ٢٤٤) : كان الصديق قد صلى بالمسلمين صلاة الصبح ، وكان إذ ذاك قد أفاق رسول الله ﷺ إفاقة من غمرة ما كان فيه من الوجع ، وكشف سترة الحجرة ونظر إلى المسلمين وهم صفوف فى الصلاة خلف أبى بكر ، فأعجبه ذلك وتبسم ﷺ حتى هم المسلمون أن يتركوا ما هم فيه من الصلاة لفرحهم به ، وحتى أراد أبو بكر أن يتأخر ليصل الصف ، فأشار إليهم ﷺ أن يمشوا كما هم . وأرخى الستارة ، وكان آخر العهد به ﷺ . فلما انصرف أبو بكر من الصلاة دخل عليه وقال لعائشة : ما أرى رسول الله ﷺ إلا قد أقلع عنه الوجع ، وهذا يوم بنت خارجة - يعنى إحدى زوجتيه ، وكانت ساكنة بالسَّح بالسنح شرقى المدينة - فركب على فرس وذهب إلى منزله ، وتوفى ﷺ حين اشتد الضحى . فذهب سالم بن عبيد وراء الصديق فأعلمه بموت النبي ﷺ ، فجاء الصديق حين بلغه الخبر ، وكان منه ما سيذكره المؤلف . والسنح منازل بنى الحارث بن الخزرج فى عوالى المدينة ، بينها وبين مسجد رسول الله ﷺ ميل واحد . ( خ ) .



عَقِبَهُ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ [آل عمران : ١٤٤] فخرج الناس يتلونها في سكك المدينة كأنها لم تنزل إلا ذلك اليوم (٢٦) .

واجتمعت الأنصار في سقيفة بنى ساعدة يتشاورون ، ولا يدرون ما يفعلون . (وبلغ ذلك المهاجرين) فقالوا : نرسل إليهم يأتوننا . فقال أبو بكر : بل غشي إليهم . فسار إليهم المهاجرون ، منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ، فتراجعوا الكلام ، فقال بعض الأنصار : منا أمير ومنكم أمير (٢٧) . . فقال أبو بكر كلاماً كثيراً مصيباً ، يكثر ويصيب . منه : نحن الأمراء وأنتم الوزراء . إن رسول الله ﷺ قال « الأئمة من قريش » (٢٨) وقال : « أوصيكم بالأنصار خيراً : أن تقبلوا من محسنهم ،

(٢٦) رواه البخارى في كتاب فضائل الصحابة من صحيحه (ك ٦٢ ب ٥ - ج ٤ ص ١٩٤) من حديث عائشة . وفي البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٢٤٢/٥) من حديث أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى أحد أعلام المسلمين ، عن أبيه أحد العشرة المبشرين بالجنة ، عن عائشة أم المؤمنين التى وقعت هذه الحوادث فى بيتها وفى المسجد النبوى الذى يطل بيتها عليه . وجميع دواوين السنة سجلت هذا الموقف العظيم للصدىق الأكبر بأصح الأحاديث . وألفاظها قريب بعضها من بعض (خ) .

(٢٧) الذى قال ذلك من خطباء الأنصار الحباب بن المنذر ، وقد تقدم فى هامش ٢١ ص ٥٦ (خ) .

(٢٨) الحديث فى مسند الطيالسى برقم ٩٢٦ عن أبى برزة ، وبرقم ٢١٣٣ منه عن أنس ، وفى كتاب الأحكام من صحيح البخارى (ك ٩٣ ب ٢ - ج ٨ ص ١٠٤ ، ١٠٥) عن معاوية أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين » (\*) . وعن ابن عمر قال رسول الله ﷺ : « لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان » (\*\*). وفى مسند الإمام أحمد (١٢٩/٣) الطبعة الأولى ( عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قام على باب البيت ونحن فيه فقال « الأئمة من قريش . إن لهم عليكم حقاً . . إلخ » (\*\*\*) ورواه الإمام أحمد أيضاً فى المسند (١٨٣/٣) الطبعة الأولى ( عن أنس قال : كنا فى بيت رجل من الأنصار فجاء =

(\*) رواه البخارى (٣٥٠٠) ، (٧١٣٩) .

(\*\*) رواه البخارى (٣٥٠١) ، (٧١٤٠) .

(\*\*\*) صحيح رواه أحمد (١٨٣/٣) .

وتتجاوزوا عن مسيئتهم (٢٩) » . إن الله سمانا ( الصادقين (٣٠) ) وسماكم (المفلحين (٣١) ) . وقد أمر أن تكونوا معنا حيثما كنا فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١١٩) [ التوبة ] . إلى غير ذلك من الأقوال المصيبة والأدلة القوية . فتذكرت الانتصار ذلك واثقادت إليه ، وبائعوا أبا بكر الصديق رضي الله عنه (٣٢) .

= النبي ﷺ حتى وقف فأخذ بعضادة الباب فقال : « الأئمة من قريش ، ولهم عليكم حق ، ولكم مثل ذلك .. إلخ » الإمام أحمد كذلك (٤/ ٤٢١ الطبعة الأولى ) عن أبي برزة يرفعه إلى النبي ﷺ قال : « الأئمة من قريش : إذا استرحموا رحموا ، وإذا عاهدوا وفوا ، وإذا حكموا عدلوا . فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » (٥) (خ) .

(٢٩) في كتاب مناقب الأنصار من صحيح البخارى ( ك ٦٣ ب ١١ ) من حديث هشام بن زيد بن أنس قال : سمعت أنس بن مالك يقول : مر أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار فيكون ( والظاهر أن ذلك كان في مرض النبي ﷺ الذي مات به ) فقال : ما يبيحكم ؟ قالوا : ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا . فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك . قال : فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد . قال فصعد المنبر - وله يصعده بعد ذلك اليوم - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشى وعييتى ، وقد قضوا الذى عليهم وبقي الذى لهم ، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم » (٥٥) ، ويعد في صحيح البخارى حديث لعكرمة عن ابن عباس ، وحديث لقتادة عن أنس بمعنى ذلك . وقريب من ذلك فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى ، وفى سنن الترمذى عن ابن عباس . ( خ ) .

(٣٠ ، ٣١) فى سورة الحشر : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَتَّخِذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلِيًّا هُمُ الصَّادِقُونَ (أ) وَالَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْشُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) ﴾ ( خ ) .

(٣٢) نقل الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٥/ ٢٤٧) من حديث الإمام أحمد عن حميد بن

(\*) الحديث صحيح لطره وشواهد الكثرة ( راجع تخريج الإرواء ) ( م ) وقد خرجته فى كتاب ( النهاية فى الفتن والملاحم لابن كثير ) .

(\*\*\*) رواه البخارى (٣٧٩٩) .

وقال أبو بكر لأسماء : انفذ لأمر رسول الله ﷺ . فقال عمر : كيف ترسل هذا الجيش والعرب قد اضطربت عليك ؟! فقال : لو لعبت الكلاب بخلاخيل نساء المدينة ، ما رددت جيشاً أنفذه رسول الله ﷺ (٣٣) .

وقال له عمر وغيره : إذا منعك العرب الزكاة فاصبر عليهم . فقال : « والله لو

عبد الرحمن بن عوف الزهري ( ابن أخت أمير المؤمنين عثمان ) خطبة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة ، ومنها قوله : لقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً سلكت وادى الأنصار » (\*) . ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد : « قريش ولاية هذا الأمر : فبر الناس تبع لبرهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم » فقال له سعد : « صدقت ، نحن الوزراء وأنتم الأمراء » (\*\*). (٣٣) نقل الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣٠٥/٦) عن الحافظ أبي بكر البيهقي حديث محمد بن يوسف الفريابي الحافظ ( قال البخاري : كان أفضل أهل زمانه ) ، عن عباد ابن كثير الرملي أحد شيوخه ( قال ابن المديني : كان ثقة لا بأس به ) ، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ( أحد التابعين ، توفي بالإسكندرية ) عن أبي هريرة قال : « والله الذي لا إله إلا هو ، لولا أبو بكر استخلف ما عبد الله » ثم قال الثانية ، ثم قال الثالثة . فقيل له : مه يا أبا هريرة . فقال : إن رسول الله ﷺ وجه أسماء بن زيد في سبعمائة إلى الشام ، فلما نزل بذى خشب قبض رسول الله ﷺ ، وارتدت العرب حول المدينة . فاجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : يا أبا بكر ، رد هؤلاء ، توجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة ؟! فقال : « والذي لا إله غيره ، لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشاً وجهه رسول الله ، ولا حللت لواء عقده رسول الله » فوجه أسماء ، فجعل لا يمر ببكيل يريدون الارتداد إلا قالوا لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن ندعهم حتى يلتقوا الروم . فلتقوا الروم ، فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين ، فثبتوا على الإسلام . ( خ ) .

(\*) رواه البخاري . ( م ) .

قلت : نعم المتن إلى هنا رواه البخاري ( ) ومسلم من حديث هشام بن زيد عن أنس بن مالك مرفوعاً . وكذا رواه الإمام أحمد من طرق عنه كما في ( البداية ) (٤٢/٤ ، ٤٣) ( ع ) .  
(\*\*) رجاله ثقات إلا حميد بن عبد الرحمن . وللحديث شواهد تقويه (راجع الأحاديث الضعيفة (١١٥٦) ( م ) .  
قلت : رواه الإمام أحمد من هذا الطريق وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٩١) ، والصحيحة (١١٥٦) ( ع ) .

منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه . والله لأقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة (٣٤) » .

قيل : ومع من تقاتلهم ؟ قال : « وحدي ، حتى تنفرد سالفتي (٣٥) » .

وقدم الأمراء علي الأجناد والعمال في البلاد مختاراً لهم ، مرتباً فيهم ، فكان ذلك من أسد عمله ، وأفضل [ مقدمة ] (٣٦) .

(٣٤) لما مضى جيش أسامة في طريقه إلى شرق الأردن جعلت وفود القبائل تقدم المدينة ، يقرون بالصلاة ويمتنعون عن أداء الزكاة . قال ابن كثير (٣١١/٦) ومنهم من احتج بقوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ [ التوبة : ١٠٣ ] . قالوا : فلنسأ ندف زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا . وقد تكلم الصحابة مع الصديق في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم ثم هم بعد ذلك يزكون ، فامتنع الصديق من ذلك وأباه . وقد روى الجماعة في كتبهم - سوى ابن ماجه - عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر : علام تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ؟ » فقال أبو بكر : « والله لو منعوني عنقا ( وفي رواية : عقلاً ) كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها أن الزكاة حق المال . والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة » قال عمر : فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق . وهذا الحديث في مسند أحمد ( ١١/١ ، ١٩ ، ٣٥ ، ٣٦ الطبعة الأولى - ج ١ رقم ٦٧ . ١١٧ ، ٢٣٩ الطبعة الثانية ) من حديث عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة . وفي البداية والنهاية ( ٣١٢/٦ ) : قال القاسم بن محمد ( ابن أبي بكر الصديق ، وهو أحد الفقهاء السبعة ) : اجتمعت أسد وغطفان وطئ على طليحة الأسدي ، وبعثوا وفوداً إلى المدينة فنزلوا علي وجوه الناس ، فأنزلوهم إلا العباس ، فحملوهم إلى أبي بكر على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة . فعزم الله لأبي بكر على الحق وقال « لو منعوني عقلاً لجاهدتهم » (خ) .

(٣٥) السالفة : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه ، ولا تنفرد إحداها عما يليها إلا بالموت . (خ) .

(٣٦) وفي طليعة هؤلاء القواد : أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري ، وعمر بن

وقال لفاطمة وعلى والعباس : إن رسول الله ﷺ قال : « لا نورث ، ما تركنا صدقة » . فذكر الصحابة ذلك (٣٨) .

= العاص السهمي ، وخالد بن الوليد المخزومي ، وخالد بن سعيد بن العاص الأموي ،  
وزيد بن أبي سفيان ، وعكرمة بن أبي جهل ، والمهاجر بن أبي أمية شقيق أم المؤمنين أم  
سلمة ، وشرحبيل بن حسنة ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وسهيل بن عمرو العامري  
خطيب قريش ، والققعاق بن عمرو التميمي ، وعرفجة بن هرثمة البارقى ، والعلاء بن  
الحضرمي حليف بنى أمية ، والمثنى بن حارثة الشيباني ، وحذيفة بن محصن الغطفاني .  
وفي طليعة ولاته : عتاب بن أسيد الأموي ، وعثمان بن العاص الثقفي ، وزيد بن ليلى  
الأنصاري ، وأبو موسى الأشعري ، ومعاذ بن جبل ، ويعلى بن منية ، وجريز بن عبد  
الله البجلي ، وعياض بن غنم ، والوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وعبد الله بن ثور أحد  
بنى غوث ، وسويد بن مقرن المزني .

(٣٨) في كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (٦٢ ب ١٢ - ج ٤ ص ٢٠٩ - ٢١٠)  
حديث الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة أن فاطمة أرسلت إلى أبي بكر تسأله  
ميراثها من النبي ﷺ فيما أفاء الله على رسوله ﷺ تطلب صدقة النبي ﷺ التي بالمدينة  
وفدك وما بقى من خمس خبير ، فقال أبو بكر : أن رسول الله ﷺ قال « لا نورث ، ما  
تركنا فهو صدقة . إنما يأكل آل محمد من هذا المال - يعنى مال الله - ليس لهم أن يزيدوا  
على المأكول » وإنى والله لا أغير شيئاً من صدقات النبي ﷺ التي كانت عليها فى عهد  
النبي ﷺ ، ولا عملن فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ . فتشهد على ثم قال : أنا  
عرفنا يا أبا بكر فضيلتك ( وذكر قرباتهم من رسول الله ﷺ وحقهم ) . فتكلم أبو بكر  
فقال : والذى نفسى بيده ، لقراءة رسول الله ﷺ أحب إلى أن أصل من قرابتى .  
وأوسع منه فى كتاب المغارى بباب غزوة خيبر من صحيح البخارى ( ك ٦٤ ب ٣٨ -  
ج ٥ ص ٨٢ ) .

وفى كتاب الوصايا من صحيح البخارى ( ك ٥٥ ب ٣٢ - ج ٣ ص ١٩٧ ) وكتاب  
فرض الخمس منه ( ك ٥٧ ب ٣ - ج ٤ ص ٤٥ ) حديث أبى الزناد عن الأعرج عن أبى  
هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا يقتسم ورثتى ديناراً ، ما تركت - بعد نفقة نسائى  
ومؤونة عاملى - فهو صدقة » . قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (١٥٨/٢) :  
قول النبي ﷺ « لا نورث ، ما تركنا صدقة » رواه عنه أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ،  
وطليحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف ، والعباس بن عبد المطلب ، =

= وأزواج النبي ﷺ ، وأبو هريرة ، والرواية عن هؤلاء ثابتة في الصحاح والمسانيد .  
وقال قبل ذلك ( ١٥٧ / ٢ ) : إن الله تعالى صان الأنبياء أن يورثوا دنيا لثلا يكون ذلك  
شبهة لمن يقدح في نبوتهم بأنهم طلبوا الدنيا وورثوها لورثتهم . ثم إن من ورثة النبي  
ﷺ أزواجه ومنهم عائشة بنت أبي بكر وقد حرمت نصيبها بهذا الحديث النبوي ، ولو  
جرى أبو بكر مع ميله الفطري لأحب أن ترث ابنته .

وفى كتاب فرض الخمس من صحيح البخارى ( ك ٥٧ ب ١ - ج ٤ ص ٤٢ )  
حديث ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن عائشة أم المؤمنين أخبرت أن فاطمة ابنة  
رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها ما  
ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه ، فقال لها أبو بكر : إن رسول الله ﷺ قال :  
« لا نورث ، ما تركنا صدقة » . . . فأبى أبو بكر عليها ذلك وقال : « لست تاركا شيئا  
كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به ، فإني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن  
أزيغ » .

وفى الباب نفسه من صحيح البخارى ( ج ٤ ص ٤٢ - ٤٤ ) من حديث الإمام  
مالك بن أنس عن ابن شهاب عن مالك بن أوس بن الحدثان النصرى أنه قال : بينما أنا  
جالس في أهلى حين متع النهار إذا رسول عمر بن الخطاب فقال : أجب أمير المؤمنين .  
فانطلقت معه . . فبينما أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفأ فقال : هل لك في عثمان وعبد  
الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبى وقاص يستأذنون ؟ قال : نعم . فأذن لهم . .  
ثم جلس يرفأ يسيرا ثم قال : هل لك في على وعباس ؟ قال : نعم : فأذن لهما ،  
فدخلا فسلما فجلسا . فقال عباس : يا أمير المؤمنين اقض بينى وبين هذا - وهما  
يختصمان فيما أفاء الله على رسوله ﷺ من بنى النضير - فقال الرهط ، عثمان  
وأصحابه : يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر . قال عمر : تيدكم .  
أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال :  
« لا نورث ، ما تركنا صدقة » يريد رسول الله ﷺ نفسه ؟ قال الرهط : قد قال ذلك .  
فأقبل عمر على على وعباس فقال : أنشدكما الله ، أتعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال  
ذلك ؟ قالوا : قد قال ذلك . ( وبعد أن ذكر أنه ﷺ كان ينفق على أهله سنتهم من هذا  
المال ثم يجعل ما بقى مجمل مال الله ، واستشهدهم على ذلك فشهدوا ، قال : ) ثم  
توفى الله نبيه ﷺ ، فقال أبو بكر : أنا ولى رسول الله ﷺ ، فقبضها ، فعمل فيها بما =

وقال : سمعته عليه السلام يقول : « لا يدفن نبي إلا حيث يموت (٣٩) » (\*) وهو في

= عمل رسول الله عليه السلام ، والله يعلم أنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق . ثم توفي الله أبا بكر ، فكنتم أنا ولى أبى بكر ، فقبضتها ستين من إمارتى . أعمل فيها بما عمل رسول الله عليه السلام ، وما عمل فيها أبو بكر ، والله يعلم أنى فيها لصادق بار راشد تابع للحق . ثم جثمتانى تكلمانى وكلمتكما واحدة وأمركما واحد ، جثنتنى يا عباس تسألنى نصيبك من ابن أخيك ، وجاءنى هذا - يريد علياً - يريد نصيب امرأته من أبيها ، فقلت لكما : إن رسول الله عليه السلام قال : « لا نورث ، ما تركنا صدقة » . فلما بدا لى أن أدفعه إليكما قلت : إن شئتما دفعتهما إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لعمالان فيها بما عمل فيها رسول الله عليه السلام ، وبما عمل فيها أبو بكر ، وبما عملت فيها منذ وليتها . فقلتما : ادفعها إلينا ، فبذلك دفعتهما إليكما . فأنشدكم بالله ، هل دفعتهما إليهما بذلك؟ قال الرهط : نعم . ثم أقبل على على وعباس فقال : أنشدكما بالله ، هل دفعتهما إليكما بذلك ؟ قال : نعم . قال : أفلتتسان منى قضاء غير ذلك ! فوالله الذى يأذنه بقوم السماء والأرض ، لا أقضى فيها قضاء غير ذلك ، فإن عجزتما عنها فادفعاهما إلى فإنى أكفيكماها .

وأورد البخارى حديث مالك بن أوس هذا فى كتاب المغازى من صحيحه ( ك ٦٤ ب ١٤ - ج ٥ ص ٢٣ ، ٢٤ ) من حديث شعيب عن الزهرى عن مالك بن أوس ، وفى كتاب النفقات من صحيحه ( ك ٦٩ ب ٣ - ج ٦ ص ١٩٠ - ١٩٢ ) ، وفى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من صحيحه ( ك ٦٩ ب ٥ - ج ٨ ص ١٤٦ - ١٤٧ ) . وانظر كتاب الفرائض من صحيح البخارى ( ك ٨٥ ب ٣ - ج ٨ ص ٣ - ٥ ) . ومسند الإمام أحمد ( ١٣ / ١ الطبعة الأولى - ورقم ٧٧ ، ٧٨ الطبعة الثانية ) .

وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة ( ٣ / ٢٣٠ ) إلى أن أبا بكر وعمر أعطيا من مال الله أضعاف هذا الميراث للذين كانا سيرثونه قال : وإنما أخذ منهم قرية ليست كبيرة ، لم يأخذ منهم مدينة ولا قرية عظيمة . ثم قال ( ٣ / ٢٣١ ) وقد تولى على بعد ذلك ، وصارت فدىك وغيرها تحت حكمه ، ولم يعط لأولاد فاطمة ولا زوجات النبى عليه السلام ولا ولد العباس شيئاً من ميراثه ... إلخ . ( خ ) .

( ٣٩ ) فى كتاب الجنائز من موطأ مالك ( ك ٢٦ ج ٢٧ - ص ٢٣١ ) أن مالكا بلغه أن =

(\*) هذا الحديث ورد من طرق كثيرة ذكر الشيخ الخطيب بعضها : عن أبى بكر ( رواه مالك بلاغا والإمام أحمد عن ابن جريج قال أخبرنى أبى - وهو عبد العزيز بن جريج - أن أصحاب النبى عليه السلام فذكره عن أبى =

ذلك كله رابط الجأش ، ثابت العلم والقدم في الدين .

ثم استخلف عمر ، فظهرت بركة الإسلام ، ونفذ الوعد الصادق في الخليفتين (٤٠) .

= رسول الله ﷺ توفي يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء صلى الناس عليه أفذاذاً لا يؤمهم أحد . فقال ناس : يدفن عند المنبر . وقال آخرون : يدفن بالبقيع . فجاء أبو بكر الصديق فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما دفن نبي قط إلا في مكانه الذي توفي فيه » قال الحافظ ابن عبد البر : صحيح من وجوه مختلفة وأحاديث شتى جمعها مالك . وفي كتاب الجنائز من جامع الترمذى (ك ٨ ب ٣٣) حديث عائشة : لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه ، فقال أبو بكر : سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً ما نسيته ، قال : « وما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يجب أن يدفن فيه » ادفنوه في موضع فراشه (\*) . وفي كتاب الجنائز من سنن ابن ماجه (ك ٦ ب ٦٥) عن ابن عباس : لقد اختلف المسلمون في المكان الذي يحفر له ، فقال قائلون : يدفن في مسجده ، وقال قائلون : يدفن مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض » (\*\*) ورواه ابن إسحاق ( في السيرة لابن هشام ١٠٣/٣ بولاق ) من حديث عكرمة عن ابن عباس (\*\*\*) . وانظر البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ( ٥ / ٢٦٦ - ٢٦٨ ) . ( خ ) .

(٤٠) وهو وعد الله عز وجل في سورة النور : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) ﴾ . ولقد كان المجتمع الإسلامى - بتوجيه هذين الخليفتين - =

= بكر - وفيه انقطاع بين عبد العزيز بن جريج وأبى بكر فإذ لم يدركه . ومنها عن عائشة عن أبى بكر رواه أبو يعلى والترمذى وابن إسحاق وابن أبى الدنيا وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى ( ٨١٢ ) ومنها عن ابن عباس عن أبى بكر رواه أبو يعلى والواقدي ورواه البيهقي عن الحاكم بسنده إلى محمد بن جعفر بن الزبير عن أبى بكر فى دلائل النبوة ( ٧ / ٢٦٠ ) وهو مرسل وفيه الواقدي متروك وللحديث طرق أخرى أكثرها لا يخلو من مقال والحديث بها صحيح إن شاء الله . . انظر البداية ( ٤ / ٣٦٧ - ٣٦٨ ) عصرية ( ع ) .

(\*) صححه الألبانى فى صحيح الترمذى ( ٨١٢ ) ( ع ) .

(\*\*) قال الألبانى فى ضعيف ابن ماجه ( ٣٥٩ ) : ضعيف . لكن قصة الشقاق واللاحد ثابتة ( ع ) .

(\*\*\*) ورواه أيضاً الإمام أحمد ( ١ / ٢٩٢ ، ٢٦٦١ ) بسند ضعيف ( ع ) .



ثم جعلها عمر شوري ، فأخرج عبد الرحمن بن عوف نفسه من الأمر حتى ينظر ويتحرى فيمن يقدم (٤١) فقدم عثمان ، فكان عند الظن به : ما خالف له عهداً ، ولا

=أسعد مجتمع إنساني عرفه التاريخ ، لأن الناس - من ولاية ورعية - كانوا يتعاملون بالإيثار ، وكان الواحد منهم يكتفى بما يفي بحاجته ، ويذل من ذات نفسه أقصى ما يستطيع أن يستخرج منها من جهد لإقامة الحق في الأرض وتعميم الخير بين الناس . ويلقى الرجل الخير منهم رجلاً لا تزال تنزع به نزعات الشر ، فلا يزال به حتى يخدر عناصر الشر المتوثبة في نفسه ، ويوقظ ما كمن فيها من عناصر الخير إلى أن يكون من أهل الخير . وفي المتسبين إلى الإسلام حتى يومنا هذا طوائف امتلأت قلوبهم بالضغن حتى على أبى بكر وعمر ، فضلاً عن استعان بهم أبو بكر وعمر من أهل الفضل والإحسان ، فصنعوا لهم من الأخبار الكاذبة شخصيات أخرى غير شخصياتهم التي كانوا عليها في نفس الأمر ، ليقنعوا أنفسهم بأنهم أبغضوا أناساً يستحقون منهم هذه البغضاء . ولهذا امتلأ التاريخ الإسلامى بالكاذب ، ولن تتجدد للمسلمين نهضة إلا إذا عرفوا سلفهم على حقيقته واتخذوا منه قدوة لهم ، ولن يعرفوا سلفهم على حقيقته إلا بتطهير التاريخ الإسلامى مما ألصق به . ( خ ) .

(٤١) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى ( ك ٦٢ ب ٨ - ج ٤ ص ٢٠٤ - ٢٠٧ ) حديث عمرو بن ميمون أحد تلاميذ معاذ وابن مسعود ومن شيوخ الشعبى وسعيد بن جبير وطبقتهما ، وقد اشتمل هذا الحديث على خبر مقتل أمير المؤمنين عمر ، وكيف جعل عمر الخلافة شورى بين الستة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، وكيف أخرج عبد الرحمن بن عوف نفسه منها . ثم انتهى إلى تقديم عثمان . وهذا الحديث من أصح ما ثبت فى هذا الموضوع وأجود . وقرأ بعد ذلك ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية عن موقف عمر فى جعله الأمر شورى فى كتاب منهاج السنة ( ١٦٨ / ٣ - ١٧٢ ) ، وفيه إرشاد دقيق إلى ما كان عليه بنو هاشم وبنو أمية من الانفاق والمحبة والتعاون فى أيام النبى ﷺ وأبى بكر وعمر ، وأن عثمان وعلياً كان أحدهما أقرب إلى صاحبه من سائر الأربعة إليهما . ونقل ابن تيمية فى ( ٢٣٣ / ٣ - ٢٣٤ ) قول الإمام أحمد : لم يتفق الناس على بيعة كما اتفقوا على بيعة عثمان : ولاه المسلمون بعد تشاورهم ثلاثة أيام ، وهم مؤتلفون متفقون متحابون متواردون معتصمون بحبل الله جميعاً . وقد أظهرهم الله ، وأظهر بهم ما بعث به نبيه من الهدى ودين الحق ، ونصرهم على الكفار ففتح بهم بلاد الشام والعراق وبعض خراسان . إلخ ( خ ) .

نكث عقداً ، ولا اقتحم مكروهاً ، ولا خالف سنة (٤٢) .

(٤٢) وكيف لا يكون عثمان عند حسن الظن به وقد شهد له بطهارة السيرة وحسن الخاتمة رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى . قال الحافظ ابن حجر فى ترجمة عثمان من ( الإصابة ) : جاء من أوجه «متواترة» أن رسول الله ﷺ بشر عثمان بالجنة ، وعده من أهل الجنة ، وشهد له بالشهادة . والحديث الذى يتواتر بذلك عن رسول الله ﷺ لا يرتاب فيه ولا يجنح إلى غير مدلوله إلا الذى يرضى لنفسه بأن يقتحم أبواب الجحيم . وروى الترمذى من طريق الحارث بن عبد الرحمن عن طلحة أحد العشرة المبشرين بالجنة أن رسول الله ﷺ قال : « لكل نبي رفيق ، ورفيقي فى الجنة عثمان » (\*) . وقال الحافظ ابن عبد البر فى ترجمة عثمان من كتاب (الاستيعاب) : ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « سألت ربي عز وجل أن لا يدخل النار أحداً صاهر إلى أو صاهرت إليه » (\*\*). وشهادة أخرى من رسول الله ﷺ لهذا الإنسان الأفضل يتمني مثلها أبو بكر وعمر ، فقد روى الإمام مسلم فى كتاب فضائل الصحابة من صحيحه ( ك ٤٤ ج ٢٦ - ج ٧ ص ١١٦ - ١١٧ ) عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال فى عثمان : « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟ » وفى صحيح البخارى ( ك ٦٢ ب ٧ - ج ٤ ص ٢٠٣ ) عن نافع عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : كنا فى زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبى بكر أحداً ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم . وقيل للمهلب بن أبى صفرة : لم قيل لعثمان ذو النورين ؟ قال : لأنه لم يعلم أن أحداً أرسل سترأ على ابنتى نبي غيره . وروى خيثمة فى فضائل الصحابة عن الزال بن سيرة العامري (أحد الذين أخذوا عن أبى بكر وعثمان وعلى ، وهو من شيوخ الشعبي والضحاك وطبقتهما ) قال : قلنا لعلى حدثنا عن عثمان ، فقال : « ذاك امرؤ يدعى فى الملأ الأعلى ذا النورين » . وقال ابن مسعود حين

(\*) قال الترمذى : هذا حديث غريب . وليس إسناده بالقوى . وهو منقطع . (م) .

قلت : رواه الترمذى (٣٦٩٨) وابن ماجه (١٠٩) وضعفه الالبانى فى ضعيف الترمذى (ع) .

(\*\*) صححه الحاكم عن طريق عمار بن سيف ووافقه الذهبى وفيه نظر فإن عماراً هذا قال الحافظ ضعيف الحديث ( راجع الأحاديث الضعيفة ) ( م ) .

قلت : رواه الحاكم ( ١٣٧ / ٣ / ٤٦٦٧ ) عن عبد الله بن أبى أوفى مرفوعاً بلفظ : « سألت ربي عز وجل أن لا أزوج أحداً من أمتى ولا أتزوج إلا كان معى فى الجنة » وصححه الحاكم وأقره الذهبى وضعفه الالبانى فى (ضعيف الجامع ) ، والضعيفة (٣٠٤٠) (ع) .

وقد كان النبي ﷺ أخبر بأن عمر شهيد ، وبأن عثمان شهيد (٤٣) ، وبأن له

بويح عثمان بالخلافة « بايعنا خيرنا ، ولم نأل » (\*) وصفه على بن أبي طالب بعد انقضاء أجله فقال « كان عثمان أوصلنا للرحم ، وكان من الذين آمنوا ، ثم أتقوا وأحسنوا ، والله يحب المحسنين » . وروى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أن أباه قال « لقد عتبا على عثمان أشياء لو فعلها عمر ما عتبا عليه » . وعبد الله بن عمر كان شاهد عيان لخلافة عثمان من أولها إلى آخرها ، وكان أشد الناس في التزام السنة المحمدية ، ومع ذلك فإنه يشهد لعثمان بأن كل ما عتبا به عليه كان يحتمل أن يكون من عمر - وهو أبوه - ولو كان ذلك من عمر لما عتب أحد به عليه . وقال مبارك بن فضالة مولى زيد بن الخطاب : سمعت عثمان يخطب وهو يقول « يا أيها الناس ما تنقمون عليّ ، وما من يوم إلا وأنتم تقتسمون فيه خيراً » . وقال الحسن البصري : شهدت منادى عثمان ينادى : يا أيها الناس اغدوا على أعطيائكم ، فيفدون ويأخذونها وافية . يا أيها الناس اغدوا على أرزاقكم ، فيفدون ويأخذونها وافية . حتى - والله - سمعته أذنأى يقول اغدوا على كسوتكم . فيأخذون الحلل . واغدوا على السمن والعسل . قال الحسن : أرزاق دارة ، وخير كثير ، وذات بين حسن . ما على الأرض مؤمن يخاف مؤمناً ، إلا يوده وينصره ويألفه . فلو صبر الأنصار على الأثرة لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق ، ولكنهم لم يصبروا ، وسلوا السيف مع من سل ، فصار عن الكفار مغمداً ، وعلى المسلمين مسلولا ( روى ذلك عنه الحافظ ابن عبد البر ) . وقال ابن سيرين صنو الحسن البصري وزميله وهو أيضاً كان معاصراً لعثمان : « كثر المال في زمن عثمان حتى بيعت جارية بوزنها ، وفرس بمائة ألف درهم ، ونخلة بألف درهم » . وسئل عبد الله بن عمر بن الخطاب عن علي وعثمان ، فقال للسائل : « قبحك الله ، تسألني عن رجلين - كلاهما خير مني - تريد أن أغض من أحدهما وأرفع من الآخر؟! » (خ) .

(٤٣) عن أنس أن النبي ﷺ صعد أحداً ، وأبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم ، فضربه برجله ، فقال : « أثبت أحد ، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان » رواه البخاري (٥٥) ولعل هذا الحديث هو الذي دعا عثمان إلى منع الصحابة من الدفاع عنه ، خشية على أرواح المسلمين ، ما دام المصير محتوماً ! (م) .

(\*) لم نأل : لم نقصر - والمعنى : أننا بايعنا عثمان وأصبنا في ذلك (ع) .

(٥٥) رواه البخاري (٣٦٧٥) ، (٣٦٨٦) ، (٣٦٩٩) ، والترمذي (٣٦٩٧) وأبو داود (٤٦٥١) وأحمد (١٨٨/١) وابن أبي عاصم في السنة (٦٢١/٢) (ع) .

الجنة على بلوى تصيبه (٤٤) .

(٤٤) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى ( ك ٦٢ ب ٧ - ج ٤ ص ٢٠٢ ) حديث أبى موسى الأشعرى قال : إن النبى ﷺ دخل حائطا ( أى بستانا ) وأمرنى بحفظ باب الحائط ، فجاء رجل يستأذن ، فقال ﷺ : « ائذن له وبشره بالجنة » فإذا أبو بكر . ثم جاء آخر يستأذن ، فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » فإذا عمر . ثم جاء آخر يستأذن ، فسكت هنيهة ثم قال : « ائذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه » (\*) فإذا عثمان بن عفان . ( وانظر صحيح البخارى ك ٦٢ ب ٥ ، ٦ - ج ٤ ص ١٩٥ - ١٩٧ ، ٢٠١ - ٢٠٢ ) . ومثله فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح مسلم ( ك ٤٤ ج ٢٨ ، ٢٩ - ج ٧ ص ١١٧ ، ١١٩ ) من حديث أبى موسى الأشعرى أيضا . وروى ابن ماجه فى الباب ١١ من مقدمة السنن ( ج ١ ص ٢٨ طبعة مصر سنة ١٣١٣ ) عن محمد بن سيرين من أئمة التابعين ، عن كعب بن عجرة البلوى حليف الأنصار وأحد الذين شهدوا عمرة الحديبية مع رسول الله ﷺ ونزلت فيه آية الفدية ١٩٥ من سورة البقرة ، قال كعب بن عجرة : ذكر رسول الله ﷺ فتنة ففربها فمر رجل مقنع رأسه ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا يومئذ على الهدى » فوثبت فأخذت بضبعى عثمان ، ثم استقبلت رسول الله ﷺ فقلت : هذا ؟ قال : هذا (\*\*). وفى مسند أحمد ( ٥٨ / ١ ) الطبعة الأولى - رقم ٤٠٧ الطبعة الثانية ) عن أبى سهلة مولى عثمان - وهو تابعى ثقة - أن عثمان قال يوم الدار حين حصر : « إن رسول الله ﷺ عهد إلى عهدى ، فأنا صابر عليه » (\*\*\*) والحديث عند الترمذى ( ٣٢٤ / ٤ ) من طريق وكيع ، وقال : حديث حسن صحيح . وعند ابن ماجه ( ٢٨ / ١ ) حديثان أحدهما لأبى سهلة مولى عثمان والآخر لعائشة . وأوردهما الحاكم فى المستدرک على الصحيحين ( ٣ / ٩٩ ) عن عائشة . ( خ ) .

(\*) أما حديث ( ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه ) فقد رواه البخارى ( ١١ / ٥ ، ١٧ ) ، ومسلم فى الفضائل ( ٢٩ ) ، والترمذى ( ٣٧١٠ ) وأحمد ( ١٦٥ / ٢ ) ( ٤٠٨ ) ، والبخارى فى الأدب المفرد ( ١١٥١ ) والطبرانى ( ٣٢٧ / ١٢ ) ( ع ) .

(\*\*) صحيح : رواه ابن ماجه ( ١١١ ) وصححه الألبانى فى صحيح ابن ماجه . والمشكاة ( ٦٠٦٧ ) قوله : ففربها : أى قال : إن إتيانها قريب فإن أول فتنة وقعت فى الإسلام فتنة عثمان .

مُقْنَعٌ : التَّقْنِيعُ هو ستر الرأس بالرداء وإلقاء طرفه على الكتف .

بَضْعَى : الضَّيْع : العضد وهو ما بين المرفق والكتف ( ع ) .

(\*\*\*) صحيح : رواه الترمذى ( ١١٣ ) وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى والمشكاة ( ٦٠٧٠ ) وظلال الجنة ( ١١٧٥ ، ١١٧٦ ) ، وفى رواية ( وأنا صائر إليه ) بدل ( صابر ) ( ع ) .

وهو زوج رقية ابنة رسول الله ﷺ وهو أول مهاجر بعد إبراهيم الخليل عليه السلام ، دخل به في باب « أول من ... » (٤٥) وهو علم كبير جمعه الناس .

ولما صحت إمامته قتل مظلوماً (٤٦) ، ليقتضى الله أمراً كان مفعولاً . ما نصب حرباً (٤٧) ولا جيش عسكرياً (٤٨) ، ولا سعى إلى فتنة (٤٩) ولا دعا إلى بيعه (٥٠) ،

(٤٥) للجلال السيوطي وغيره من العلماء قبله وبعده كتب ألفوها في تسمية الأشخاص الذين سبقوا غيرهم إلى شيء من الأعمال المحمودة وغيرها ، فيقولون ( مثلاً ) : كان عثمان أول من هاجر في سبيل الله الهجرة الأولى إلى الحبشة . ( خ ) ( \* ) .

(٤٦) روى الإمام أحمد في مسنده ( ١١٥ / ٢ الطبعة الأولى - ج ٨ رقم ٥٩٥٣ الطبعة الثانية ) عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : ذكر رسول الله ﷺ فتنة ، فمر رجل ، فقال ﷺ : « يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوماً » قال ( عبد الله بن عمر ) : فنظرت ، فإذا هو عثمان بن عفان . قال الشيخ أحمد شاكر : والحديث رواه الترمذى ( ٣٢٣ / ٤ ) ونقل شارحه عن الحافظ ابن حجر أنه قال : إسناده صحيح وروى الحاكم في المستدرک ( ١٠٢ / ٣ ) نحوه من حديث مرة بن كعب وصححه على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي . ( خ ) .

(٤٧) أى لقتال أهل القبلة . أما حروبه لإعلاء كلمة الله ونشر دعوة الحق فكانت من أنشط ما عرفه التاريخ الإسلامى . ( خ ) .

(٤٨) أى للدفاع عن نفسه ، وكبح جماح البغاة عليه . ( خ ) .

(٤٩) بل كان أشد خلق الله كرها لها وجرحاً على تضيق دائرتها ، حقاً لدماء المسلمين ، ولو أدى ذلك به إلى أن يكون هو ضحية لغيره . ( خ ) .

(٥٠) وإنما آتته منقادة على غير تشوف منه إليها ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة ( ١٦٤ / ٣ ) : « أن الصحابة اجتمعوا على عثمان رضياً لأن ولايته كانت أعظم مصلحة وأقل مفسدة من ولاية غيره . ثم قال فى الصفحة التالية : ولا ريب أن الستة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض - أى الذين عينهم عمر - لا يوجد أفضل منهم ، وإن كان فى كل منهم ما كرهه فإن غيرهم يكون فيه من المكروه أعظم ، ولهذا لم يتول بعد عثمان خير منه ولا أحسن سيرة . ( خ ) .

(\*) تسمى هذه الكتب بـ ( الأوائل ) ومنها : الأوائل لأبى هلال العسكري - الأوائل للطبرانى - الأوائل للإمام المزى ( ع ) .

ولا حاربه ولا نازعه من هو من أضرابه ولا أشكاله (٥١)، ولا كان يروجوها لنفسه .  
ولا خلاف أنه ليس لأحد أن يفعل ذلك في غير عثمان ، فكيف بعثمان رضي الله عنه .

وقد سموا من قام عليه، فوجدناهم أهل أغراض سوء ، حيل بينهم وبينها (٥٢) ،

(٥١) إضراب أمير المؤمنين عثمان وأشكاله هم إخوانه الذين أشركهم أمير المؤمنين عمر في الشورى ، أما الذين استطاع عبد الله بن سبأ وتلاميذه أن يوقعوهم في حبال الفتنة فيبينهم وبين مستوى أهل الشورى أبعد مما بين الحضيض والقمة ، بل أبعد مما بين الشر والخير . وإن الشر الذي أقحموه على تاريخ الإسلام بحماقاتهم وقصر أنظارهم لو لم يكن من نتائجه إلا وقوف حركة الجهاد الإسلامى فيما وراء حدود الإسلام سنين طويلة لكفى به إثما وجناية . قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (١٨٦/٢) : أن خيار المسلمين لم يدخل واحد منهم فى دم عثمان . لا قتل ، ولا أمر بقتله ، وإنما قتله طائفة من المفسدين فى الأرض من أوباش القبائل وأهل الفتنة ، وكان على رضي الله عنه يقول : « اللهم العن قتلة عثمان فى البر والبحر والسهل والجبل » (خ) .

(٥٢) الذين شاركوا فى الجناية على الإسلام يوم الدار طوائف على مراتب : فيهم الذين غلب عليهم الغلو فى الدين فأكبروا الهنات وارتكبوا فى إنكارها الموبقات . وفيهم الذين ينزعون إلى عصبية يمنية على شيوخ الصحابة من قريش ، ولم تكن لهم فى الإسلام سابقة . فحسدوا أهل السابقة من قريش على ما أصابوا من مغنم شرعية جزاء جهادهم وفتحهم ، فأرادوا أن يكون لهم مثله بلا سابقة ولا جهاد . وفيهم المتورون من حدود شرعية أقيمت على بعض ذوبهم ، فاضطغنوا فى قلوبهم الأحنة والغل لأجلها . وفيهم الحمقى الذين استغل السبأيون ضعف عقولهم فدفعوهم إلى الفتنة والفساد والعقائد الضالة . وفيهم من أثقل كاهله خير عثمان ومعروفه نحوه ، فكفر معروف عثمان عندما طمع منه بما لا يستحقه من الرئاسة والتقدم بسبب نشأته فى أحضانه . وفيهم من أصابهم من عثمان شيء من التعزير لبوادى بدرت منهم تخالف أدب الإسلام ، فأغضبهم التعزير الشرعى من عثمان ، ولو أنهم قد نالهم من عمر أشد منه لرضوا به طائعين ، وفيهم المتعجلون بالرياسة قبل أن يتأهلوا لها اغتراراً بما لهم من ذكاء خلاب أو فصاحة لا تغذيها الحكمة ، فثاروا متعجلين بالأمر قبل إبانته ، وبالإجمال ، فإن الرحمة التى جبل عليها عثمان وامتأ بها قلبه أطمعت الكثيرين فيه ، وأرادوا أن يتخذوا من رحمته مطية لأهوائهم ، ولعلى إذا اتسع لى الوقت أنفرغ لدراسة نفسيات هؤلاء الخوارج على عثمان ، وتنظيم المعلومات الصحيحة التى بقيت لنا عنهم ، ليكون من ذلك درس وعبرة لطلاب التاريخ الإسلامى . (خ) .

فوعظوا وزجروا <sup>(٥٣)</sup> ، وأقاموا [ بحمص ] عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد <sup>(٥٤)</sup> [ يؤنبهم ويؤدبهم ] ، حتى تابوا <sup>(٥٥)</sup> فأرسل بهم إلى عثمان فتابوا <sup>(٥٦)</sup> . وخيرهم فاختاروا التفرق في البلاد ، فأرسلهم . فلما سار كل إلى ما اختار أنشؤوا الفتنة ، وألبوا الجماعة ، وجأؤوا إليه <sup>(٥٧)</sup> بجملتهم ، فاطلع عليهم من حائط داره ووعظهم وذكرهم ، وورعهم عن دمه <sup>(٥٨)</sup> ، وخرج طلحة يبكى ويورع الناس ، وأرسل على ولديه <sup>(٥٩)</sup> ، وقال الناس لهم <sup>(٦٠)</sup> : إنكم أرسلتم إلينا « أقبلوا إلى من غيّر سنة الله <sup>(٦١)</sup> » فلما جئنا قعد هذا في بيته يعنون علياً - وخرجت أنت <sup>(٦٢)</sup> تفيض عينيك

<sup>(٥٣)</sup> وقد وعظهم وزجرهم أهل العافية والحكمة والرضا من أعيان أمصارهم وعلمائها في الكوفة والبصرة والفسطاط ، ثم وعظهم وزجرهم معاوية في مجالس له معهم عندما سيرهم عثمان إلى الشام كما سيجيء عند كلام المؤلف على سطوهم على المدينة - بحجة الحج - فحولوا حجهم الكاذب إلى البغي على خليفتهم وسفك دمه الحرام في جوار قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام . ( خ ) .

<sup>(٥٤)</sup> وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد والياً لمعاوية على حمص وما يليها من شمال الشام إلى أطراف جزيرة ابن عمر ، وسيأتى الحديث عن أحوالهم عندما قبض عليهم هذا الشبل المخزومي بمثل مخالف أبيه . ( خ ) .

<sup>(٥٥)</sup> بل تظاهروا بأنهم تابوا ، « وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم » . ( خ ) .

<sup>(٥٦)</sup> خيرهم عبد الرحمن بن خالد في أن يذهبوا إلى عثمان ، فذهب كبيرهم الأشتر النخعي ، وله قصة تذكرها في موضعها من هذا الكتاب . ( خ ) .

<sup>(٥٧)</sup> أى إلى أمير المؤمنين عثمان . ( خ ) .

<sup>(٥٨)</sup> ورعهم عن الشيء : كنفهم ومنعهم بالحجة والحق المنير . ( خ ) .

<sup>(٥٩)</sup> ليكونا في حراسة أمير المؤمنين عثمان ، ويدافعا عنه بالسلاح إذا شاء . ( خ ) .

<sup>(٦٠)</sup> أى قال البغاة يخاطبون علياً وطلحة والزبير . ( خ ) .

<sup>(٦١)</sup> زعم البغاة أنهم تلقوا من على وطلحة والزبير رسائل يدعونهم بها للشورة على عثمان بدعوى أنه غيّر سنة الله . وسيأتى إنكار على وطلحة والزبير إنهم كتبوا بذلك ،

والظاهر أن الفريقين صادقان ، وأن منظّمى الفتنة من السبّيين زوروا الرسائل التي ذكرها

البغاة الثائرون . ( خ ) .

<sup>(٦٢)</sup> الخطاب لطلحة بن عبيد الله . ( خ ) .

والله لا برحنا حتى نريق دمه .

وهذا قهر عظيم ، وافستاث على الصحابة ، وكذب في وجوههم وبهت لهم . ولو أراد عثمان لكان مستنصرًا بالصحابة ، ولنصروه في لحظة (٦٣) . وإنما جاء القوم مستجيرين متظلمين (٦٤) . فوعظهم ، فاستشاطوا ، فأراد الصحابة [ إليهم ] (٦٥) ، فأوعز إليهم عثمان لا يقاتل أحد بسببه أبدًا . فاستسلم ، وأسلموه برضاه . وهى مسألة من الفقه كبيرة : هل يجوز لرجل أن يستسلم ، أم يجب عليه أن يدافع عن نفسه ؟

وإذا استسلم وحرّم على أحد أن يدافع عنه بالقتل ، هل يجوز لغيره أن يدافع عنه ولا يلتفت إلى رضاه ؟ اختلف العلماء فيها . فلم يأت عثمان منكرًا لا فى أول الأمر ، ولا فى آخره ، ولا جاء الصحابة بمنكره وكل ما سمعت من خبر باطل إياك أن تلتفت إليه (٦٦) .

\*\*\*

(٦٣) ولقد راوده فى ذلك مرارًا ، وعرض عليه معاوية أن ينقل دار الخلافة إلى الشام ، أو يده بجند من الشام لا يعرف له التاريخ إلا التقدم والظفر . (خ) . (٦٤) أى أن البغاة ظهروا بمظهر المتظلم ، وهو يدعى أمورًا يشكوها ، فكان عثمان يرى لهم حقًا عليه أن يبين لهم وللناس حجته فيما ادعوا ، ووجهة نظره فى الأمور التى زعموا أنهم جاؤوا يتظلمون منها (خ) . (٦٥) كذا فى جميع النسخ « إليهم » ( إلا أن الشيخ محب الدين غيره إلى « لهم » دون أن يشير إلى ذلك ، والظاهر أن النص كما هو مثبت والمقصود منه أنهم أرادوا القيام إليهم ومدافعتهم عن عثمان [ من تعليق الدكتور عمار طالبي ] . (٦٦) ومعيار الأخبار فى تاريخ كل أمة الوثوق من مصادرها ، والنظر فى ملائمتها لسجاياء الأشخاص المنسوبة إليهم ، وأخبار التاريخ الإسلامى نقلت عن شهود عيان ذكروها لمن جاؤوا بعدهم ، وهؤلاء رورها لمن بعدهم . وقد اتّبدس فى هؤلاء الرواة أناس من أصحاب الأغراض زوروا أخبارًا على لسان آخرين وروجوها فى الكتب إما تقريبًا لبعض أهل الدنيا ، أو تعصبًا لنزعة يحسبونها من الدين . ومن مزايا التاريخ الإسلامى « =



## قاصمة

قالوا [ مبعدين ] (٦٧) ؛ متعلقين برواية كذايين : جاء عثمان في ولايته بمظالم ومناكير ، منها :

- ١ - ضربه لعمار حتى فشق أمعاءه .
- ٢ - ولابن مسعود حتى كسر أضلاعه ، ومنعه عطاءه .
- ٣ - وابتدع في جمع القرآن وتأليفه ، وفي حرق المصاحف .
- ٤ - وحمى الحمى .
- ٥ - وأجلى أبا ذر إلى الربذة .
- ٦ - وأخرج من الشام أبا الدرداء .
- ٧ - ورد الحكم بعد أن نفاه رسول الله ﷺ .

٩ - ١٢ - وولى معاوية ، ( وعبد الله بن عامر بن كريز ) (٦٨) ، ومروان وولى

= تبعاً لما جري عليه علماء الحديث - أنه قد تخصص فريق من العلماء في نقد الرواية والرواة ، وتميز الصادقين منهم عن الكذبة ، حتى صار ذلك علماً محترماً له قواعد ، وألفت فيه الكتب ، ونظمت للرواة معاجم حافلة بالتراجم ، فيها التنبيه على مبلغ كل راوٍ من الصدق والتثبت والأمانة في النقل ، وإذا كان لبعضهم نزعات حزبية أو مذهبية قد يجنح معها إلى الهوى ذكروا ذلك في ترجمته ليكون دارس أخبارهم ملماً بنواحي القوة والضعف من هذه الأخبار . والذين يتهجمون على الكتابة في تاريخ الإسلام وتصنيف الكتب فيه قبل أن يستكملوا العدة لذلك - ولا سيما في نقد الرواة ومعرفة ما حققه العلماء في عدالتهم أو تحريجهم - يقعون في أخطاء كان في إمكانهم أن لا يقعوا فيها لو أنهم استكملوا وسائل العلم بهذه النواحي . ( خ ) .

(٦٧) مفترين وغيرها الشيخ محب الدين الخطيب إلى متعددين . والصواب ( مبعدين ) كما في عدة نسخ .

(٦٨) سقط اسم ابن كريز من الأصل سهواً من الناسخ أو من الطابع في مطبوعة الجزائر ، مع =

الوليد بن عقبة وهو فاسق ليس من أهل الولاية .

١٣ - وأعطى مروان خمس إفريقية .

١٤ - وكان عمر يضرب بالدرة وضرب هو بالعصا (٦٩) .

١٥ - وعلا على درجة رسول الله ﷺ وقد انحط عنها أبو بكر وعمر .

١٦ - ولم يحضر بدرًا ، وانهمز يوم أحد ، وغاب عن بيعة الرضوان .

١٧ - ولم يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان ( الذى أعطى السكين إلى أبي لؤلؤة ، وحرصه على عمر حتى قتله ) .

١٨ - وكتب مع عبده على [ جهله ] كتابا إلى ابن أبي سرح فى قتل من ذكر فيه (٧٠) .

\*\*\*

### عاصمة

هذا كله باطل سندًا ومتنا . أما قولهم « جاء عثمان بمظالم ومناكير » فباطل (٧١) .

١ - ٢ وأما ضربه [ لعمار وابن مسعود ومنعه عطاءه فزور (٧٢) ، وضربه لعمار

= أنه ذكر فى الدفاع الآتى بعد . مطبوعة الجزائر طبعت على أصل سقيم بخط ناسخ غير متمكن . وقد وقع تقديم وتأخير فى ترتيب التهم وأجوبتها ، ويلوح لنا أن مجلد الأصل المخطوط الذى طبعت عليه مطبوعة الجزائر وضع بعض الورق فى غير مواضعه عند التجليد ، فأعدنا ترتيب التهم وأجوبتها على نسق ، ولم نزد على الأصل كلمة ولم نقص منه كلمة . وبذلك تلافينا الاضطراب الذى كان بادياً للقارئ فى المطبوعة الجزائرية . ( خ ) .

(٦٩) الدرة عصا صغيرة يحملها السلطان يزرع بها . ( خ ) .

(٧٠) انظر فى الجواب على هذه الاتهامات كتابي (العشرة المبشرون بالجنة) ص ١٢١ - ١٢٥ ،

وكتاب ( عبد الله بن سبأ وأثره فى إحداث الفتنة ) ( ٥ - ١١٩ ) للشيخ سلمان العودة .

(٧١) كما ترى من الأدلة التى سيوردها المؤلف فى نقض هذه التهم واحدة بعد واحدة حتى

أتى على آخرها . ( خ ) .

(٧٢) تقدم فى هامش ص ٧٠ ) قول عبد الله بن مسعود لما بوع عثمان : « بايعنا خيرنا ولم=

إفك مثله ، ولو فتق أمعاء ما عاش أبداً (٧٣) .

= نال « وروى » ولينا أعلنا ذا فوق ولم نأل » . وعند ولاية عثمان كان ابن مسعود واليا لعمر على أموال الكوفة ، وسعد بن أبي وقاص والياً على صلاتها وحربها ، فاختلف سعد وابن مسعود على قرض استقرضه سعد - كما سيأتى - فعزل عثمان سعداً وأبقى ابن مسعود . وإلى هنا لا يوجد بين ابن مسعود وخليفته إلا الصفوة . فلما عزم عثمان على تعميم مصحف واحد فى العالم الإسلامى يجمع أصحاب رسول الله ﷺ على أنه هو المصحف الكامل الموافق لآخر عرضة عرض بها كتاب الله عز وجل على رسوله ﷺ قبل وفاته ، كان ابن مسعود يود لو أن كتابة المصحف نيظت به ، وكان يود أيضاً لو يبقى مصحفه الذى كان يكتبه لنفسه فيما مضى . فجاء عمل عثمان على خلاف ما كان يوده ابن مسعود فى الحالتين : أما فى اختيار عثمان زيد بن ثابت لكتابة المصحف الموحد فلأن أبا بكر وعمر اختاراه قبل ذلك لهذا العمل فى خلافة أبى بكر ، بل إن أبا بكر وعمر اختارا زيد بن ثابت فى البداية لأنه هو الذى حفظ العرضة الأخيرة لكتاب الله على الرسول صلوات الله عليه قبيل وفاته ، فكان عثمان على حق فى هذا ، وهو يعلم كما يعلم سائر الصحابة مكانة ابن مسعود وعلمه وصدق إيمانه . ثم كان على حق أيضاً فى غسل المصاحف الأخرى كلها ومنها مصحف ابن مسعود ، لأن توحيد كتابة المصحف على أكمل ما كان فى استطاعة البشر هو من أعظم أعمال عثمان بإجماع الصحابة ، وكان جمهور الصحابة فى كل ذلك مع عثمان على ابن مسعود ( انظر منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣/ ١٩١ ، ١٩٢ ) . وعلى كل حال فإن عثمان لم يضرب ابن مسعود ولم يمنعه عطاءه ، وبقي يعرف له قدره كما بقى ابن مسعود على طاعته لإمامه الذى بايع له وهو يعتقد أنه خير المسلمين وقت البيعة . (خ) .

(٧٣) روى الطبرى (٩٩/٥) عن سعيد بن المسيب أنه كان بين عمار وعباس بن عتبة بن أبى لهب خلاف حمل عثمان على أن يؤدبهما عليه بالضرب قلت وهذا مما يفعله ولى الأمر فى مثل هذه الأحوال قبل عثمان وبعده ، وكم فعل عمر مثل ذلك بأمثال عمار ومن هم خير من عمار بما له من حق الولاية على المسلمين . ولما نظم السبأيون حركة الإشاعات ، وصاروا يرسلون الكتب من كل مصر إلى الأمصار الأخرى بالأخبار الكاذبة فأشار الصحابة على عثمان بأن يبعث رجالا ممن يثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليه بحقيقة الحال ، تناسى عثمان ما كان من عمار وأرسله إلى مصر ليكون موضع ثقته فى كشف حالها ، فأبطأ عمار فى مصر ، والتف به السبأيون ليستميلوه إليهم ، فندارك عثمان =

وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوه لا ينبغي أن تشتغل بها لأنها مبنية على

= وعامله في مصر هذا الأمر وجيء بعمار إلى المدينة مكرماً . وعاتبه عثمان لما قدم عليه فقال له على ما رواه الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق (٧/٤٢٩) : « يا أبا اليقظان قذفت ابن أبي لهب أن قذفتك . . وغضبت على أن أخذت لك بحقك وله بحقه . اللهم قد وهبت ما بنى وبين أمتى من مظلمة ، اللهم إني متقرب إليك بإقامة حدودك في كل أحد ولا أبالي . اخرج عني يا عمار » فخرج ، فكان إذا لقي العوام نضح عن نفسه وانتفى من ذلك ، وإذا لقي من يأمنه أقر بذلك وأظهر الندم ، فلامه الناس وهجروه وكرهوه . قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٣/١٩٢-١٩٣) : وعثمان أفضل من كل من تكلم فيه ، هو أفضل من ابن مسعود ، وعمار ، وأبي ذر ، ومن غيرهم من وجوه كثيرة كما ثبت ذلك بالدلائل ، فليس جعل كلام المفضول قادحا في الغاضل بأولى من العكس . وكذلك ما نقل من تكلم عمار في عثمان ، وقول الحسن فيه (أى من عمار) . نقل أن عماراً قال : لقد كفر عثمان كفره صلحاء . فأنكر الحسن بن علي ذلك عليه ، وكذلك على وقال له : يا عمار ، أنكفر برب آمن به عثمان ؟ قال ابن تيمية : وقد تبين من ذلك أن الرجل المؤمن الذي هو ولي لله قد يعتقد كفر الرجل المؤمن الذي هو ولي لله ، ويكون مخطئاً في هذا الاعتقاد ولا يقدح هذا في إيمان واحد منهما وولايته . كما ثبت في الصحيح أن أسيد بن حضير قال لسعد بن عباد بحضرة النبي ﷺ : إنك منافق تجادل عن المنافقين . وكما قال عمر بن الخطاب لحاطب بن أبي بلتعة دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق . فقال ﷺ : « إنه قد شهد بدرًا ، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » (\*) فعمر أفضل من عمار ، وعثمان أفضل من حاطب بن أبي بلتعة بدرجات كثيرة ، وحجة عمر فيما قال لحاطب أظهر من حجة عمار ، ومع هذا فكلاهما من أهل الجنة ، فكيف لا يكون عثمان وعمار من أهل الجنة وإن قال أحدهما للآخر ما قال . مع أن طائفة من العلماء أنكروا أن يكون عمار قال ذلك . . . ثم قال شيخ الإسلام : وفي الجملة ، فإذا قيل إن عثمان ضرب ابن مسعود أو عماراً فهذا لا يقدح في أحد منهم . فإننا نشهد أن الثلاثة في الجنة ، وإنهم من أكابر أولياء الله المتقين . وإن ولي الله قد يصدر عنه ما يستحق عليه العقوبة الشرعية ، فكيف بالتعزير . وقد ضرب عمر بن الخطاب أبي بن كعب بالدرة لما رأى الناس يمشون خلفه وقال : « هذا ذلة للتابع وفتنة =

(\*) رواه البخارى (٧-٣٠-٤٢٧٤ ، ٤٨٩٠) ، ومسلم (٢٤٩٤) وأصحاب السنن إلا ابن ماجه عن علي .

باطل (٧٤)، ولا يبنى حق على باطل . ولا تذهب الزمان فى مماشاة الجهال ، فإن ذلك لا آخر له .

٣- وأما جمع القرآن ، فتلك حسنة العظمى ، وخصلة الكبرى ، وإن كان وجدها كاملة ، لكنه أظهرها ورد الناس إليها ، وحسم مادة الخلاف فيها . وكان نفوذ وعد الله بحفظ القرآن على يديه حسبما بيناه فى كتب القرآن وغيرها (٧٥) .

روى الأئمة بأجمعهم (٧٦) أن زيد بن ثابت قال : أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة (٧٧)، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : « إن عمر أتانا فقال : إن

= للمتبوع » . فإن كان عثمان أدب هؤلاء ، فإما أن يكون عثمان مصيباً فى تعزيزهم لاستحقاقهم ذلك ، ويكون ذلك الذى عزروا عليه تابعوا منه وكفر عنهم بالتعزيز وغيره من المصائب أو بحسناتهم العظيمة أو بغير ذلك . وإما أن يقال كانوا مظلومين مطلقاً . فالقول فى عثمان كالقول فيهم وزيادة ، فإنه أفضل منهم ، وأحق بالمغفرة والرحمة . إلخ ( خ ) .

(٧٤) أى على ادعاء الكاذبين أعداء أصحاب رسول الله ﷺ أن أمير المؤمنين عثمان ضرب عماراً حتى فتق أمعاءه ، وضرب ابن مسعود حتى كسر أضلاعه ومنعه عطاءه . ( خ ) . (٧٥) قد قمنا بعمل ترجمة جديدة لابن العربى فانظر هذه الكتب مفصلة فيها .

(٧٦) وفى مقدمتهم الإمام أحمد فى مسنده (١/١٣ الطبعة الأولى - رقم ٧٦ الطبعة الثانية ١٨٨/٥ - ١٨٩ الطبعة الأولى) والإمام البخارى فى صحيحه ( كتاب التفسير : ٦٥ السورة ٩ ب ٢٠ ج ٥ ص ٢١٠ - ٢١١ . وكتاب فضائل القرآن ك ٦٦ ب ٣ ، ٤ ج ٦ ص ٩٨ ، ٩٩ . وكتاب الأحكام ك ٩٣ ب ٣٧ ج ٨ ص ١١٨ - ١١٩ . وكتاب التوحيد ك ٩٧ ب ٢٢ ج ٨ ص ١٧٦ - ١٧٧ ) . ( خ ) .

(٧٧) وذلك لما ارتدت بنو حنيفة برئاسة مسيلمة الكذاب وبتحريض عدو الله الرجال بن عنفوة ابن نهشل الحنفى . وكانت قيادة المسلمين لسيف الله خالد بن الوليد ، واستشهد فى هذه الملحمة زيد بن الخطاب أخو عمر ، وكان حفظة القرآن من الصحابة يتواصون بينهم ويقولون : يا أصحاب سورة البقرة بطل السحر اليوم . وتخطط خطيب الأنصار وحامل لوائهم ثابت بن قيس ولبس كفته وحفر لقدميه فى الأرض إلى أنصاف ساقيه ولم يزل يقاتل وهو ثابت بالراية فى موضعه حتى استشهد . وقال المهاجرون لسالم مولى أبى حذيفة : اتخشى أن نوتى من قبلك ؟ فأجاب بشس حامل القرآن أنا إذن ! وقاتل حتى =

القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تجمع القرآن ، قلت لعمر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير . فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر . قال زيد : قال [ لى ] أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نهملك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ . فتبع القرآن فاجمعه . فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما [ كلفانى وأمرانى ] به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : « هذا والله خير » . فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر . فتتبع القرآن أجمعه من العصب واللخاف وصدور الرجال (٧٨) ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع [ أبى ] خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » حتى خاتمة براءة .<sup>٤</sup>

فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند

= استشهد . وقال أبو حذيفة : زينوا القرآن بالفعال ، وما زال يقاتل حتى أصيب . وعن استشهد يومئذ حزن بن أبى وهب المخزومى جد سعيد بن المسيب وكان شعاع الصحابة يومئذ : وامحمداه ! وصبروا يومئذ صبراً لم يعهد مثله حتى أبلجوا المرتدين إلى حديقة الموت فاعتصم فيها مسيلمة ورجاله . فقال البراء بن مالك : يا معشر المسلمين ألقونى عليهم فى داخل الحديقة أفتح لكم بابها . فاحتملوه فوق الجحف ورفعه بالرماح والقوه فى الحديقة من فوق سورها ، فما زال يقاتل المرتدين دون بابها حتى فتحه ودخل المسلمون وكان النصر . وعن اقتحم الحديقة أبو دجاجة من مجاهدى بدر حتى وصل إلى مسيلمة وعلاه بالسيف فقتله ، وكسرت رجله فى تلك الواقعة ثم نال الشهادة . وفى البداية والنهاية (٦/ ٣٣٤ - ٣٤٠) أسماء كثيرين من شهداء هذا اليوم العظيم فى الإسلام ، ومنهم حفظة كتاب الله . ( خ ) .

(٧٨) العصب ( جمع عسيب ) أى جريدة النخل ، وهى السعفة التى لا يثبت عليها الخوص . واللخاف ( جمع لخرة ) وهى حجارة بيض رقاق . كانوا يكتبون عليهما إذا تعذر الورق ( خ ) .

حفصة بنت عمر . حتى قدم حذيفة بن اليمان على عثمان (٧٩) ، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، [ فأفزع ] حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك . فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبى ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف (٨٠) .

(٧٩) وحديثه عن ذلك في صحيح البخارى ( ك ٦٦ ب ٣ - ج ٦ ص ٩٩ ) عن ابن شهاب الزهري عن أنس بن مالك . ( خ ) .

(٨٠) العناية التى بذلها عظيم الإسلام أبو بكر وعمر ، وأتمها أخوهما وصنوهما ذو النورين عثمان فى جمع القرآن وتثبيتته وتوحيد رسمه ، كان لهم بها أعظم المنّة على المسلمين ، وبها حقق الله وعده فى قوله سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ . وقد تولى الخلافة بعد هؤلاء الشيوخ الثلاثة أمير المؤمنين على فأمضى عملهم وأقر مصحف عثمان برسمه وتلاوته ، فى جميع أصصارات ولايته . وبذلك انعقد إجماع المسلمين فى الصدور الأول على أن ما قام به أبو بكر وعمر وعثمان هو أعظم حسناتهم . بل نقل بعض علماء الشيعة هذا الإجماع على لسان أمير المؤمنين على بن أبى طالب . جاء فى كتاب تاريخ القرآن لأبى عبد الله الزنجاني ( ص ٤٦ ) أن على بن موسى المعروف بابن طاوس ( ٥٨٩ - ٦٦٤ ) وهو من علمائهم نقل فى كتابه ( سعد السعود ) عن الشهرستاني فى مقدمة تفسيره عن سويد بن علقمة قال : سمعت على بن أبى طالب عليه السلام يقول : « أيها الناس ، الله ، الله ، إياكم والغلو فى أمر عثمان ، وقولكم حراق المصاحف ، فوالله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ ، جمعنا وقال : ما تقولون فى هذه القراءة التى اختلف الناس فيها ، يلقي الرجل الرجل فيقول قراءة خيرة من قراءتك ، وهذا يجبر إلى الكفر ؟ فقلنا : ما رأى ؟ قال : أريد أن أجمع الناس على مصحف واحد ، فإنكم إن اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافًا . فقلنا : نعم ما رأيت » . وما لا ريب فيه أن البغاة أنفسهم كانوا فى خلافة على عليه السلام يقرؤون فى مصاحف عثمان التى أجمع عليها الصحابة وعلى فيهم . لكن نجم لهم أذنان فى العصور التالية فضحوا أنفسهم بسخفهم وكفرهم ، كشيطان الطاق محمد بن جعفر الرافضى فيما رواه الإمام ابن حزم فى ( الفصل ٤ : ١٨١ عن الجاحظ قال : أخبرنى =

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : « إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم » ففعلوا . حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة ومصحف أن يحرق .

قال ابن شهاب (٨١) : وأخبرنى خارجة بن زيد بن ثابت أنه سمع زيد بن ثابت قال : « فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة الأنصارى » من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه « فألقناها فى سورتها فى المصحف » .

= أبو إسحاق إبراهيم النظام وبشر بن خالد أنهما قالا لمحمد بن جعفر الرافضى المعروف بشيطان الطاق ويحك أما استحييت من الله أن تقول فى كتابك فى الإمامة : أن الله تعالى لم يقل قط فى القرآن « ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » ؟ قال : فضحك والله شيطان الطاق ضحكا طويلا حتى كأننا نحن الذين أذنبنا . وشيطان الطاق هذا أكبر دعاة الشيعة فى زمن الإمامين زيد ، وابن أخيه جعفر الصادق وهو الذى ابتدع أكذوبة أن الإمامة معهود بها إلى أشخاص بأعيانهم ، ولم يكن أحد يقول بذلك قبل شيطان الطاق هذا . وأنكرها عليه الإمام زيد فى مجلس جعفر .

ودعوى الرافضة بتبديل القرآن ، مع تصريح على بإجماع الصحابة على ما قام به عثمان ، صارت مادة دسمة لدعاة النصارى يحتجون بها ، فقال لهم الإمام ابن حزم فى الفصل (٢ : ٧٨) : « إن الروافض ليسوا من المسلمين . . . وهى طائفة تجرى مجرى اليهود والنصارى فى الكذب والكفر » . قلت : وآخر من افتضح منهم بهذا الأمر وفضح به الشيعة جميعا حسين بن محمد تقى النورى الطبرسى بكتابه الذى اقترفه فى المشهد المنسوب لأمير المؤمنين على فى النجف سنة ١٢٩٢ وطبع فى إيران سنة ١٢٩٨ وعندى نسخة منه . وإن من طبيعة التحزب والتعصب والتشيع أن يذهب بعقول أصحابه وأخلاقهم ، ثم يذهب بحياتهم ودينهم ، كما برهن على ذلك علماء علم النفس الاجتماعى وفى مقدمتهم الدكتور غوستاف لوبون . (خ) .

(٨١) فيما رواه عنه الإمام البخارى فى صحيحه (ك ٥٦ ب ١٢ ج ٣ ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، وك ٦٤ ب ١٧ ، ج ٥ ص ٣١ ، ك ٦٥ سورة ٩ ب ٢٠ والسورة ٣٣ ب ٣ ، وك ٦٦ ب ٣ ، ٤ ، وك ٩٣ ب ٩٧ ، وك ٩٧ ب ٢٢ ) (خ) .



وأما ما روى أنه حرقها أو خرقها - بالحاء المهملة أو الخاء المعجمة ، وكلاهما جائز - إذا كان في بقائها فساد ، أو كان فيها ما ليس من القرآن أو ما نسخ منه ، أو على غير نظمه ، وقد (٨٢) سلم في ذلك الصحابة كلهم (٨٣) إلا أنه روى عن ابن مسعود أنه خطب بالكوفة فقال : « أما بعد فإن الله قال : ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران : ١٦١] وإني غال مصحفى ، فمن استطاع منكم أن يغلل مصحفه فليفعل » . وأراد ابن مسعود أن يؤخذ بمصحفه ، وأن يثبت ما يعلم فيه . فلما لم يفعل ذلك له قال ما قال ، فأكرهه عثمان على رفع مصحفه ، ومحا رسومه فلم تثبت له قراءة أبداً ، ونصر الله عثمان والحق بمحوها من الأرض » (٨٤) .

(٨٢) في جميع النسخ [ وقد ] ، فأصلحها الشيخ محب الخطيب ( فقد ) .  
(٨٣) ولقد حاول بعض الناس أن يلوموا عثمان رضي الله عنه على أمره بإحراق المصاحف ، فقال لهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لو لم يصنعه عثمان لصنعه أنا ، فجزى الله عثمان عن الأمة خير الجزاء ، فقد أحسن وبر فيما صنع ، وكان له فضل في رد الناس إلى قراءة واحدة كفضل أبي بكر في جمع القرآن ( راجع الإتيان للسيوطي ) . (م) .

(٨٤) عبد الله بن مسعود من كبار علماء الصحابة ومن أجودهم قراءة لكتاب الله . وقد أثنى رسول الله ﷺ مرة على حسن تلاوة ابن مسعود للقرآن ، فتسارع أبو بكر وعمر ليوصلا إليه بشرى بهذا الثناء النبوي . ( انظر مسند أحمد ١ : ٢٥ - ٢٦ الطبعة الأولى - رقم ١٧٥ الطبعة الثانية ) . إلا أن ابن مسعود كان يكتب ما يوحى من القرآن في مصحفه كلما بلغه نزول آيات منه ، فهو يختلف في ترتيب هذه الآيات عما امتازت به مصاحف عثمان من الترتيب بحسب العرض الأخير على رسول الله ﷺ بقدر ما أدى إليه اجتهاد الصحابة المؤيد بإجماعهم . ويحتمل أن يكون ابن مسعود فاته في مصحفه بعض ما استقصاه زيد بن ثابت وزملاؤه من الآيات التي كانت عند آخرين من قراء الصحابة . زد على ذلك أن ابن مسعود كان تغلب عليه لهجة قومه من هذيل ، والنبى ﷺ رخص لمثل ابن مسعود أن يقرؤوا بلهجاتهم ، ولكن ليس لابن مسعود أن يحمل الأمة في زمنه والأزمان بعده على لهجته الخاصة ، فكان من الخير توحيد (\*) الأمة على قراءة كتاب

(\*) قال ابن كثير في « فضائل القرآن » : « ادعى الطحاوى والباقلانى وابن عبد البر أن قراءة القرآن على سبع لغات كان رخصة في أول الأمر ، ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الحفظ وكثرة الضبط وتعلم الكتابة !! » . (م) . قلت : انظر كتابي ( الأحرف السبعة والقراءات السبع ) لتقف على حقيقة ذلك ( ع ) .

٤ - وأما [ أمر ] الحمى ، فكان قديماً (٨٥) ، فيقال : إن عثمان زاد فيه لما زادت الراحية . وإذا جاز أصله للحاجة إليه جازت الزيادة لزيادة الحاجة .

ربها باللهجة المضرة التي كان عليها رسول الله ﷺ .

(٨٥) كان الشريف في الجاهلية إذا نزل أرضاً في حيه استعوى كلباً ، فحمى لحيله وإبله وسوائمه مدى عواء الكلب لا يشركه فيه غيره . فلما جاء الإسلام نهى النبي ﷺ « لا حمى إلا الله ورسوله » (\*\*\*) رواه البخارى من حديث الصعب بن جثامة في كتاب المساقاة (ك ٤٢ ب ١١) وكتاب الجهاد (ك ٥٦ ب ١٤٦) من صحيحه . ورواه الإمام أحمد في مسنده (٤ / ٧١ ، ٧٣ الطبعة الأولى) من حديث الصعب بن جثامة أيضاً . وقد حمى رسول الله ﷺ مكاناً يسمى ( النقيع ) وهو « نقيع الخضعات » كما في مسند الإمام أحمد (٢ / ٩١ ، ١٥٥ ، ١٥٧ الطبعة الأولى - رقم ٥٦٥٥ ، ٦٤٣٨ ، ٦٤٦٤ الطبعة الثانية) من حديث أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ حمى النقيع للخيـل . قال حماد بن خالد راوى هذا الحديث عن عبد الله بن عمر العمري : يا أبا عبد الرحمن خيله ؟ قال : خيل المسلمين ( أى المرصودة للجهاد ، أو ما يملكه بيت المال ) . والنقيع هذا فى المدينة على عشرين فرسخاً منها ومساحته ميل فى ثمانية أميال كما فى موطأ مالك برواية ابن وهب . ومعلوم أن الحال استمر فى خلافة أبى بكر على ما كان عليه فى زمن النبي ﷺ ، لأن أبا بكر لم يخرج عن شىء كان عليه الحال فى زمن النبي ﷺ ، لا سيما وأن حاجة الجهاد إلى الخيل والإبل زادت عن قبل . وفى زمن عمر اتسع الحمى فشمل ( سرف ) و ( الربذة ) ، وكان لعمر عامل على الحمى هو مولى له يدعى هنيئاً ، وفى كتاب الجهاد من صحيح البخارى (ك ٥٦ ب ١٨٠) من حديث زيد بن أسلم عن أبيه نص وصية أمير المؤمنين عمر لعامله هذا على الحمى بأن يمنع نعم الأثرياء كعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان ، وأن يتسامح مع رب الغنيمة ورب الصرمة لئلا تهلك ماشيتهما . وكما اتسع عمر فى الحمى عما كان عليه فى زمن النبي ﷺ وأبى بكر لزيادة سوائم بيت المال فى زمنه ، اتسع عثمان بعد ذلك لاتساع الدولة وازدياد الفتوح . فالذى أجاره النبي ﷺ لسوائم بيت المال ، ومضى على مثله أبو بكر وعمر ، يجوز مثله لبيت المال فى زمن عثمان ، ويكون الاعتراض عليه اعتراضاً على أمر داخل فى التشريع الإسلامى . ولما أجاب عثمان على مسألة الحمى عندما دافع عن نفسه على ملا من الصحابة أعلن أن =

٥ - وأما نفيه (\*) أبا ذر إلى الربذة فلم يفعل (٨٦) ، كان أبو ذر زاهداً ، وكان يقرع عمال عثمان ، ويتلو عليهم : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة] ، ويراهم يتسعون في المراكب والملابس حين وجدوا ، فينكر ذلك عليهم ، ويريد تفريق جميع ذلك من بين أيديهم ، وهو غير لازم . قال ابن عمر وغيره من الصحابة [ وهو الحق ] (\*\*): « إن ما أدبت زكاته فليس بكنز (٨٧) . فوقع بين أبي ذر ومعاوية كلام بالشام (٨٨) ، فخرج إلى المدينة ، فاجتمع إليه الناس ، فجعل يسلك تلك الطرق ، فقال له عثمان : « لو اعتزلت » . معناه : إنك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس . فإن للمخلطة شروطاً وللعزلة

= الذين يلون له الحمى اقتصروا فيه على صدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين ما يليها وبين أحد تنازع ، وأنهم ما منعوا ولا نحووا منها أحداً . وذكر عن نفسه أنه قبل أن يلي الخلافة كان أكثر العرب بعيداً وشاء ، ثم أمسى وليس له غير بعيرين لحجه وسأل من يعرف ذلك من الصحابة : أؤكدك ؟ قالوا : اللهم نعم . (خ) .

(٨٦) وإنما اختار أبو ذر أن يعتزل في الربذة فوافقه عثمان على ذلك كما سيأتي في ص ٨٨ ، وأكرمه وجهزه بما فيه راحته . (خ) .

(٨٧) انظر البيان الفقهي والتفصيل الشرعي لهذه المسألة في منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣ : ١٩٨ - ١٩٩) (خ) .

(٨٨) نقل الطبري (٥ : ٦٦) وأكثر المصادر الإسلامية أنه لما ورد ابن السوداء ( عبد الله بن سبأ ) الشام لقي أبا ذر فقال : يا أبا ذر ألا تعجب إلى معاوية يقول « المال مال الله ، ألا أن كل شيء لله » كأنه يريد أن يحتجته دون المسلمين ، ويمحو اسم المسلمين . فأثابه أبو ذر فقال : ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين « مال الله » ؟ قال معاوية : يرحمك الله يا أبا ذر ألسنا عباد الله والمال ماله والخلق خلقه والأمر أمره ؟ قال أبو ذر : فلا تقله . قال معاوية : فإنني لا أقول إنه ليس لله ، ولكن سأقول « مال المسلمين » . وأتى ابن السوداء ( عبد الله بن سبأ ) أبا الدرداء ، فقال له ( أبو الدرداء ) : من أنت أظنك والله يهودياً . فأتى ( ابن سبأ ) عبد الله بن الصامت ، فتعلق به ( ابن الصامت ) فأتى به معاوية فقال : هذا والله الذي بعث عليك أبا ذر . (خ) .

مثلها . ومن كان على طريقة أبي ذر فحاله يقتضى أن ينفرد بنفسه ، أو يخالط ويسلم لكل أحد حاله مما ليس بحرام فى الشريعة . فخرج إلى الربرة زاهداً فاضلاً ، وترك جلة فضلاء ، وكل على خير وبركة وفضل ، وحال أبى ذر أفضل ، ولا تمكن لجميع الخلق ، فلو كانوا عليها لهلكوا (٨٩) . فسبحان مرتب المنازل .

ومن العجب أن يؤخذ عليه فى أمر فعله عمر ، فقد روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سجن ابن مسعود فى نفر من الصحابة سنة بالمدينة حتى استشهد فأطلقهم عثمان ، وكان سجنهم لأن القوم أكثروا الحديث عن رسول الله ﷺ (٩٠) .

(٨٩) الذى تحصل عندى من تتبع نصوص الشريعة فى أمر المال ، ومراقبتى لتطبيق هذه النصوص فى سيرة السلف وعملهم بها ، أن المسلم له فى نفسه وذويه من المال الذى يملكه ما يكفيه ويكفيهم بالمعروف كأمثاله وأمثالهم من أهل العفة والقناعة والدين ، وما زاد عن ذلك فعليه أولاً أن يؤدى زكاته الشرعية مباشرة بحسب اجتهاده إن لم يكن أداها للحكومة الإسلامية العاملة بأحكام الشرع . وبعد أداء زكاته يكون صاحب المال فى امتحان من الله كيف يحسن التصرف فيه بما يرضى الله ويزيد المسلمين قوة وسعادة وعزاً ، فإن كان تاجراً فمن طريق التجارة ، أو مزارعاً فمن طريق الزراعة ، أو صاحب مصنع فمن طريق الصناعة . والإسلام فى دور قيامه استفاد من ثروة أغنياء الصحابة عوناً ويسراً وقوة . وتجارة التاجر المسلم إذا أغنت المسلمين عن متاجر أعدائهم تعتبر قوة لهم بقدر ما يصدق صاحبها فى هذه النية ، وكذلك مصنع الصانع المسلم ، وزراعة الزارع المسلم . والنية فى هذه الأمور أمرها عظيم ، وميزانها العمل عندما تمس الحاجة إليه . وبالجملـة فإن للمسلم أن يكون غنياً بلا تحديد ، بشرط أن يكون ذلك من حله ، وأن يكتفى منه بما يكفيه بالمعروف ، محاولاً دائماً أن يحرر نفسه من العبودية والانقياد للكماليات فضلاً عن توافه الحضارة وسفاسفها . وبعد أن يؤدى زكاة ما يملك يعتبر مازاد عن حاجته كالامانة لله تحت يده ، فيتصرف فيه بما يزيد المسلمين ثروة وقوة ويسراً وعزاً وسعادة . أما طريقة أبى ذر فى أن لا يبيت المسلم وعنده مال فليست الآن من مصلحة المسلمين وطريقة أغنياء المسلمين الآن - فى أن يعيشوا لأنفسهم ومتعمهم غير مباليين بعزة الإسلام وقوة دولته وحاجة أهله - فليست من الإسلام ، والإسلام لا يعرف الذين لا يعرفونه . ( خ ) .

(٩٠) فى كتاب الأحكام فى أصول الأحكام لابن حزم (٢: ١٣٩) خبر مرسل رواه شعبة عن=

وقع بين أبي ذر ومعاوية كلام ، وكان أبو ذر يطلق من الكلام ما لم يكن يقوله في زمان عمر ، فأعلم معاوية بذلك عثمان . وخشى من العامة أن تثور منهم فتنة ، فإن أبا ذر كان يحملهم على التزهّد وأمور لا يحتملها الناس كلهم ، وإنما هي مخصوصة ببعضهم ، فكتب إليه عثمان - كما قدمنا - أن يقدم المدينة ، فلما قدم اجتمع إليه الناس ، فقال لعثمان أريد الربرة<sup>(٩١)</sup> . فقال له : افعّل . فاعتزل . ولم يكن يصلح له إلا ذلك لطريقته<sup>(٩٢)</sup> .

= سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه ( إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ) قال : قال عمر لابن مسعود ولأبي الدرداء ولأبي ذر « ما هذا الحديث عن رسول الله ﷺ » . قال : وأحسبه لم يدعهم أن يخرجوا من المدينة حتى مات . وقد نبه ابن حزم على أن هذا الخبر مرسل ولا يجوز الاحتجاج به ، وعلق عليه الشيخ أحمد شاكر بأن البيهقي وافق ابن حزم على أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ( المتوفى سنة ٦٦ أو ٦٥ عن ٧٥ سنة ) لم يسمع من عمر<sup>(\*)</sup> . ولست أدري هل اعتمد ابن العربي في هذه الفقرة على هذا الخبر المرسل أم على خبر آخر لم نطلع عليه « (خ) .

(٩١) ولقد ذهب ضحية فرية نفى عثمان أبا ذر الشيخ محمد أبو زهرة فراح يقول في كتابه « المذاهب الإسلامية » ( ٤٢ / ١ ) : « فشكا « معاوية » « أبا ذر » إلى « عثمان » فأحضره إلى المدينة ، ثم نفاه إلى الربرة » هذا خلاف الحقيقة وقد ثبت لنا ذلك فيما سبق . ( م ) .

(٩٢) ذكر القاضي أبو الوليد بن خلدون في العبر ( بقية ٢ : ١٣٩ ) أن أبا ذر استأذن عثمان في الخروج من المدينة وقال : « إن رسول الله ﷺ أمرني أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعا<sup>(\*\*)</sup> » فإن له ، ونزل الربرة وبنى بها مسجداً ، وأقطعه عثمان صرمة من الإبل ، وأعطاه مملوكين ، وأجرى عليه رزقاً . وكان يتعاهد المدينة . وبين المدينة والربرة ثلاثة =

(\*) قلت : وقد ذكر الشيخ أحمد شاكر أيضاً فقال : ( وأثبت سماعه من عمر يعقوب بن شيبه والواقدي والطبري وغيرهم والظاهر أنه لم يسمع منه فإنه مات سنة ٩٦ أو ٩٥ وعمره ( ٧٥ سنة ) وأما سقاية فإنه قد سمع من سعد ) أو قلت : وأما ابن حزم فإنه شنع على هذا الخبر جداً وشنع على القائلين به . وقال : ( هذا مرسل ومشكوك فيه من شعبة فلا يصح ولا يجوز الاحتجاج به . ثم هو في نفسه ظاهر الكذب والتوليد لأنه لا يخلو عمر أن يكون اتهم الصحابة وفي هذا ما فيه أو يكون نهى عن نفس الحديث وعن تبليغ مسند سنن رسول الله إلى المسلمين وإلزامهم كتبها وجدها . . فهذا خروج عن الإسلام . . . إلخ كلامه ( ع ) .

(\*\*) إن هذا الكلام مبالغ فيه ، وقد جاء الإسلام ليطور البيئات المتحرفة ويصلحها ، لا ليتطور معها كالخرباء . . . وإلا كان لا معنى لنزوله !! وهذه حقيقة يجهلها الكثيرون ( م ) .

٦ - ووقع بين أبي الدرداء ومعاوية كلام . وكان أبو الدرداء زاهداً فاضلاً قاضياً لهم (٩٣) فلما اشتد في الحق، أخرج طريقة عمر في قوم لم يحتملوا عزلوه (٩٤) ، فخرج إلى المدينة .

وهذه كلها مصالح لا تقدر في الدين ، ولا تؤثر في منزلة أحد من المسلمين بحال . وأبو الدرداء وأبو ذر [ براءة ] (\*) من عاب ، وعثمان برىء أعظم براءة وأكثر نزاهة ، فمن روى أنه نفى وروى سبياً فهو كله باطل .

٧ - وأما رد الحكم فلم يصح (٩٥) .

وقال علماؤنا في جوابه : قد كان أذن له فيه رسول الله ﷺ . وقال ( أى

= أميال ، قال ياقوت : وكانت من أحسن منزل في طريق مكة .

(٩٣) أى في دمشق ( خ ) .

(٩٤) بل إن معاوية نفسه حاول السير على طريقة عمر ، كما نقل ذلك الحافظ ابن كثير في

البداية والنهاية ( ٨ / ١٣١ ) عن محمد بن سعد قال حدثنا عارم ، حدثنا حماد بن يزيد ،

عن معمر ، عن الزهري « أن معاوية عمل سنتين عمل عمر ما يخرم فيه . ثم إنه بعد

عن ذلك » . وقد يظن من لا نظر له في حياة الشعوب وسياستها أن الحاكم يستطيع أن

يكون كما يريد أن يكون حيثما يكون . وهذا خطأ ، فلليشة من التأثير في الحاكم وفي

نظام الحكم أكثر مما للحاكم ونظام الحكم (\*\*\*) من التأثير على البيئية ، وهذا من معاني

قول الله عز وجل : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ( خ ) .

(٩٥) أى لم يصح زعم البغاة على عثمان أن عثمان خالف في ذلك ما يقتضيه الشرع

( خ ) .

(\*) كذا في جميع النسخ وقد صححها الشيخ محب الدين هكذا [ بريثان ] ولم يشر إلى ذلك ( صفحة ٧٧ ) .

( م ) .

(\*\*) قال أبو ذر ( ١ ) : « والله ما سير عثمان أباً ذر ! ولكن رسول الله قال : ( وذكرت الحديث السابق ) فلما

بلغ البيان سلماً خرج أبو ذر إلى الشام . صححه الحاكم ووافقه الذهبي وبهذا الحديث تنهار الدعوى السابقة

إلى الخبيث !! ( م ) .

(١) قلت : قوله ( قال أبو ذر ) خطأ صوابه قالت أم ذر : والله ما سير عثمان أباً ذر ولكن رسول الله ﷺ قال :

( إذا بلغ البيان سلماً فاجرح منها ) قال أبو ذر : ( فلما بلغ البيان سلماً وجاوز خرج أبو ذر إلى الشام )

رواه الحاكم ( ٣ / ٣٤٤ ) برقم ( ٥٤٦٨ ) وصححه على شرط الشيخين وأقره الذهبي . ( ع ) .

عثمان) (٩٦) لأبي بكر وعمر ، فقالا له : إن كان معك شهيد رددناه . فلما ولى قضى بعلمه فى رده . وما كان عثمان ليصل مهجور رسول الله ﷺ ولو كان أباه ولا لينقض حكمه (٩٧) .

(٩٦) كتبها الشيخ منجب الدين وليست فى أى من النسخ ولكنه أراد توضيح السياق . (م) .  
 (٩٧) قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣: ١٩٦) : « وقد طعن كثير من أهل العلم فى نفيه ( أى فى نفي النبي ﷺ الحكم ) وقالوا ذهب باختياره . وقصة نفي الحكم ليست فى الصحاح ، ولا لها إسناد يعرف به أمرها » ثم قال « لم تكن الطلقاء تسكن بالمدينة ، فإن كان طرده فإنما طرده من مكة لا من المدينة ، ولو طرده من المدينة لكان يرسله إلى مكة . وقد طعن كثير من أهل العلم فى نفيه كما تقدم وقالوا : هو ذهب باختياره .. وإذا كان النبي ﷺ قد عزز رجلا بالنفى لم يلزم أن يبقى منفياً طول الزمان فإن هذا لا يعرف فى شيء من الذنوب ، ولم تأت الشريعة بذنوب يبقى صاحبه منفياً دائماً ... وقد كان عثمان شفع فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح فقبل ﷺ شفاعته فيه وباعه ، فكيف لا يقبل شفاعته فى الحكم ، وقد روى أن عثمان سأل أن يرده فأذن له فى ذلك . ونحن نعلم أن ذنبه دون ذنب عبد الله بن سعد بن أبى سرح . وقصة عبد الله ثابتة معروفة بالإسناد ، وأما قصة الحكم فإنما ذكرت مرسله ، وقد ذكرها المؤرخون الذين يكثر الكذب فيما يروونه ، فلم يكن هناك نقل ثابت يوجب القلح فيمن هو دون عثمان . والمعلوم من فضائل عثمان ومحبة النبي ﷺ وثنائه عليه وتخصيصه بابنتيه وشهادته له بالجنة وإرساله إلى مكة ومبايعته له عنه وتقديم الصحابة له فى الخلافة وشهادة عمر وغيره له بأن رسول الله ﷺ مات وهو عنه راض وأمثال ذلك مما يوجب العلم القطعى بأنه من أكابر أولياء الله المتقين الذين ﷺ ورضوا عنه . فلا يدفع هذا بنقل لا يثبت إسناده ولا يعرف كيف وقع ويجعل لعثمان ذنب بأمره لا تعرف حقيقته ... إلخ » وانظر أيضاً ٣: ٢٣٥ ، ٢٣٦ من منهاج السنة . ونقل الإمام أبو محمد ابن حزم فى كتاب ( الإمامة والمفاضلة ) المدرج فى الجزء الرابع من كتابه « الفصل » ص ١٥٤ قول من احتج لعثمان على من أنكروا ذلك عليه : « ونفى رسول الله ﷺ لم يكن حداً واجباً ، ولا شريعة على التأيد ، وإنما كان عقوبة على ذنب استحق به النفي ، والتوبة مبسوطه ، فإذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلا خلاف من أحد من أهل الإسلام ، وصارت الأرض كلها مباحة » . ونقل مجتهد الزيدية السيد محمد بن إبراهيم الوزير اليمنى ( المتوفى سنة ٨٤٠ ) فى كتابه الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى

٨ - أما ترك القصر: فاجتهاد، وإذ سمع أن الناس افتتنوا بالقصر، وفعلوا ذلك في منازلهم، فرأى أن السنة ربما أدت إلى إسقاط الفريضة، فتركها [مصلحة] (٩٨) خوف الذريعة (٩٩).

القاسم (١: ١٤١، ١٤٢) قول الحاكم المحسن بن كرامة المعتزلى المشيع فى كتابه سرح العيون إن رسول الله ﷺ أذن فى ذلك لعثمان .

قال ابن الوزير : إن المعتزلة والشيعية من الزيدية يلزمهم قبول هذا الحديث وترك الاعتراض على عثمان بذلك ، لأن راوى الحديث عندهم من المشاهير بالثقة والعلم وصحة العقيدة . ثم بسط ابن الوزير الكلام على هذا الموضوع بحجج واستدلالات استغرقت ثلاث صفحات دفاعاً عن أمير المؤمنين عثمان فى رده الحكم ، وهذه الحجج من أحد أئمة الزيدية ومجتهدين - بعد روايته ذلك الحديث عن الإمام المعتزلى المشيع - لها دلالتها الخاصة ، بعد الذى سمعته من إمامى أهل السنة شيخ الإسلام ابن تيمية والقاضى ابن العربى ، ومن إمام أهل الظاهر أبى محمد بن حزم ( خ ) .

(٩٨) ب ، ج - ، ر بدون هذه الكلمة ولكنها وجدت فى « د » ( م ) .

(٩٩) كان ذلك فى منى فى موسم الحج سنة ٢٩ . وقد عاتب عبد الرحمن بن عوف عثمان فى إتمامه الصلاة وهم فى منى ، فاعتذر له عثمان بأن بعض من حج من أهل اليمن وجفاة الناس قالوا فى العام الماضى : أن الصلاة للمقيم ركعتان ، وهذا إمامكم عثمان يصلى ركعتين . ثم قال عثمان لعبد الرحمن بن عوف : وقد اتخذت بمكة أهلاً ( أى أنه صار فى حكم المقيم ، لا المسافر ) ، فرأيت أن أصلى أربعاً لخوف ما أخاف على الناس . ثم خرج عبد الرحمن بن عوف من عند عثمان فلقى عبد الله بن مسعود وخاطبه فى ذلك فقال ابن مسعود : « الخلاف شر » (\*) قد بلغنى أنه صلى أربعاً فصليت

(\*) قد يعترض معترض ، فيقول : كيف يقول ابن مسعود : « الاختلاف شر » ، والحديث النبوى يقول : « اختلاف أمى رحمة » (١) وللإجابة عن هذا السؤال نقول : إن هذا الحديث لا أصل له . ولقد جهد المحدثون فى أن يفتقروا له على سند فلم يوفقوا ، حتى قال السيوطى فى « الجامع الصغير » : « ولعله خرج فى بعض كتب الحفاظ التى لم تصل إلينا » . وهذا بعيد عتدى إذ يلزم منه أنه ضاع على الأمة بعض أحاديثه ﷺ ، وهذا مما لا يليق بمسلم اعتقاده =

(١) حديث موضوع كما قال شيخنا العلامة الألبانى فى ( ضعيف الجامع ) ( ٢٣٠ ) والضعيفة ( ٥٧ ) وقد عزا السيوطى فى ( الجامع الصغير ) د/ نصر المقدسى فى ( الحجة ) والبيهقى فى الرسالة الأشعرية بغير سند . وأورده الحلیمى والقاضى حسين وإمام الحرمين وغيرهم ( ع ) .



بأصحابي أربعاً » . فقال عبد الرحمن بن عوف : « قد بلغني أنه صلى أربعاً فصليت بأصحابي ركعتين . وأما الآن فسوف يكون الذي تقول يعني : نصلي معه أربعاً » (الطبري ٥٦/٥ ، ٥٧) .

= ونقل المناوي عن السبكي أنه قال :

« وليس بمعروف عند المحدثين ، ولم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع » ، وأقره الشيخ زكريا الأنصاري في تعليقه على تفسير البيضاوي ( ٢/٩٢ ) .

ثم إن معنى هذا الحديث مستنكر عند المحققين من العلماء ، فقال العلامة ابن حزم في « الإحكام في أصول الأحكام » ( ٥/٦٤ ) بعد أن أشار إلى أنه ليس بحديث :

« وهذا من أفسد قول يكون ، لأنه لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق سخطاً ، وهذا مالا يقوله مسلم ، لأنه ليس إلا اتفاق أو اختلاف ، وليس إلا رحمة أو سخط » . وقال في مكان آخر « باطل مكذوب » .

وأن من آثار هذا الحديث السيئة أن كثيراً من المسلمين يقرون بسببه الاختلاف الواقع بين المذاهب الأربعة ولا يحاولون أبداً الرجوع بها إلى الكتاب أن مذهب هؤلاء الأئمة عليهم السلام بل إن أولئك لا يرون أن مذاهب هؤلاء الأئمة عليهم السلام إنما هي كشرائع متعددة ! ( كما صرح المناوي في « فيض القدير » ( ١/٢٠٩ ) ، يقولون هذا مع علمهم بما بينها من اختلاف وتعارض لا يمكن التوفيق بينها إلا برد بعضها المخالف للدليل وقبول البعض الآخر الموافق له ، وهذا مالا يفعلون ! وبذلك فقد نسبوا إلى الشريعة التناقض ! وهو وحده دليل على أنه ليس من الله عز وجل لو كانوا يتأملون قوله تعالى في حق القرآن : ( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ) فالآية صريحة في أن الاختلاف ليس من الله ، فكيف يصح إذن جعله شريعة متبعة . ورحمة منزلة ؟

وسبب هذا الحديث ونحوه ظل أكثر المسلمين بعد الأئمة الأربعة إلى اليوم مختلفين في كثير من المسائل الاعتقادية والعملية ؛ ولو أنهم كانوا يرون أن الخلاف شر كما قال ابن مسعود وغيره رضي الله عنهم ودلت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الكثيرة لسعوا إلى الاتفاق ولأمكنهم ذلك في أكثر هذه المسائل بما نصب الله تعالى عليها من الأدلة التي يعرف بها الصواب من الخطأ ، والحق من الباطل . ثم عذر بعضهم بعضاً فيما قد يختلفون فيه ، ولكن لماذا هذا السعي وهم يرون أن الاختلاف رحمة ، وأن المذاهب على اختلافها كشرائع متعددة !!

وإن شئت أن ترى أثر هذا الاختلاف والإصرار عليه ، فانظر إلى كثير من المساجد ، تجد فيها أربعة محاربين يصلي فيها أربعة من الأئمة ! ولكل منهم جماعة ينتظرون الصلاة معه كأنهم أصحاب أديان مختلفة ! وكيف لا وعالمهم يقول : إن مذاهبهم كشرائع متعددة ! يفعلون ذلك وهم يعلمون قوله ﷺ : « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة » رواه مسلم وغيره ولكنهم يستجيزون مخالفة هذا الحديث وغيره محافظة منهم على المذهب كان المذهب محترماً عندهم ومحفوظ أكثر من أحاديثه عليه الصلاة والسلام !

مع أن جماعة من العلماء قالوا : إن المسافر مخير بين القصر والإتمام (١٠٠) ؛

(١٠٠) ما أحسن كلام القاضي أبي بكر بأن ترك عثمان رضي الله عنه للقصر في الصلاة في السفر «فاجتهاد» وفي الحديث : «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر» (١) وعثمان في هذه المرة قد أخطأ ، نقول ذلك بصراحة ، فإن الحق أحق أن يتبع ، وهو مع ذلك مأجور على اجتجاهه .

والدليل على خطئه من قول ابن عمر رضي الله عنه : «صحبت النبي ﷺ وكان لا يزيد في السفر على ركعتين ، وأبا بكر وعمر وعثمان كذلك» (٢) رواه البخاري ومسلم =

= وجملته القول أن الاختلاف مذموم في الشريعة ، فالواجب محاولة التخلص منه ما أمكن ، لأنه من أسباب ضعف الأمة كما قال تعالى : ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] ، أما الرضا به وتسميته رحمة فخلافاً للآيات الكريمة المصروفة بدمه ، ولا مستند له إلا هذا الحديث الذي لا أصل له عن رسول الله ﷺ .

وهنا قد يرد سؤال وهو :

أن الصحابة قد اختلفوا وأفاضل الناس ، أفيلحقهم الذم المذكور ؟  
وقد أجاب عنه ابن حزم رحمه الله تعالى فقال (٦٨ - ٦٧/٥) :

«كلا ما يلحق أولئك شيء من هذا ، لأن كل امرئ منهم تحرى سبيل الله ، ووجهته الحق ، فالمخطئ منهم مأجور أجراً واحداً لنيته الجميلة في إرادة الخير ، وقد رفع عنهم الإثم في خطئهم لأنهم لم يستعمدوه ولا قصدوه ولا استهانوا بطلبهم ، والمصيب منهم مأجور أجرين ، وهكذا كل مسلم إلى يوم القيامة فيما خفى عليه من الدين ولم يبلغه ، وإنما الذم المذكور والوعيد المنصوص ، لمن ترك التعلق بحبل الله تعالى وهو القرآن وكلام النبي ﷺ بعد بلوغ النص إليه وقيام الحجة به عليه ، وتعلق بفلان وفلان مقلداً عامداً للاختلاف داعياً إلى عصبية وحمية الجاهلية ، قاصداً للفرقة متحرباً في دعواه برد القرآن والسنة إليها ، فإن وافقها النص أخذ به ، وإن خالفها تعلق بجاهليته وترك القرآن وكلام النبي ﷺ فهؤلاء هم المختلفون المذمومون . وطبقة أخرى رهم قوم بلغت بهم رقة الدين وقلّة التقوى إلى طلب ما وافق أهواءهم في قول كل قائل ، فيم يأخذون ما كان رخصة في قول كل عالم ، مقلدين له غير طالبين ما أوجبه النص عن الله وعن رسول الله ﷺ .»

ويشير في آخر كلامه إلى «التلفيق» المعروف عند الفقهاء ، وهو أخذ قول العالم بدون دليل وإنما اتباعاً للهوى أو الرخص ، وقد اختلفوا في جوارزه والحق تحريمه لوجوه لا مجال الآن لبيانها . وتجويزه مستوحى من هذا الحديث وعليه استند من قال : «من قلد عالماً لقي الله سالماً» وكل هذا من آثار الأحاديث الضعيفة ، فكن على حذر منها إن كنت ترجو النجاة (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) . (الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١/ ٧٠ - ٧٢) . (م) .

(١) صحيح : رواه أحمد (١٨٧٢) والدارقطني (٢١٨/٢) (ع) .

(٢) رواه البخاري برقم (١١٠١) و(١١٠٢) عن ابن عمر (ع) .

= رحمهما الله تعالى .

قال الإمام الشوكاني : « قوله : وكان لا يزيد فى السفر على ركعتين » فيه أن النبى ﷺ لازم القصر فى السفر ولم يصل فيه تمامًا .  
وحديث عائشة المتفق عليه : « فرضت الصلاة ركعتين ، فاقرت صلاة السفر ، وأتمت صلاة الحضر » (١) .

وفى هذين الحديثين دليل قوى على أن القصر للوجوب ، لا للنسب كما زعم بعضهم .

وإلى وجوب القصر فى السفر ذهب على وعمر وأكثر علماء السلف وفقهاء الأمصار وعمر بن عبد العزيز وقتادة والحسن . والخنفية . وقال حماد بن سليمان : بعيد من يصلى فى السفر أربعاً ! وقال مالك : يعيد ما دام فى الوقت (٢) .  
والقائلون بأن القصر للنسب لا للوجوب لا حجة قاطعة لهم والأحاديث التى يحتاجون بها غير صحيحة ومن أراد التحقق من ذلك فليراجع كتاب « نيل الأوطار » للشوكاني (٢١٣/٣) .

وقد أنكر جماعة من الصحابة على عثمان لما أتم بنى ، وتأولوا له تأويلات ، قال ابن القيم : أحسنها أنه كان قد تأهل بنى . والمسافر إذا أقام بموضع وتزوج فيه ، أو كان له زوجة أتم . وقد روى أحمد عن عثمان أنه قال : أيها الناس لما قدمت تأهلت بها . وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا تزوج رجل ببلد فليصل به صلاة مقيم » وقد أعل البيهقى هذا الحديث بانقطاعه وفى إسناده عكرمة بن إبراهيم وهو ضعيف كما قال البيهقى . قال فى الفتح : هذا حديث لا يصح لأنه منقطع ، وفى رواية من لا يحتاج به . وكذلك لا يصح ما نسب إلى عثمان أنه إنما ترك القصر خشية من أن يظن بعض الأعراب أن الصلاة للمقيم ركعتين ( راجع هامش ص ٦٤ ) .  
وإذا صح أن عائشة ؓ تأولت ما تأول عثمان ؓ فكان يصلى فى السفر أربعاً فيصدق عليها ما سبق وقلناه فى عثمان ؓ من أنها اجتهدت فإخطأت كما =

(١) رواه البخارى (٣٩٣٥) عن عائشة (ع) .

(٢) انظر تفصيل المسألة فى كتاب ( أحكام القصر والجمع ) بئر الله طبعه (ع) .

واختلف فى ذلك الصحابة (١٠١) ..

٩- وأما معاوية : فعمر ولده ، وجمع له الشامات كلها ، وأقره عثمان . بل إنما ولاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، لأنه ولى أخاه يزيد ، واستخلفه يزيد ، فأقره عمر لتعلقه بولاية أبى بكر لأجل استخلاف واليه له ، فتعلق عثمان بعمر وأقره . فانظروا إلى هذه السلسلة ما أوثق عراها ، [ وأقدر سردها (١٠٢) ] ولن يأتى مثلها بعدها أبداً (١٠٣) .

= أخطأ الخليفة الراشد . والعصمة للأنبياء فقط . ( م ) .

(١٠١) نقل محمد بن يحيى الأشعرى المالكى المعروف بابن بكر (٦٧٤ - ٧٤١) فى كتابه (التمهيد والبيان فى مقتل الشهيد عثمان ) وهو من مخطوطات دار الكتب المصرية (برقم ٢٣ تاريخ ) أنه روى عن جماعة من الصحابة إتمام الصلاة فى السفر ، منهم عائشة وسلمان وأربعة عشر من الصحابة . وفى أبواب التقصير من صحيح البخارى (ك ١٨ ب ٥ - ج ٢ ص ٦ ٣) حديث الزهرى عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت : « الصلاة أول ما فرضت ركعتان ، فأقرت صلاة السفر ، وأتمت صلاة الحضر » قال الزهرى فقلت لعروة : ما بال عائشة تتم ؟ قال ثم تأولت ما تأول عثمان . وفى مسند أحمد (٤/ ٩٤) عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال : لما قدم علينا معاوية حاجاً قدمنا معه مكة ، فصلى بنا الظهر ركعتين ، ثم انصرف إلى دار الندوة . وكان عثمان حين أتم الصلاة إذا قدم مكة صلى بها الظهر والعصر والعشاء الآخرة أربعاً أربعاً ، فإذا خرج إلى منى وعرفات قصر الصلاة ، فإذا فرغ من الحج وأقام بنى أتم الصلاة حتى يخرج من مكة . فلما صلى بنا ( أى معاوية ) الظهر ركعتين نهض إليه مروان وعمر بن عثمان فقالا له : ما عاب أحد ابن عمك بأقبح مما عبت . قال لهما : وما ذاك ؟ فقالا له : ألم تعلم أنه أتم الصلاة بمكة ( فذكرهما أنه صلاهما مع النبى ﷺ وأبى بكر وعمر ) قالوا : فإن ابن عمك كان أتمها ( والظاهر أن معاوية رأى أن القصر رخصة ، وأن المسافر على التخيير ، فصلى العصر أربعاً ) ( خ ) .

(١٠٢) سقطت من طبعة الشيخ محب الدين الخطيب ولكنها موجودة فى المخطوطات وأثبتها الدكتور عمار طالى .

(١٠٣) إنما بلغت دولة الإسلام فى خلافة أبى بكر وعمر الذروة فى العزة ، وكانت مضرب الأمثال فى الفلاح الإنسانى وسعادة المجتمع ، لأن أبا بكر وعمر كانا يكتشفان بنور =

= الله عز وجل كوامن السجايا في أهلها وعناصر الرجولة في الرجال ، فيوليانيهم القيادة ، ويؤثنيهم مقاعد السيادة ، ويأتمنانهم على أمة محمد ﷺ وهما يعلمان أنهما مسؤولان عن ذلك بين يدي الله عز وجل . وقد رأيت أن يزيد بن أبي سفيان وأخاه معاوية كانا من رجال دولة أبي بكر الصديق الذين اختارهم لحمل أعباء الأمة في حربها وسلمها فأحسن بذلك كل الإحسان . ولما ولي يزيد قيادة أحد جيوشه خرج معه أبو بكر يشيعه ماشياً ( الطبري ٤ : ٣٠ ) . ومعاوية مذكور في التاريخ بعد أخيه يزيد لأنه أصغر منه سناً ، لا لأنه أقل منه في استكمال صفات القيادة والسيادة . وقبل أن يكون معاوية من رجال الدولتين البكرية والعمرية كان أحد الذين استعملهم رسول الله ﷺ واستعان بهم ، وكان يدعوهم لذلك في بعض الأحيان - ومعاوية يأكل - ويلح في دعوته ويرسل إليه المرة بعد المرة يستعجله في المجيء إليه . فالنبي ﷺ ولي معاوية شيئاً من عمله قبل أن يوليه أبو بكر وعمر ، وولي يزيد بن أبي سفيان أيضاً كما في فتوح البلدان للبلاذري ( ص ٤٨ طبع مصر سنة ١٣٥٠ ) . والذين يضطغنون البغضاء والحقد لأصحاب رسول الله ﷺ ولا سيما بني أمية منهم لم يستطيعوا أن ينكروا أن النبي ﷺ استعمل معاوية في الكتابة له فقالوا أنه كان يكتب له ولكنه لم يكن يكتب الوحي . وهم يقولون هذا بوحى أوحى إليهم من الشيطان ، وليس في يدهم نص تاريخي أو دليل شرعي يرجعون إليه ، فميزوا بين أمور لا حجة لهم في التمييز بينها . والنبي ﷺ لو كان يميز بين كتبه في أمور دون أمور لتواتر ذلك عنه ولنقله الناقلون كما وقع فيما هو أقل من هذا شأنًا سألتني مرة أحد شباب المسلمين ممن يحسن الظن برأى في الرجال : ما تقول في معاوية ؟ فقلت له : ومن أنا حتى أسأل عن عظيم من عظماء هذه الأمة وصاحب من خيرة أصحاب محمد ﷺ ؟ إنه مصباح من مصابيح الإسلام ، لكن هذا المصباح سطع إلى جانب أربع شمس ملأت الدنيا بأنوارها فغلبت أنوارها على نوره . نقل الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ( ١٣٣/٨ ) عن الليث بن سعد ( وهو إمام مصر وعالمها ورئيسها المتوفى سنة ١٧٥ ) قال : حدثنا بكير ( وهو ابن عبد الله الأشج المدنى المصرى المتوفى سنة ١٢٧ ) قال عنه الإمام النسائي: ثقة ثبت ) عن بسر بن سعيد المدنى ( المتوفى سنة ١٠٠ ) قال عنه ابن =

= معين: ثقته . وقال عنه الليث بن سعد : كان من العباد المنقطعين أهل الزهد في الدنيا والورع ) أن سعد بن أبي وقاص ( أحد العشرة المبشرين بالجنة ) قال : « ما رأيت أحداً بعد عثمان أقضى بحق من صاحب هذا الباب » يعنى معاوية . وروى ابن كثير أيضاً ( ١٣٥ / ٨ ) عن عبد الرزاق بن همام الصنعاني أحد الأئمة الأعلام الحفاظ ( وكان ينسب إلى التشيع ) ، عن معمر بن راشد أبي عروة البصرى ثم اليماني وكان أحد الأعلام ، عن همام بن منبه الصنعاني وكان ثقة قال : سمعت ابن عباس يقول : « ما رأيت رجلاً أخلق بالملك من معاوية » وهل يكون الرجل أخلق الناس بالملك إلا أن يكون عادلاً حكيماً حليماً ، يحسن الدفاع عن ملكه ، ويستعين الله في نشر دعوة الله في الممالك الأخرى ، ويقوم بالأمانة في الأمة التي ائتمنه الله عليها ؟ والذي يكون أخلق الناس بالملك هل يلام عثمان على توليته ؟ ويا عجباً كيف يلام عثمان على توليته وقد ولاه من قبله عمر ، وتولى لأبي بكر من قبل عمر ، وتولى بعض عمل رسول الله ﷺ قبل أن تصير الخلافة إلى أبي بكر وعمر وعثمان . أن المنخ الذي يعيب به الشيطان فيسول له مثل هذه الوسوس لا شك أنه مخ فاسد ، يفسد على الناس عقولهم ومنطقهم قبل أن يفسد عليهم دينهم وتاريخهم ، فمن الواجب على محبى الحق والخير أن يتحاموا كل من يحمل في رأسه مثل هذا المنخ كما يتحامون المجذوم . روى الإمام الترمذى عن أبي إدريس الخولاني من كبار علماء التابعين وأعلم أهل الشام بعد أبي الدرداء أن عمر بن الخطاب لما عذل عمير بن سعد الأنصاري الأوسى عن حمص وولى معاوية ، قال الناس : عذل عميراً وولى معاوية ( قال البغوى فى معجم الصحابة : وكان عمير يقال له « نسيج وحده » . قال ابن سيرين : إن عمر كان يسميه بذلك لإعجابه به . وكان عمير من الزهاد ) فقال عمير : لا تذكروا معاوية إلا بخير ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهم اهد به » (١) . =

(١) صحيح لغيره: رواه الترمذى (٣٨٤٣) وقال : هذا حديث غريب وعمر بن واقد يضعف (١) . هـ وقال الألبانى : صحيح بما قبله . يعنى بما رواه الترمذى (٣٨٤٢) عن عبد الرحمن بن أبى عميرة مرفوعاً ( اللهم اجعله هادياً مهدياً واحداً به ) ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب - وصححه الألبانى (ع) .

١٠- وأما عبد الله بن كرز (١٠٤) فولاه - كما قال - لأنه كريم العمات والحالات (١٠٥).

= ويروى أن الذى شهد هذه الشهادة لمعاوية أمير المؤمنين عمر ، فإن كان هو الذى شهدها له وروى دعاء رسول الله ﷺ لمعاوية بأن يهدى الله به فذلك أمر عظيم لعظم مكانة عمر . وإن كان الذى شهد بذلك عمير بن سعد الأنصارى مع أنه هو المعزول بمعاوية عن ولاية حمص فإن ذلك لا يقل عظمة عما لو كانت الشهادة لمعاوية من عمر . وقد علمت أن عميرا من أصحاب رسول الله ﷺ وأنه من زهاد الأنصار . قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣/ ١٨٩) : وكانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سير الولاة ، وكان رعيته يحبونه ، وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال : « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم . وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم » (١) ، ولم يتسع المقام هنا لأكثر من هذا ، وسنكمل الصورة الحقيقية لمعاوية عند ذكر خلافته لتعلم إلى أى حد كنا مخدوعين بأكاذيب أعداء الصدر الأول للإسلام . هذا قطعة من حديث صحيح كما سترى فيما بعد . (خ) .

(١٠٤) هو عبد الله بن عامر بن كرز توفى سنة ٥٩ هـ ٦٧٨ على أصح الروايات ( الذهبى العبر ١/ ٦٧ ) .

(١٠٥) هو عبشمى الآباء ، هاشمى الخؤولة . فإن أم أبيه أروى بنت كرز أمها البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم عمة النبى ﷺ . ولما ولد أتى به إلى النبى ﷺ فقال لبنى عبد شمس « هذا أشبه بنا منه بكم » ثم تغل فى فيه فازدرده ، فقال ﷺ : « أرجو أن يكون مسقياً » (٢) ، فكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر منها الماء . ونشأ سخياً كريماً شجاعاً ميمون النقيبة كثير المناقب : افتتح خراسان كلها ، وأطراف فارس ، =

(١) رواه مسلم فى الإمامة بـ ١٧ رقم (٦٥ ، ٦٦) وأحمد (٦/ ٢٤) ، والبيهقى (٨/ ١٩٨) والطبرانى (١٨/ ٦٣) ولم أجده فى البخارى (ع) .

(٢) روى ابن عبد البر - كما جاء فى الإصابة لابن حجر - نحو هذين الحديثين . وقال الحافظ ابن حجر فى ( تهذيب التهذيب ) برقم (٣٨٤١) . وذكر غير واحد أنه أتى به النبى ﷺ لما ولد فقال : ( هذا يشبهنا أو جعل يتغل فى فيه ويعوذ فجعل يتبلع ريق النبى ﷺ فقال ﷺ : « إنه لمسقى فكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر له الماء » ) (ع) .

= وسجستان ، وكرمان حتى بلغ أعمال غزنة ، وقضى على يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس . ويعتقد الإيرانيون أن سلسلة ملوكهم بدأت بآدمهم الذى يسمونه (جيومت) فلم يزل ملك أولاده منتظما على سياق إلى أن كان القضاء الأخير عليه بسلطان الإسلام فى خلافة أمير المؤمنين عثمان بجهاد هذا العبشمي الآباء الهاشمي الخوذة عبد الله بن عامر بن كريز وهى حرقة فى قلوب أهل النزعة المجوسية على الإسلام ، وعلى عثمان وابن كريز ، فهم يحقدون على هؤلاء ويحاربونهم إلى اليوم بسلاح الكذب ، والبغض ، والدسائس ، وسيستمر ذلك إلى يوم القيامة . أما صادق الإسلام ممن أنجبت إيران أيام كانت شافعية المذهب ، ولما كان ينبغ منها علماء السنة المحمدية قبل ذلك ، وفيهم كبار الأئمة والمحدثون والفقهاء ، فقد نزهوا قلوبهم عن أن يكون فيها غل للذين آمنوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم حتى فتح الله الأقطار على أيديهم ، وهدى الأمم بسببهم ، فهم يحبونهم ويحاربونهم على أقدارهم . ونحن لا ندعى العصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ ونتوقع الخطأ من كل إنسان صحابياً كان أو من التابعين أو الذين يتبعونهم بإحسان . ولكن الذين ملؤوا الدنيا بالحسنات كانوا الجبال ، فإن الذى يعمى عنها ، ويدس أنفه فى مرمى القاذورات ليستخرج منها ما يذم العظماء به ، وإن لم يجد يختلق ويكذب ، فإن من كرامة المسلم على نفسه أن يترفع عن الإصغاء لأمثال هؤلاء والانخداع لهم . ودع عنك فتوح عبد الله بن عامر ابن كريز التى وصلت إلى أقصى المشرق ، وتقويضه آخر أمل للإمبراطورية المجوسية ، فإن حسناته الإنسانية أيضاً جديرة بالتسجيل . قال ابن كثير فى البداية والنهاية (٨٨/٨) إنه « أول من اتخذ الحياض بعرفة لحجاج بيت الله الحرام وأجرى إليها الماء المعين » . وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣/١٨٩ ، ١٩٠) : « أن له من الحسنات والمجبة فى قلوب الناس ما لا ينكر » . ومثل هؤلاء الرجال لو كانوا من سلف الإنجليز أو الفرنسيين لخلدوا عظمتهم فى كتب الدراسة والثقافة والتهديب ، فتهافت وزارات معارفنا على نقل ذلك إلى كتبنا المدرسية ، ليؤمن جيلنا بعظمة أسلاف المستعمرين . أما عظمة أسلافنا نحن فقد سلط الشيطان عليها قلباً فاسدة تفيض بالسوء ، وصدق أكاذيبها الأكثرون منا ، فأمسينا كالأمة التى لا مجد =



١١ - وأما تولية الوليد بن عقبة [ فلأن ] الناس - على فساد النيات - أسرعوا إلى السيئات قبل الحسنات . فذكر [ الإسفرائيون ] (١٠٦) أنه إنما ولاه للمعنى الذى تكلم به . قال عثمان : ما وليته لأنه أخى (١٠٧) ، وإنما وليته لأنه ابن أم حكيم البيضاء عمه رسول الله ﷺ وتوأمة أبيه . وسيأتى بيانه إن شاء الله (١٠٨) .

= لها، بينما هى نائمة على تراث من المجد لا تحلم الإنسانية بمثله . ( م ) .

(١٠٦) وكتبها الشيخ محب الخطيب ( الافتراييون ) .

(١٠٧) هو أخوه لأنه أروى بنت كرز ، وأما البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم (خ) .

(١٠٨) قد يظن من لا يعرف صدر هذه الأمة أن أمير المؤمنين عثمان جاء بالوليد بن عقبة من عرض الطريق فولاه الكوفة . أما الذين أنعم الله عليهم بنعمة الأنس بأحوال ذلك العصر وأهله فيعلمون أن دولة الإسلام الأولى من خلافة أبى بكر تلقفت هذا الشاب الماضى العزيمة الرضى الخلق الصادق الإيمان فاستعملت مواهبه فى سبيل الله إلى أن توفى أبو بكر، وأول عمل له فى خلافة أبى بكر أنه كان موضع السر فى الرسائل الحربية التى دارت بين الخليفة وقائده خالد بن الوليد فى وقعة المذار مع الفرس سنة ١٢ ( الطبرى ٧/٤ ) ، ثم وجهه مدداً إلى قائده عياض بن غنم الفهرى ( الطبرى ٢٢/٤ ) ، وفى سنة ١٣ كان الوليد يلى لأبى بكر صدقات قضاة، ثم لما عزم الصديق على فتح الشام كان الوليد عنده بمنزلة عمرو بن العاص فى الحرمة والثقة والكرامة ، فكتب إلى عمرو بن العاص وإلى الوليد بن عقبة يدعوهم لقيادة فيالق الجهاد ، فسار ابن العاص بلواء الإسلام نحو فلسطين وسار الوليد بن عقبة قائداً إلى شرق الأردن ( الطبرى ٢٩/٤ ، ٣٠ ) . ثم رأينا الوليد فى سنة ١٥ أميراً على بلاد بنى تغلب وعرب الجزيرة ( الطبرى ١٥٥/٤ ) يحمى ظهور المجاهدين فى شمال الشام لئلا يؤتوا من خلفهم ، فكانت تحت قيادته ربيعة وتنوخ مسلمهم وكافرهم . وانتزع الوليد بن عقبة فرصة ولايته وقيادته على هذه الجهة التى كانت لا تزال مليئة بنصارى القبائل العربية فكان - مع جهاده الحربى وعمله الإدارى - داعياً إلى الله يستعمل جميع أساليب الحكمة والموعظة الحسنة لحمل نصارى إياد وتغلب على أن يكونوا مسلمين كسائر العرب . وهربت منه إياد إلى الأناضول وهو تحت حكم البيزنطيين ، فحمل الوليد =

والولاية اجتهد (١٠٩) ، وقد عزل عمر سعد بن أبي وقاص وقدم أقل منه

= خليفته عمر على كتابة كتاب تهديد إلى قيصر القسطنطينية بأن يردهم إلى حدود الدولة الإسلامية . وحاولت تغلب أن تتمرد على الوليد في نشره الدعوة الإسلامية بين شبابها وأطفالها فغضب غضبه المضربة المؤيدة بالإيمان الإسلامي ، وقال فيهم كلمته المشهورة :

إذا ما عصبت الرأس منى بمشوذ فغيك منى تغلب ابنة وائل

وبلغت هذه الكلمة عمر ، فخاف أن يبطش قائده الشاب بنصارى تغلب فيفلت من يده زمامهم في الوقت الذي يحاربون فيه مع المسلمين حمية للعروبة ، فكف عنهم يد الوليد ونحاه عن منطقته . وبهذا الماضي المجيد جاء الوليد في خلافة عثمان فتولى الكوفة له ، وكان من خير ولائها عدلا ورفقا وإحسانا ، وكانت جيوشه مدة ولايته على الكوفة تسير في آفاق الشرق فاتحة ظافرة موفقة على ما سنذكره فيها بعد . (خ).

(١٠٩) للمؤلف في أواخر هذا الكتاب فصل عنوانه ( نكتة ) أشار فيه إلى المعانى والحقائق التى يلاحظها ولى الأمر عند « اجتهداه » في تولية الولاة وعزلهم ، وذلك لفقه عظيم ومعارف بديعة بيّنها أئمة الإسلام وعلماءه في الفصول التى عقدها للإمامة وسياسة الدولة فى كتبهم المصنفة فى أصول الدين . وقد زعم طاغية الشيعة ومدلسهم الحسن ابن المطهر الحلى فى كتابه منهاج الكرامة أن عثمان ولى أمور المسلمين من لا يصلح للولاية ، فأجابه شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة ( ١٧٣ / ٣ - ١٧٦ ) أن عليا عليه السلام ولى زياد بن أبى سفيان وولى الأشتر النخعى وولى محمد بن أبى بكر وأمثال هؤلاء ، ولا يشك عاقل أن معاوية بن أبى سفيان كان خيرا من هؤلاء كلهم . قال : ومن العجب أن الشيعة ينكرون على عثمان أنه ولى أقاربه من بنى أمية ، ومعلوم أن عليا ولى أقاربه من قبل أبيه وأمه فولى عبد الله بن عباس على اليمن ، وولى على مكة والطائف قثم بن العباس ، وأما المدينة فقيل : إنه ولى عليها سهل بن حنيف وقيل ثمامة ربيبه محمد بن أبى بكر الذى رياه فى حجره ( لأنه تزوج أمه بعد وفاة أبى بكر وكان محمد صغيرا ) . ثم إن الإمامية تدعى أن عليا نص على أولاده فى الخلافة - أو على ولده ، وولده على ولده الآخر وهلم جرا - ومن المعلوم أن كان تولية الأقربين =

= منكراً، فتولية الخلافة العظمى أعظم من إمارة بعض الأعمال . . . وإذا قال القائل :  
 لعلّ حجة فيما فعله ، قيل له : وحجة عثمان فيما فعله أعظم . وإذا ادعى لعلّ  
 العصمة ونحوها مما يقطع عنه ألسنة الطاعنين ، كان ما يدعى لعثمان « الاجتهاد »  
 الذى يقطع ألسنة الطاعنين أقرب إلى المعقول والمنقول . . ثم قال : إن بنى أمية كان  
 رسول الله ﷺ يستعملهم فى حياته ، واستعملهم بعده من لا يتهم بقرابة فيهم : أبو  
 بكر وعمر ، ولا تعرف قبيلة من قبائل قريش فيها عمال لرسول الله ﷺ أكثر من بنى  
 عبد شمس ، لأنهم كانوا كثيرين ، وكان فيهم شرف وسؤدد ، فاستعمل النبي ﷺ  
 فى عزة الإسلام على أفضل الأرض : مكة عتاب بن أسيد بن أبى العاص بن أمية ،  
 واستعمل على نجران أبا سفيان بن حرب بن أمية ، واستعمل خالد بن سعيد بن  
 العاص على صدقات بنى مذحج وعلى صنعاء واليمن حتى مات رسول الله ﷺ ،  
 واستعمل عثمان بن سعيد بن العاص على تيماء وخيبر وقرى عرينة ، واستعمل أبان  
 ابن سعيد بن العاص على بعض السرايا ثم استعمله على البحرين فلم يزل عليها بعد  
 العلاء بن الحضرمي ( حليف بنى أمية ) حتى توفى النبي ﷺ . فيقول عثمان : أنا لم  
 أستعمل إلا من استعمله النبي ﷺ ومن جنسهم ومن قبيلتهم ، وكذلك أبو بكر  
 وعمر بعده . . . فكان الاحتجاج على جواز الاستعمال من بنى أمية بالنص الثابت  
 عن النبي ﷺ أظهر عند كل عاقل من دعوى كون الخلافة في واحد معين من بنى  
 هاشم بالنص ، لأن هذا كذب باتفاق أهل العلم بالنقل ، وذلك صدق باتفاق أهل  
 العلم بالنقل ( وانظر أيضاً منهاج السنة ٣/ ٢٣٦ - ٢٣٧ ) . والذى يستعرض حياة  
 عمال عثمان وجهادهم وفضائلهم يراهم فى الذروة العليا من رجال الدولة ، ولا يتردد  
 فى أنهم من بناء الأساس الأقوم فى مسجد الإسلام الإدارى والعسكرى ، ولهم ثواب  
 نتائجهم فى الفتوح وانتشار دعوة الإسلام بما يعده التاريخ من معجزاته الخارقة للعادات .  
 (خ)

(١١٠) كان ذلك سنة ٢١ ، والذين تولوا بعد سعد : عبد الله بن عبد الله بن عتبان ( وفى  
 زمانه كانت وقعة نهوند ) ثم زياد بن حنظلة ( وألح فى الاستعفاء فاعفى ) وولى =

١٢- وأما قول [ القائل ] فى مروان والوليد فشدید علیهم ، وحکمهم علیهما بالفسق فسق منهم .

مروان رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين . أما الصحابة فإن سهل بن سعد الساعدي روى عنه (١١١) . وأما التابعون فأصحابه فى السن ، وإن [ كان ] جازهم باسم الصحبة فى أحد القولین (١١٢) وأما فقهاء الأمصار

= بعدهما عمار بن یاسر ( الطبری ٤ / ٢٤٦ وما قبلها ) . (خ) .

(١١١) وروایته عنه فى صحیح البخارى وغيره . (خ) .

(١١٢) وفى طلیعة من روى عنه من كبار التابعین زید العابدين على بن الحسين السبط ، ونص على ذلك شیخ الإسلام ابن تیمیة فى منهاج السنة (١٢٣/٢) ، والحافظ ابن حجر فى الإصابة ، وترى تفصیله فى طبقات الشافعية الكبرى للتاج السبکی فى ترجمة اللغوى الشهير أبی منصور محمد بن أحمد بن الأزهرى صاحب تهذیب اللغة (٢٨٢ - ٣٧٠) . ومن نص الحافظ ابن حجر على روايتهم عن مروان : سعيد بن المسيب رأس علماء التابعین ، وإخوانه من الفقهاء السبعة أبی بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومی ، وعبيد الله بن عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وعروة بن الزبير ، وأضرابهم كعراك بن مالك الغفارى المدنى فقیه أهل دهلک وكان يصوم الدهر ، وكعب الله بن شداد بن الهاد أحد الرواة عن عمر وعلى ومعاذ ، وإن رواية عروة بن الزبير عن مروان فى مسند الإمام أحمد ( الطبعة الأولى ٤ / ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٥ / ١٨٩ ) . ورواية عراك عن مروان نقلها إمام أهل مصر الليث بن سعد عن يزيد بن حبيبة فى مسند أحمد (٣٢٨/٤) ورواية عبد الله بن شداد بن الهاد عن مروان فى مسند أحمد (٣١٧/٦ ، ٢٣) الذى يتأمل فى الأحاديث المروية عن مروان يجد حملتها من الأئمة الثقات تتسلسل روايتهم عنه مدة جيلین وأكثر وكلهم أعلى مرتبة فى الإسلام من الذين يبردون الغل الذى فى قلوبهم بالطعن فى مروان ومن هو خیر من مروان . بل فى رواية أحاديث مروان عبد الرزاق إمام أهل اليمن وكانت فيه نزعة تشیع . وفى مسند أحمد (٣١٢/٦) حديث عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام أنه كان رسول مروان إلى أم المؤمنین أم سلمة فى تحقیق بعض الأحكام =

فكلهم على تعظيمه ، واعتبار [ خلافه ] (١١٣) ، والتلفت إلى فتواه ، والانقياد إلى روايته . وأما السفهاء من المؤرخين والأدباء فيقولون على أقدارهم (١١٤) .

وأما الوليد فقد روى بعض المفسرين أن الله سماه فاسقاً في قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ﴾ [ الحجرات : ٦ ] فإنها - في قولهم - نزلت فيه ، أرسله النبي ﷺ إلى بنى المصطلق ، فأخبر عنهم أنهم ارتدوا ، فأرسل رسول الله ﷺ إليهم خالد بن الوليد فثبت في أمرهم فبين بطلان قوله . وقد اختلف فيه ، فقليل : نزلت في ذلك (١١٥) ، وقيل : في علي ، والوليد في قصة

= الشرعية ، وفي ٢٩٩/٦ من مسند أحمد نموذج لعظيم عناية مروان بسنة رسول الله

ﷺ فأقصى ما يمكن أن يصدر عن أئمة المسلمين وأمرائهم . ( خ ) .

(١١٣) في ب ، ج ، ز : خلافته ( س ) .

(١١٤) ومن غريب أمر هؤلاء البغاة والمفترين أنهم يحملون على مروان ويتهمونه بمختلف التهم ، وهو منها براء . وقد وقع أسيراً يوم الجمل في أيدي أصحاب علي رضي الله عنه ، فلم يمس أحد بسوء ، لا بإذن علي ، ولا بغير إذنه . ( م ) .

(١١٥) كنت فيما مضى أعجب كيف تكون هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة ، ويسميه الله فاسقاً ، ثم تبقى له في نفس خليفتي رسول الله ﷺ أبي بكر وعمر المكانة التي سجلها له التاريخ وأوردنا الأمثلة عليها في هامش ص ٩٨ عند استعراضنا ماضيه في بضعة عشر عاماً قبل أن يوليه عثمان الكوفة . إن هذا التناقض - بين ثقة أبي بكر وعمر بالوليد بن عقبة ، وبين ما كان ينبغي أن يعامل به لو أن الله سماه فاسقاً - حملني علي الشك في أن تكون الآية نزلت فيه ، لا استبعاداً لوقوع أمر من الوليد يعد به فاسقاً ، ولكن استبعاداً لأن يكون الموصوم بالفسق في صريح القرآن محل الثقة من رجلين لا نعرف في أولياء الله عز وجل بعد رسول الله ﷺ من هو أقرب إلى الله منهما . وبعد أن ساورني هذا الشك أعدت النظر في الأخبار التي وردت عن سبب نزول الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ﴾ ، فلما عكفت على دراستها وجدتها موقوفة على مجاهد ، أو قتادة ، أو ابن أبي ليلى ، أو يزيد بن رومان ، ولم يذكر أحد منهم أسماء رواة هذه الأخبار في مدة مائة سنة أو أكثر . ت بين =

أخرى . وقيل : إن الوليد سيق يوم الفتح في جملة الصبيان إلى رسول الله ﷺ

= أيامهم وزمن الحادث ، وهذه المائة من السنين حافلة بالرواة من مشارب مختلفة ، وأن الذين لهم هوى في تسويئ سمعة مثل الوليد ومن هم أعظم مقاماً من الوليد قد ملؤوا الدنيا أخباراً مريبة ليس لها قيمة علمية . وما دام رواة تلك الأخبار في سبب نزول الآية مجهولين من علماء الجرح والتعديل بعد الرجال الموقوفة هذه الأخبار عليهم ، وعلماء الجرح والتعديل لا يعرفون من أمرهم حتى ولا أسماءهم ، فمن غير الجائز شرعاً وتاريخاً الحكم بصحة هذه الأخبار المنقطعة التي لا نسب لها . وهناك خبران موصولان أحدهما عن أم سلمة (١) زعم موسى بن عبيد أنه سمعه من ثابت مولى أم سلمة . وموسى بن عبيدة ضعفه النسائي وابن المديني وابن عدي وجماعة . وثابت المزعوم أنه مولى أم سلمة ليس له ذكر في كل ما رجعت إليه من كتب العلم ، فلم يذكر في تهذيب التهذيب ولا في تقريب التهذيب ولا في خلاصة تهذيب الكمال ، بل لم أجده ولا في قفص الاتهام أعني ( ميزان الاعتدال ) و ( لسان الميزان ) . وذهبت إلى مجموعة أحاديث أم سلمة في مسند الإمام أحمد فقرأتها واحداً واحداً فلم أجده فيها هذا الخبر ، بل لم أجده لأم سلمة أي خبر ذكر فيه اسم مولى لها يدعى ثابتاً . زد على كل هذا أن أم سلمة لم تقل في هذا الخبر - إن صح عنها ، ولا سبيل إلى أن يصح عنها - أن الآية نزلت في الوليد ، بل قالت - أي قيل على لسانها - « بعث رسول الله ﷺ ( رجلاً ) في صدقات بني المصطلق » . والخبر الثاني الموصول رواه الطبري في التفسير عن ابن سعد عن أبيه عن عمه عن أبيه عن ابن عباس (٢) . والطبري لم يلق ابن سعد ولم يأخذ عنه ، لأن ابن سعد لما توفي ببغداد سنة ٢٣٠ كان الطبري طفلاً في السادسة من عمره ولم يخرج إلى ذلك الحين من بلده أمل في طبرستان لا إلى بغداد ولا لغيره . وابن سعد وإن كان في نفسه من

(١) ضعيف : رواه الطبري في تفسيره (١٢٣/٢٦) وفيه موسى بن عبيدة ضعيف ولفظه ( بعث رسول الله ﷺ رجلاً في صدقات بني المصطلق ) دون أن يسمى الوليد (ع) .

(٢) ضعيف : رواه الطبري في تفسيره (١٢٣/٢٦) وفي إسناده : عطية العوفي شيعي مدلس صدوق يخطئ كثيراً . والأثران ذكرهما ابن كثير في تفسير الآية من سورة الحجرات ٦ (ع) .

ولفظ ابن عباس ( كان رسول الله بعث الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق ) وانظر القرطبي ( ١٧ /

فمسح رؤوسهم وبرك عليهم ، إلا هو فقال : إنه كان على رأسى خلوق ، فامتنع [عنه] (١١٦) من مسه . فمن يكون فى مثل هذه السن يرسل مصدقاً (١١٧) .

= أهل العدالة فى الدين والجلالة فى العلم ، إلا أن هذه السلسلة من سلفه يجهل علماء الجرح والتعديل أسماء أكثرهم فضلاً عن أن يعرفوا شيئاً من أحوالهم ، فكل هذه الأخبار من أولها إلى آخرها لا يجوز أن يؤخذ بها ، مجاهد كان موضع ثقة أبى بكر وعمر ، وقام بخدمات للإسلام يرجى له بها أعظم المثوبة إن شاء الله .  
أضف إلى كل ما تقدم أنه فى الوقت الذى حدث فيه بنى المصطلق الحادثة التى نزلت فيها الآية كان الوليد صغير السن كما سيأتى فى الفقرة التالية ( خ ) .

(١١٦) زيادة من الشيخ محب الدين الخطيب لتوضيح السياق - ولكنها ليست فى أى من المخطوطات .

(١١٧) هذا الحديث عن سن الوليد بن عقبة يوم فتح مكة رواه الإمام أحمد فى مسنده (٣٢/٤) الطبعة الأولى) عن شيخ له هو فياض بن محمد الرقى عن جعفر بن برقان الرقى عن ثابت بن الحجاج الكلابى الرقى عن عبد الله الهمدانى وهو ( عبد الله بن مالك بن الحارث ) عن الوليد بن عقبة ، والظاهر أن الوليد بن عقبة تحدث بهذا الحديث عندما اعتزل الناس فى السنين الأخيرة من حياته (١) واختار الإقامة فى قرية له من أعمال الرقة ، فتسلسلت رواية الخبر فى الرواة الرقيين وأخذ الإمام أحمد عن شيخ له منهم . وعبد الله الهمدانى ثقة ، لكن التبس اسمه فى غير هذه الرواية بهمدانى آخر يكنى أبا موسى واسمه مالك بن الحارث ( أى على اسم والد عبد الله الهمدانى ) وهو مجهول عند أهل الجرح والتعديل ، أما عبد الله الهمدانى الذى ينتهى إليه الخبر فى رواية الإمام أحمد فمعروف وموثوق به ، وعلى روايته وأمثاله اعتمد القاضى ابن العربى فى الحكم على سن الوليد بن عقبة بأنه كان صبيّاً عند فتح مكة وأن الذى نزلت فيه آية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ﴾ هو شخص آخر . ومن عجب أمر الذين كان لهم هوى فى تشويه سمعة هذا الصحابى الشاب المجاهد الطيب =

(١) الحديث ضعيف : رواه الإمام أحمد (٣٢/٤) برقم (١٦٣٣١) وإسناده ضعيف لاجل عبد الله الهمدانى أبو موسى مجهول وخبره منكر كما قال ابن عبد البر وتبعه الحفاظ فى ( التقریب ) وباقى رجال الإسناد ثقات وهم رقيون . (ع) .

وبهذا الاختلاف يسقط العلماء الأحاديث القوية . وكيف يفسق (١١٨) رجل [يتمثل] هذا الكلام ؟ فكيف برجل من أصحاب محمد ﷺ !

= النفس الحسن السيرة فى الناس أنهم حاولوا إحاض حجة صغر سنه فى ذلك الوقت بخبر آخر روى عن قدومه مع أخيه عمارة إلى المدينة فى السنة السابعة للهجرة ليطلبا من النبى ﷺ أختهما أم كلثوم إلى مكة . وأصل هذا الخبر - إن صح - مقدم فيه اسم عمارة على اسم الوليد ، وهذا مما يستأنس به فى أن عمارة هو الأصل فى هذه الرحلة وأن الوليد جاء فى صحبته ، وأى مانع يمنع قدوم الوليد صبيًا بصحبة أخيه الكبير كما يقع مثل ذلك فى كل زمان ومكان ؟ فقول الوليد أنه كان فى سنة الفتح صبيًا ليس فى خبر قدومه مع أخيه الكبير إلى المدينة فى السنة السابعة ما يمنعه أو يناقضه . فإذا تقرر عندك أن جميع الأخبار الواردة بشأن الوليد بن عقبة فى سبب نزول آية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ﴾ لا يجوز علميًا أن يبنى عليها حكم شرعي أو تاريخي ، وإذا أضفت إلى ذلك حديث مسند الإمام أحمد عن سن الوليد فى سنة الفتح ، يتبين لك بعد ذلك حكمة استعمال أبى بكر وعمر للوليد وثقتهما به واعتمادهما عليه مع أنه كان لا يزال فى صدر شبابه . (خ) .

(١١٨) قال محققو تفسير « زاد المسير فى علم التفسير » للإمام ابن الجوزى (٤٩١/٧) طبعة المكتب الإسلامى الذى يديره الأخ الفاضل الأستاذ زهير الشاويش ، وهو أحد المشتركين فى التحقيق :

« ذكر الواحدى أن قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ﴾ نزلت فى الوليد بن عقبة .. وذكر ذلك فى أسباب النزول بغير سند ، ورواه الطبرى من حديث أم سلمة ، وفى سننه موسى بن عبيدة ، وهو ضعيف . ورواه أحمد فى « المسند » من حديث الحارث بن ضرار الخزاعى . قال الحافظ ابن حجر فى « تخرىج الكشاف » : رواه ابن إسحاق ، والطبرانى من حديث أم سلمة ، وفيه موسى بن عبيدة ، وهو ضعيف . قال : ونحوه رواه أحمد والطبرانى أيضًا من حديث الحارث ابن ضرار الخزاعى . وأخرجه ابن مردويه من طريق عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن موسى بن المسيب عن سالم بن الجعد عن جابر . . . هـ باختصار . مما سبق ندرك أنه لا مجال لقول المؤلف هنا برد الأحاديث القوية عند الاختلاف والاضطراب ( م ) .



وأما حده فى الخمر ، فقد حد عمر قدامة بن مظعون على الخمر وهو أمير وعزله ، [ ثم قيل له صالحه ] (١١٩) .

وليس الذنوب مسقطه للعدالة إذا وقعت منها التوبة (١٢٠) .

(١١٩) قدامة بن مظعون الجمحى أحد السابقين الأولين ، هاجر الهجرتين وشهد بدرًا ، وكان صهر أمير المؤمنين عمر على أخته ، وقيل بل هو خال أم المؤمنين حفصة بنت عمر وأخيها عبيد الله . وفى إمارة قدامة على البحرين فى خلافة عمر قدم الجارود سيد بنى عبد القيس على عمر من البحرين وادعى أن قدامة شرب فسكر . فقال له عمر : من يشهد معك ؟ قال : أبو هريرة . فاستشهد أبا هريرة فقال : لم أره شرب ، ولكنى رأيته سكران يقىء ، فقال له عمر : لقد تنطعت فى الشهادة . واستقدم قدامة من البحرين ، فقال الجارود لعمر : أقم على هذا كتاب الله . فقال له عمر : أخصم أنت أم شهيد ؟ فقال : شهيد . فقال عمر : قد أديت شهادتك . فصمت الجارود . ثم غدا على عمر فقال : أقم على هذا حد الله . فقال عمر : لتمسكن لسانك أو لأسوأئك . فقال : يا عمر ، ما ذلك بالحق أن يشرب ابن عمك الخمر وتسوؤنى . ثم جىء بزوجة لقدامة فأقامت الشهادة على زوجها . وأراد عمر أن يقيم عليه الحد ، فقال له الصحابة : لا نرى أن تحده ما دام مريضًا . ثم عاوده فقالوا له كما قالوا من قبل . فقال عمر : لأن يلقى الله تحت السياط أحب إلى من أن ألقاه وهو فى عنقى . وجلده . فغاضبه قدامة . وعند قفولهما من الحج جىء به إلى عمر ، فكلمه عمر واستغفر له . ومن حسن حظ قدامة بن مظعون أنه قرشى من بنى جمح ، ولو أنه كان قرشيًا من بنى عبد شمس لانطلقت السنة السوء بالبذاء عليه واختراع الأكاذيب فيه ما دام فى الدنيا كذب ( خ ) .

(١٢٠) هذا حق ، ولكن فى مثل ما تقدم عن قدامة بن مظعون ، وفى مثل ما هو مشهور عند الناس عن أبى محجن الثقفى الشاعر الفارسى الذى كان له يوم أغر فى حرب القادسية . أما الوليد بن عقبة المجاهد الفاتح العادل المظلوم (الذى كان منه لأمة كل ما استطاعه من عمل طيب ، ثم رأى بعينه كيف يبغى المبتلون على الصالحين وينفذ باطلهم فيهم ، فاعتزل الناس بعد مقتل عثمان فى ضيعة له منقطعة عن صخب المجتمع ، وهى تبعد خمسة عشر ميلا عن بلدة الرقة من أرض الجزيرة التى كان =

وقد قيل لعثمان : إنك وليت الوليد لأنه أخوك لأمك أروى بنت كريض بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس ، فقال : بل لأنه ابن عمه رسول الله ﷺ أم حكيم البيضاء جدة عثمان وجدة الوليد لأمهما أروى المذكورة أم حكيم توأمة عبد الله

= يجاهد فيها ويدعو نصاراها إلى الإسلام في خلافة عمر ) فقد آن لدسائس الكذابين فيه أن ينكشف عنها عوارها . ولا يضير هذا الرجل أن يتأخر انكشاف الحق فيه ثلاثة عشر قرناً ، فإن الحق قديم ولا يؤثر في قدمه احتجاجه . أراد الوليد بن عقبة - منذ ولى الكوفة لأمير المؤمنين عثمان - أن يكون الحاكم المثالي في العدل والنبل والسيرة الطيبة مع الناس ، كما كان المحارب المثالي في جهاده وقيامه للإسلام بما يليق بالذائدين عن دعوته ، الحاملين لرايته ، الناشرين لرسالته . وقد لبث في إمارته علي الكوفة خمس سنوات ، وداره إلى اليوم الذي زایل فيه الكوفة ليس لها باب يحول بينه وبين الناس ممن يعرف أو لا يعرف ، فكان يغشاها كل من شاء متى شاء من ليل أو نهار . ولم يكن بالوليد حاجة لأن يستتر عن الناس ؛

### فالستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر

وكان ينبغي أن يكون الناس كلهم محبين لأميرهم الطيب لأنه أقام لغرائهم دور الضيافة ، وأدخل على الناس خيراً حتى جعل يقسم المال للولائد والعبيد ورد على كل مملوك من فضول الأموال في كل شهر ما يتسعون به من غير أن ينقص مواليتهم من أرزاقهم . وبالفعل كانت جماهير الشعب متعلقة بحب هذا الأمير المثالي طول مدة حكمه . إلا أن فريقاً من الأشرار وأهل الفساد أصاب بنيتهم سوط الشريعة بالعقاب على يد الوليد ، فوقفوا حياتهم على ترصد الأذى له . ومن هؤلاء رجال يسمى أحدهم أبا زينب بن عوف الأزدي وآخر يسمى أبا مورع وثالثاً اسمه جندب أبو زهير قبضت السلطات على أبنائهم في ليلة نقبوا بها على ابن الحيسمان داره وقتلوه ، وكان نازلاً بجواره رجل من أصحاب رسول الله ﷺ على جيش خزاعة يوم فتح مكة فجاء هو وابنه من المدينة إلى الكوفة ليسيروا مع أحد جيوش الوليد بن عقبة التي كان يواصل توجيهها نحو الشرق للفتوح ونشر دعوة الإسلام ، فشهد هذا الصحابي وابنه في تلك الليلة سطو هؤلاء الأشرار على منزل ابن الحيسمان ، وأدى شهادته هو وابنه على هؤلاء القتلة السفاحين ، فأنفذ الوليد فيهم حكم الشريعة على باب القصر في=

= الرحبة ، فكتب آبأؤهم العهد على أنفسهم للشيطان بأن كيدوا لهذا الأمير الطيب الرحيم ، وبثوا عليه العيون والجواسيس ليرقبوا حركاته ، وكان بيته مفتوحاً دائماً . وبينما كان عنده ذات يوم ضيف له من شعراء الشمال كان نصرانياً في أحواله من تغلب بأرض الجزيرة وأسلم على يد الوليد ، فظن جواسيس المقتورين أن هذا الشاعر الذي كان نصرانياً لا بد أن يكون ممن يشرب الخمر ولعل الوليد أن يكرمه بذلك ، فنادوا أبا زينب وأبا المورع وأصحابهما ، فاقتحموا الدار على الوليد من ناحية المسجد ، ولم يكن لداره باب ، فلما فوجئ بهم نحى شيئاً أدخله تحت السرير ، فأدخل بعضهم يده فأخرج به بلا إذن من صاحب الدار ، فلما أخرج ذلك الشيء من تحت السرير إذا هو طبق عليه تفاريق عنب ، وإنما نحاه الوليد استحياء أن يروا طبقه ليس عليه إلا تفاريق عنب ، فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون من الخجل ، وسمع الناس بالحكاية فأقبلوا يسبونهم ويلعنونهم . وقد ستر الوليد عليهم ذلك وطواه عن عثمان وسكت عن ذلك وصبر . ثم تكررت مكاييد جندب وأبى زينب وأبى المورع ، وكانوا يغتمون كل حادث فيسيئون تأويله ويفترون الكذب . وذهب بعض الذين كانوا عمالا في الحكومة ونحاهم الوليد عن أعمالهم لسوء سيرتهم فقصدوا المدينة وجعلوا يشكون الوليد لأمير المؤمنين عثمان ويطلبون منه عزله عن الكوفة . وفيما كان هؤلاء في المدينة دخل أبو زينب وأبو المورع دار الإمارة بالكوفة مع من يدخلها من غمار الناس وبقي فيها إلى أن تنحى الوليد ليستريح ، فخرج بقية القوم ، وثبت أبو زينب وأبو المورع إلى أن تمكنا من سرقة خاتم الوليد من داره وخرجا . فلما استيقظ الوليد لم يجد خاتمه ، فسأل عنه زوجته - وكانا في مخدع تريان منه زوار الوليد من وراء ستر - فقالتا إن آخر من بقى في الدار رجلان ، وذكرتا صفتيهما وحليتهما للوليد ، فعرف أنهما أبو زينب وأبو المورع ، وأدرك أنهما لم يسرقا الخاتم إلا لمكيده بيتاها ، فأرسل في طلبهما فلم يوجدا في الكوفة ، وكانا قد سافرا تَوّاً إلى المدينة ، وتقدما شاهدين على الوليد بشرب الخمر ( وأكبر ظنى أنهما استلهما شهادتهما المزورة من تفاصيل الحادث الذى سبق وقوعه لقدامة بن مظعون في خلافة عمر ) فقال لهما عثمان : كيف رأيتهما ؟ قالوا : كنا في غاشيته ، فدخلنا عليه وهو يقيء الخمر . فقال عثمان : =

= ما يتقى الخمر إلا شاربها . فجئ بالوليد من الكوفة فحلف لعثمان وأخبره خبرهم ، فقال عثمان «نقيم الحدود ، ويؤء شاهد الزور بالنار » .

هذه قصة اتهام الوليد بالخمر كما فى حوادث سنة ٣٠ من تاريخ الطبرى ، وليس فيها - على تعدد مصادرها القديمة - شىء غير ذلك . وعناصر الخبر عند الطبرى أن الشهود على الوليد اثنان من الموتورين الذين تعددت شواهد غلهم عليه ، ولم يرد فى الشهادة ذكر الصلاة من أصلها فضلا عن أن تكون اثنتين أو أربعاً . وزيادة ذكر الصلاة هى الأخرى أمرها عجيب . فقد نقل خبرها عن الحضيض بن المنذر ( أحد أتباع على ) أنه كان مع على عند عثمان ساعة أقيم الحد على الوليد ، وتناقل عنه هذا الخبر فسجله مسلم فى صحيحه ( كتاب الحدود ) ب ٨ ح ٣٨ - ج ٥ ص ١٢٦ ، بلفظ شهدت عثمان بن عفان وأتى بالوليد قد صلى الصبح ( ركعتين ) ثم قال : أزيدكم ؟ فشهد عليه رجلان أحدهما حمران أنه شرب الخمر ، وشهد آخر أنه رآه يتقياً » . فالشاهدان لم يشهدا بأن الوليد صلى الصبح ركعتين وقال أزيدكم ، بل شهد أحدهما بأنه شرب الخمر وشهد الآخر بأنه تقياً . أما صلاة الصبح ركعتين وكلمة أزيدكم فهى من كلام حضيض ، ولم يكن حضيض من الشهود . ولا كان فى الكوفة فى وقت الحادث المزعوم ، ثم إنه لم يسند هذا العنصر من عناصر الاتهام إلى إنسان معروف ، ومن العجيب أن نفس الخبر الذى فى صحيح مسلم وارد فى ثلاثة مواضع من مسند أحمد رويًا عن حضيض ، وأما الذى سمعه من حضيض فى صحيح مسلم هو الذى سمعه منه فى مسند أحد بمواضعه الثلاثة ، فالموضعان الأول والثانى ( ج ١ ص ٨٢ و ١٤٠ الطبعة الأولى ج ٢ رقم ٢٦٤ و ١١٨٤ الطبعة الثانية ) ليس فيهما ذكر للصلاة عن لسان حضيض فضلا عن غيره ، فلعل أحد الرواة من بعده أدرك أن الكلام عن الصلاة ليس من كلام الشهود فاقتصر على ذكر الحد . وأما فى الموضع الثالث من مسند أحمد ( ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٥ الطبعة الأولى - ج ٢ رقم ١٢٢٩ ) فقد جاء فيه على لسان حضيض « أن الوليد صلى بالناس الصبح أربعاً » وهو يعارض ما جاء على لسان حضيض نفسه فى صحيح مسلم ، ففى إحدى الروايتين تحريف الله أعلم بسببه . وفى الحالتين لا يخرج ذكر الصلاة عن أنه من كلام حضيض وحضيض ليس بشاهد ، ولم =

= يرو عن شاهد، فلا عبرة بهذا الجزء من كلامه . وبعد أن علمت بأمر الموتورين فيما نقله الطبرى عن شيوخه . أزيدك علماً بأمر حمران ، وهو عبد من عبيد عثمان كان قد عصى الله قبل شهادته على الوليد فتزوج فى مدينة الرسول امرأة مطلقة ودخل بها وهى فى عدتها من زوجها الأول ، فغضب عليه عثمان لهذا ولأمر أخرى قبله فطرده من رحابه وأخرجته من المدينة ، فجاء الكوفة يعيث فيها فساداً ، ودخل على العابد الصالح عامر بن عبد القيس فافتى عليه الكذب عند رجال الدولة وكان سبب تسييره إلى الشام . وأنا أترك أمر هذا الشاهد والشاهدين الآخرين قبله إلى ضمير القارئ يحكم به عليهم بما يشاء ، وفى اجتهدى أن مثل هؤلاء الشهود لا يقام بهم حد الله على ظنين من السوقه والرعاع فكيف بصحابى مجاهد وضع الخليفة فى يده أمانة قطر وقيادة جيوش فكان عند الظن به من حسن السيرة فى الناس وصدق الرعاية لأمانات الله ، وكان موضع الثقة عند ثلاثة من أكمل خلفاء الإسلام أبى بكر وعمر وعثمان . وإن قرابة الوليد من عثمان التى يزعم الكذبة أنها سبب المحابة منه لهم إنما كانت سبب التسامح من عثمان فى عزلهم والقسوة عليهم لثلا يقال : إن له هوى فى ذوى قرابته . ورأينا الذين يتسلون بأعراض الناس يتفكهون بأبيات ستة منسوبة إلى ماجن خسيس النفس وردت فى ص ٨٥ من ديوانه ، ولا تحملهم سليقة النقد على الشعور بما فى هذه الأبيات من التضارب والتعارض . فأين مدحه فيها للوليد بقوله :

ورأوا شمائل ما جد أنف      يعطى على الميسور والعسر  
فنزعت مكذوباً عليك ولم      تردد إلى عوز ولا فقر  
من بقية الأبيات التى فيها :

نادى وقد تمت صلاتهم      أزيدكم ثملاً وما يدرى

فالذى يقول البيت الأخير لا يعقل أن يقول معه البيتين الأولين فيكون مادحاً وذاماً فى قطعة واحدة لا تزيد على ستة أبيات . وقد كانت لى مقالة مطولة عن (التخليط فى الشعر) ضربت فيها الأمثلة على دس أبيات غريبة فى قصائد من وزنهما وروبيها لغير ناظمها، وعلى كل حال فالشهود الذين شهدوا بين يدى عثمان لم يدعوا حكاية الصلاة ، مع أنهم لم يكونوا ممن يخاف الله واليوم الآخر . والآن أقولها

أبى رسول الله ﷺ وأى حرج على المرء أن يولى أخاه أو قريبه (١٢١ ، ١٢٢) ؟ .

لوجه الله صريحة مدوية أن الوليد لو كان من رجال التاريخ الأوربي كلويس التاسع الذى أسرناه فى دار ابن لقمان بالمنصورة لعدوه قديسًا ، لأن لويس لم يحسن إلى فرنسا كإحسان الوليد بن عقبة إلى أمته ، ولم يفتح للنصرانية كفتح الوليد للإسلام ، والعجب لأمة تسيء إلى أبطالها ، وتشوه جمال تاريخها ، وتهدم أمجادها كما يفعل الأشرار منا ، ثم ينشر كيد هؤلاء الأشرار حتى يظن الاختيار أنه هو الحق . ( خ ) .

(١٢١) وقد تقدم فى هامش ص ٩٨ أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب جعل الأمراء فى مدة خلافته على أكثر أمصار حكمه من ذوى قرابته وأن رسول الله ﷺ ولى رجال بنى أمية وشبابهم ، وكذلك فعل أبو بكر وعمر ، فلم يفعل عثمان إلا الذى سبقه إليه النبى ﷺ وصاحبه . بل إن عثمان لما أقام الحد على أخيه لأمه فعل ما لا نظن أحدًا يفعله بشهادة الشهود المغرضين الذين لم يريدوا الله بشهادتهم . وإذا كان الشهود على الوليد من هذه الطبقة المغرضة فقد شهد له بظهر الغيب قاض من أعظم قضاة الإسلام فى التاريخ علماً وفضلاً وإنصافاً وهو الإمام عامر بن شراحيل الشعبى . روى الطبرى (٥/ ٦٠) أن الشعبى سمع فى أوائل بطولة مسلمة بن عبد الملك حفيداً للوليد ابن عقبة يتحدث عن جهاد مسلمة ، فقال الشعبى : « كيف لو أدركتم الوليد غزوة وأمارته ؟ إن كان ليغزو فينتهى إلى كذا وكذا . . . وما قصر ، ولا انتقض عليه أحد . حتى عزل عن عمله وعلى الباب ( أى الدربند ، وراء بحر الخزر فى روسيا ، وكان من أمنع معاقل الدنيا ) عبد الرحمن الباهلى ( وهو من أعظم قواد الوليد ) . وأن كان مما زاد عثمان على يده ( أى على يد الوليد ) أن رد على كل مملوك بالكوفة من فضول الأموال ثلاثة فى كل شهر يتسعون بها من غير أن ينقص مواليتهم من أرزاقهم » . فهذه الشهادة من الإمام الشعبى للوليد فى جهاده الحربى الظافر ، وفى إحسانه لرعيته فى معاشيتهم ، تفقاً عيون المبطلين ، وتقر أعين الصالحين ، وصدق أمير المؤمنين عثمان يوم طيب قلب أخيه المظلوم بقوله : « نقيم الحدود ، ويبوء شاهد الزور بالنار » . « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك غفور رحيم » ( خ ) .

(١٢٢) ومما يؤسف له أن الشيخ محمداً أباً زهرة أستاذ الشريعة بجامعة القاهرة انساق مع =

= من انساقوا فى أن من أسباب الثورة على عثمان رضي الله عنه .

« اشتهاره بحبه لقرابته ، وليس فى ذلك إثم ولا لوم ، ولكنه ولأهم وقربهم ، وكان يستشيرهم فى كثير من شؤون الدولة ، وفيهم من ليس أهلاً للشقة ، وبمقدار الإكثار من استشارتهم لم يكثر من استشارة عليّة الصحابة : كعلي بن أبى طالب ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة وغيرهم . . ( المذاهب الإسلامية ص ٤٣ ) » .

نستدرك على عبارة الأستاذ أبى زهرة ما يلى :

أولاً : ليس فى تولية الأقارب إثم ولوم ما داموا أكفاء مخلصين ، فقد ولى رسول الله ﷺ ابن عمه عليّ بن أبى طالب على الأحماس باليمن والقضاء بها كما ولى كثيراً من رجال بنى أمية المناصب الهامة ، وهم يمتنون إليه بالقرابة ( راجع جوامع السيرة لابن حزم ) وكذلك فعل على بن أبى طالب لما ولى الخلافة فكان من ولاته عبد الله بن عباس وقثم بن عباس ، وثمامة بن عباس . .

ثانياً : كنا نتمنى من الأستاذ أبى زهرة أن يذكر لنا مثلاً من أقرباء عثمان رضي الله عنه الذين ليسوا أهلاً للثقة كما زعم . كما تقدم معنا .

ولعله يقصد بذلك مروان بن الحكم ، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح الذى قال عنه ( ص ٤٤ ) « كان النبى ﷺ قد أباح دمه إذ ارتد بعد إيمان ، وقد ولاه بعد عمرو بن العاص . . » .

أما مروان فقد تحدث عنه مؤلف العواصم ما فيه الكفاية . .

وأما عبد الله بن سعد فقد ذكر الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى منهاج السنة ( ١٩٦ ) : كان عثمان شفع فى عبد الله بن سعد فقبل ﷺ شفاعته فيه وبإيعه ! .  
وقد أبلى هذا الصحابى بلاء حسناً فى محاربة الروم ففتح بلاد النوبة وصالحه أهلها على دفع الجزية واشترك مع معاوية رضي الله عنه فى تأسيس الأسطول الإسلامى وفى معركة « ذات الصوارى » فى حرب الروم حتى أتم النصر للمسلمين عليهم ، وكان لأسطول ابن سعد الفضل فى حماية سواحل مصر وأفريقية من غزو الروم فرحمه الله وجزاه عن الإسلام خير الجزاء . . =

١٣- وأما إعطاؤه خمس إفريقية لواحد فلم يصح (١٢٣) . على أنه قد ذهب

= ثالثاً : وما قاله الأستاذ أبو زهرة من إكثار استشارته لأقربائه من بنى أمية ، وعدم الإكثار من استشارة كبار الصحابة ، فكلام متهافت لا دليل له عليه ، والأدلة على عكس ما يقول أكثر من أن تذكر ، وهى مبينة بتفصيل فى بطون كتب التاريخ ويعرفها حتى صغار الطلبة !

وقد كان عثمان رضي الله عنه عالماً بكل ذلك ، فكيف يكون من الخزم أن يتقاتل المسلمون ويذهب منهم كثير من الضحايا ، وهو عارف أنه مقتول لا محالة ؟ !  
ومما أخذه الأستاذ أبو زهرة وغيره على عثمان رضي الله عنه كما جاء فى المصدر السابق (ص ٤٦) .

« لم يكن رضي الله عنه حازماً مع الذين ثاروا عليه وهاجموا داره .. ولو أنه أخذ أولئك العصاة بالشدة .. لأدى ذلك إلى نجاته ... ولقد كان عظماء الصحابة على استعداد لنصرته ، وكلما هموا بحمل السلاح ثبطهم ... وقد منعهم سيدنا عثمان إيثاراً للعاقبة ومنعاً للقتل والقتال بين المسلمين ... » .

لقد غاب عن الأستاذ أبى زهرة أن عثمان رضي الله عنه كان عالماً بمصيره فقد بشره رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبه كما جاء فى صحيح البخارى ، كما بشره بالشهادة أيضاً فعن أنس أن النبى ﷺ سعد أحداً ، وأبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم ، فضربه برجله فقال : « اثبت أحد ، فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان » رواه البخارى .

إن الخزم كل الخزم كان ما فعله هذا الخليفة الراشد ! (م) .

(١٢٣) والذى صح هو إعطاؤه خمس الخمس لعبد الله بن أبى سرح جزاء جهاده المشكور ، ثم عاد فاسترده منه . جاء فى حوادث سنة ٢٧ من تاريخ الطبرى (٥ : ٤٩ مصر ، ١ : ٢٨١٤ - ٢٨١٥ طبع أوربا ) أن عثمان لما أمر عبد الله بن سعد بن أبى سرح بالزحف من مصر على تونس لفتحها قال له : « إن فتح الله عليك غدا إفريقية فلك مما أفاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نفلا » . فخرج بجيشه حتى قطعوا أرض مصر وأوغلوا فى أرض إفريقية وفتحوها سهلها وجبلها ، وقسم عبد الله =



مالك وجماعة إلى أن الإمام يرى رأيه في الخمس ، وينفذ فيه ما أداه إليه اجتهاده .  
وأن إعطاءه لواحد جائز ، وقد بينا ذلك في مواضعه (١٢٤) .

= على الجند ما أفاء الله عليهم وأخذ خمس الخمس وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان مع وثيمة النصرى . فشكا وفد ممن معه إلى عثمان ما أخذ عبد الله بن سعد ، فقال لهم عثمان : أنا أمرت له بذلك ، فإن سخطتم فهو رد . قالوا : إنا نسخطه . فأمر عثمان عبد الله بن سعد بأن يرده فردّه . ورجع عبد الله بن سعد إلى مصر وقد فتح إفريقية .

(١٢٤) أى فى مؤلفاته الأخرى عند بسطه هذه المسألة من أحكام الفقه الإسلامى . قال الإمام عامر بن شراحيل الشعبى : « إنما القطناع على وجه النفل من خمس ما أفاء الله » . قال : « وأقطع عمر طلحة وجريز بن عبد الله والربيل بن عمرو . وأقطع ( أى عمر ) أبا مفضّر دار الفيل » . ومن أقطعهم عمر بن الخطاب نافعا أخا زياد وأبى بكرة لأمهما ، أقطعه أرضا فى البصرة لخليله وإبله مساحتها عشرة أجرة ( انظر ترجمة نافع فى الإصابة ) قال القاضى أبو يوسف فى كتاب الخراج ( ص ٦١ ) وقد أقطع رسول الله ﷺ وتآلف على الإسلام أقواما ، وأقطع الخلفاء من بعده من رأوا أن فى إقطاعه صلاحا ( وضرب أبو يوسف الأمثلة على ذلك ) . وانظر باب القطناع فى ص ٧٧ - ٧٨ من كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشى طبع السلفية . وذكر الإمام الشعبى بعض الذين أقطعهم عثمان فقال : « وأقطع الزبير ، وخبابا ، وعبد الله بن مسعود ، وعمار بن ياسر ، وابن هبّار أزمان عثمان ، فإن يكن عثمان أخطأ فالذين قبلوا منه الخطأ أخطؤوا ، وهم الذين أخذنا عنهم ديننا » ( الطبرى ١٤٨/٤ ) . وأقطع على بن أبى طالب كردوس بن هانئ الكردوسية ، وأقطع سويدا بن غفلة أرضا لدا ذويه . فكيف ينكرون على عثمان ويسكتون عن عمر وعلى . وللقاضى أبى يوسف كلام سديد فى هذا الموضوع فى كتاب الخراج ( ص ٦٠ - ٦٢ طبعة السلفية سنة ١٣٥٢ ) . وما زعمه الزاعمون من أن عثمان كان يود ذوى قرابته ويعطيهم ، فمودته ذوى قرابته من فضائله ، وعلى أنى على عثمان بأنه أوصل الصحابة للرحم ، وعثمان أجاب عن موقفه هذا بقوله : « وقالوا إني أحب أهل بيتي وأعطيهم ، فأما حبى لهم فإنه لم يملّ منهم على جور ، بل أحمل الحقوق عليهم . وأما إعطاؤهم فإنى إنما أعطيهم =

١٤- وأما قولهم إنه ضرب بالعصا ، فما سمعته ممن أطاع أو عصى ، وإنما هو باطل يحكى ، وزور يثنى (١٢٥) ، فيالله وللنهي .

١٥ - وأما علوه على درجة رسول الله ﷺ ، فما سمعته ممن فيه تقية . وإنما هي إشاعة منكر ، ليروى ويذكر ، فيتغير قلب من يتغير . قال علماؤنا : ولو صح ذلك فما في هذا ما يحل دمه . ولا يخلو أن يكون ذلك حقاً فلم تنكره الصحابة عليه إذ رأته جوازه ابتداء أو لسبب اقتضى ذلك . وإن كان لم يكن فقد انقطع الكلام (١٢٨) .

= من مالى ، ولا أستحل أموال المسلمين لنفسى ، ولا لأحد من الناس . وقد كنت أعطى العطية الكبيرة الرغبة من صلب مالى أزمان رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر ، وأنا يومئذ شحيح حريص . أفحين أنت على أسنان أهل بيتى وفنى عمرى وودعت الذى لى فى أهلى قال الملاحدون ما قالوا ؟ وقال الطبرى (١٠٣/٥) : وكان عثمان قد قسم ماله وأرضه فى بنى أمية ، وجعل ولده كبعض من يعطى ، فبدأ بنى أبى العاص فأعطى آل الحكم رجالهم عشرة آلاف عشرة آلاف فأخذوا مائة ألف ، وأعطى بنى عثمان مثل ذلك ، وقسم فى بنى العاص وبنى العيص وفى بنى حرب . بل تمادى شيخ الإسلام ابن تيمية مع أوسع الاحتمالات فذكر فى منهاج السنة (٣/١٨٧) ، (١٨٨) أن سهم ذوى القربى ذهب بعض الفقهاء إلى أنه لقراءة الإمام كما قاله الحسن وأبو ثور ، وأن النبى ﷺ كان يعطى أقاربه بحكم الولاية . . وقيل هو لمن ولى الأمر بعده . . قال : وبالجملية فعمامة من تولى الأمر بعد عمر كان يخص بعض أقاربه إما بولاية ، أو بمال ، ثم قال فى (٣/٢٣٧) : « أن ما فعله عثمان فى المال له ثلاثة مأخذ : أحدهما أنه عامل عليه ، والعامل يستحق مع الغنى . الثانى أن ذوى القربى هم ذؤو قربى الإمام . الثالث أنهم ( أى ذؤو قربى عثمان ) كانوا قبيلة كثيرة ليسوا مثل قبيلة أبى بكر وعمر ، فكان يحتاج إلى إعطائهم وولايتهم أكثر من حاجة أبى بكر وعمر إلى تولية أقاربهم وإعطائهم . وهذا مما نقل عن عثمان الاحتجاج به » (خ) .

(١٢٥) نثنى الخبر والحديث : أذاعه وأظهره . والثنا مثل الثناء ، إلا أنه فى الخير والشر ، والثانى فى الخير خاصة . ( م ) .

(١٢٨) كان مسجد رسول الله ﷺ ضيق المساحة فى عصر النبوة وخلافة أبى بكر ، وكان من =

١٦ - وأما انهزامه يوم حنين ، وفراره يوم أحد ، ومغيبه عن بدر وبيعة  
الرضوان ، فقد بين عبد الله بن عمر وجه الحكم فى شأن البيعة وبدر وأحد . وأما  
يوم حنين فلم يبق إلا نفر يسير مع رسول الله ﷺ ولكن لم يجر فى الأمر تفسير من  
بقى ممن مضى فى الصحيح ، وإنما هى أقوال ، منها أنه ما بقى معه إلا العباس وابناه  
عبد الله وقتهم ، فناهيك بهذا الاختلاف ، وهو أمر قد اشترك فيه الصحابة ، وقد عفا الله  
عنه ورسوله ، فلا يحل ذكر ما أسقطه الله ورسوله والمؤمنون ، أخرج البخارى (١٢٩) :  
جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان ، فذكر عن محاسن عمله وقال : لعل ذلك  
يسوؤك ؟ قال : نعم . قال : فأرغم الله بأنفك . ثم سأله عن على ، فذكر محاسن  
عمله وقال : هو ذاك بيته أوسط بيوت النبى ﷺ ثم قال : لعل ذلك يسوؤك ؟ قال :  
أجل . قال : فأرغم الله بأنفك . انطلق فأجهد على جهدك . وقد تقدم فى حديث  
« بنى الإسلام على خمس » زيادة فيه للبخارى فى على وعثمان (١٣٠) . وقد أخرج  
البخارى أيضاً (١٣١) من حديث عثمان بن عبد الله بن موهب قال : جاء رجل من  
أهل مصر يريد حج البيت فرأى قوماً جلوساً ، فقال : من هؤلاء القوم ؟ قالوا :  
هؤلاء قريش . قال : فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبد الله بن عمر . قال : يا بن

---

= مناقب عثمان فى زمن النبى ﷺ عندما زاد عدد الصحابة أن اشترى من ماله مساحة  
من الأرض وسع بها المسجد النبوى ، ثم وسعه أمير المؤمنين عمر فأدخل فيه دار  
العباس بن عبد المطلب . ثم ازداد عدد المصلين بازدياد عدد سكان المدينة وقاصديها  
فوسعه أمير المؤمنين عثمان مرة أخرى وجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين  
ومائة ذراع وجدد بناءه . فاتساع المسجد وازدياد غاشيته وبعد أمكنة بعضهم عن منبر  
الخطابة يجوز أن يكون من ضرورات ارتفاع الخطيب ليراهم ويروه ويسمعه . (خ) .  
(١٢٩) فى كتاب فضائل الصحابة (ك ٦٢ ب ٩ - ج ٤ ص ٢٠٨) من حديث سعد بن عبيدة .  
(خ) .

(١٣٠) لعل المؤلف يشير إلى حديث ابن عمر فى كتاب التفسير من صحيح البخارى (ك ٦٥  
ب ٢ تفسير البقرة الحديث ٣٠ ج ٥ ص ١٥٧) (خ) .  
(١٣١) فى كتاب فضائل الصحابة (ك ٢٦ ب ٧ ج ٤ ص ٢٠٣ - ٢٠٤) . (خ) .

عمر ، إني سائلك عن شيء فحدثني عنه ، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد ؟ قال : نعم . فقال : تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد ؟ قال : نعم . قال : الله أكبر ! قال ابن عمر : تعال أبين لك . أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له . وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ : إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه (١٣٢) . وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه ، فبعث رسول الله ﷺ عثمان (١٣٣) وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة (١٣٤) ، فقال رسول الله ﷺ بيده

(١٣٢) وبعث النبي ﷺ بيشري النصر في بدر مع زيد بن حارثة إلى عثمان في المدينة . قال أسامة بن زيد - فيما رواه الطبري ٢ : ٢٨٦ : « فأتانا الخبر حين سويتا التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ التي كانت عند عثمان بن عفان ، وكان رسول الله ﷺ خلفني عليها مع عثمان » ثم في ربيع الأول من السنة التالية لغزوة بدر تزوج عثمان أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ، وأدخلت عليه في جمادى الآخرة . ( خ ) .

(١٣٣) وقبل أن يبعث عثمان دعا عمر بن الخطاب ليعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشرف قريش ما جاء له ، فقال عمر : يا رسول الله إني أخاف قريشا على نفسي ، وليس في مكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعي . ولكنني أدلك على رجل هو أعز مني فيها : عثمان بن عفان . فدعاه رسول الله ﷺ فبعثه إلى أبي سفيان وأشرف قريش . ويوم تدون الدول الإسلامية تاريخ السفارات في الإسلام ، سيكون اسم عثمان أول سفراء الإسلام في التاريخ ( خ ) .

(١٣٤) لأن عثمان لما أدى رسالته في السفارة التي بعث لها احتبس أيامًا ، فلم يعد إلى النبي ﷺ في الموعد الذي كان يقدر له أن يعود فيه ، فوصل الخبر إلى النبي ﷺ بأن سفيره قتل ، فدعا النبي ﷺ الصحابة إلى بيعة الرضوان ، انتصارًا لعثمان ، على نية أن يذهب بأصحابه إلى مكة فيناجز المشركين لما بلغه عن قتلهم عثمان فيبيعة الرضوان كانت رمزًا من رموز الشرف لعثمان وأي شرف أعظم من اجتماع قوى الإسلام بقيادة الرسول الأعظم للأخذ بثأر هذا الرجل الحبيب إلى المسلمين ، والرفيع المنزلة عند سيد الأولين والآخرين . ثم لما علم النبي ﷺ - في اللحظة الأخيرة التي اجتمع فيها الصحابة لعقد البيعة - أن عثمان حي ، مضى في إتمام البيعة ، على سبيله ﷺ في أنه =

اليمنى : « هذه يد عثمان » فضرب بها على يده فقال : « هذه لعثمان (١٣٥) » . ثم قال له ابن عمر : اذهب بها الآن معك (١٣٦) .

= إذا بدأ بخير يمضى فى إكماله ولو زال سببه . وحينئذ كان لعثمان الشرف المضاعف بأن يد رسول الله ﷺ نابت عن يده فى عقد البيعة عنه ، فبيعة الرضوان كانت انتصارا لعثمان وجميع الصحابة بايعوا بأيدي أنفسهم إلا عثمان فإن أشرف يد فى الوجود نابت عن يده فى إعطاء بيعته ولو لم يكن لعثمان من الشرف فى حياته كلها إلا هذا لكفاه . ( خ ) .

(١٣٥) أخرج البخارى نحوه فى صحيحه (٢٩١/٧) (م) .  
(١٣٦) لو أن أمير المؤمنين عثمان كان من حوارى المسيح ﷺ ، وكانت له من سيدنا عيسى ابن مريم مثل هذه المنقبة التى كرمه الله بها من نبي الرحمة محمد ﷺ ، لعبدته النصارى لأجلها . فالعجب لأمة يكون فيها جهلة يعيرون على عثمان - فى زمانه - غيبته عن بيعة الرضوان ، ويكون فيهم من يستشعر الشجاعة فى نفسه عند الإقدام على سفك دم هذا الخليفة الرحيم لأصور هذا منها ، ثم يحمل مثل هذا الجهل فى دماغه رجل جاء يعبد الله بأداء فريضة الحج فيواجه به جماعة الصحابة من قريش ورئيسهم عبد الله بن عمر ، ثم تمس الحاجة إلى التعرض لبيان هذه الحقائق فى عصر القاضى أبى بكر بن العربى ، ثم يشعر أمثالنا فى عصرنا بأن عثمان لا يزال من بعض أمته فى موقف يحتاج فيه إلى إنصافه (\*) ودفع قالة السوء عنه . حقاً إننا أمة =

(\*) ونقول بهذه المناسبة : أن عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه ينبغى أن يسمى العصر الذهبى للإسلام على الرغم من تشويهه من قبل الحساد والمفتريين والمضللين ، رحمه الله تعالى وأجزل ثوابه ، وجزاء عن الإسلام والمسلمين بما هو أهله ، أجر ما جاهد وأنفق من قبل الفتح ، ومن بعد الفتح ، وحتى زمن خلافته .  
لقد تمت فى عهد هذا الخليفة العظيم أمور تنظيمية ، وكان من أجلها جمعه الناس على مصحف واحد .  
وزاد فى عطاء الناس مائة مائة كما رأينا بل روى ما يدل على ما كان من كثرة الخير فى زمنه والتوسع فى العطاء وتنويعه حيث روى عن الحسن البصرى من علماء التابعين قال : « شهدت متادى عثمان ينادى : أيها الناس اغدوا على أعطيائكم فيغدون ، ويأخذونها وافية ، ثم ينادى : أيها الناس اغدوا على أرزاقكم فيغدون ويأخذونها وافية ، حتى - والله سمعته أذنأى يقول : اغدوا على كسوتكم فيأخذون الخلل ، واغدوا على السمن والعسل : أرزاق دارة ، وخير كثير وذات بين حسن . ما على الأرض مؤمن يخاف مؤمنا ، إلا يرده وينصره ويألفه . فلو صبر الانصار على الأثرة ، لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق . .  
واستمرت حركة الفتح فى مختلف الميادين فى زمنه فتم فى عهده فتح شمال إفريقيا ، وفتح الإسكندرية مرة ثانية بعد ما كبر الروم عليها وغزا بلاد النوبة وأخذ الجزية من أهلها على يد قائده عبد الله بن سرح . =

١٧- وأما امتناعه عن قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بالهرمزان ، فإن ذلك باطل (١٣٧) .

= مسكينة... ولأمر ما بلغ بنا الحال بين الأمم إلى ما كنا فيه ، وإلى ما لا نزال غارقين فيه « لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . ( خ ) .  
(١٣٧) بشهادة ابنه القماذبان . روى الطبرى ( ٤٣/٥ ، ٤٤ مصر و ١ : ٢٨٠١ طبعة أوربا )  
عن سيف بن عمر بسنده إلى أبى منصور قال : سمعت القماذبان يحدث عن قتل أبيه... قال : « فلما ولى عثمان دعائى فأمكننى منه ( أى من عبيد الله بن عمر بن الخطاب ) ثم قال : « يا بنى هذا قاتل أبيك ، وأنت أولى به منا ، فاذهب فاقتله » . فخرجت به وما فى الأرض أحد إلا معى ، إلا أنهم يطلبون إلى فيه . فقلت لهم : إلى قتله ؟ قالوا : نعم . وسبوا عبيد الله . فقلت : أفلكم أن تمنعوه ؟ قالوا : لا . وسبوه . فتركته لله ولهم . فاحتملوني . فوالله ما بلغت المنزل إلا على رؤوس الرجال وأكفهم » . هذا كلام ابن الهرمزان ، وإن كل منصف يعتقد ( ولعل ابن =

= وفى خلافة عثمان أنشئ أول أسطول إسلامى ، وأول من فكر فى ذلك معاوية بن أبى سفيان ، وكان والياً على الشام ، استعان بهذا الأسطول على غزو قبرص وأخذ الجزية من أهلها .  
ولقد اقتدى عبد الله بن سعد والى مصر بمعاوية ، فأنشأ هو الآخر أسطولاً لحماية سواحل مصر وشمال أفريقيا .

وارتاع الروم من تقدم العرب البحرى فسيروا أسطولاً عظيماً بلغ عدد مراكبه ٦٠٠ لعلهم يقضون به على القوة البحرية الإسلامية الناشئة التى أذهلتهم ، وكان ذلك بقيادة الملك قسطنطين نفسه على ما رواه الطبرى .

وقد قابلت أساطيل المسلمين هذه الحملة البحرية بحماسة وشجاعة واشتبكت معها فى معركة « ذات الصواري » ثم تم النصر فيها للمسلمين بعدما غطت القتلى من الطرفين سطح البحر واحمرت مياه بدمائهم .  
وفى عهد الخليفة عثمان تم فتح أرمينية وأذربيجان كما تم فتح بقية بلاد فارس .  
وقد عم الرخاء فى عهد عثمان بسبب هذه الفتوحات وكثر المال والريق بصورة لم يعرف لها مثيل من قبل !

وقد رثى أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه كثير من الشعراء نذكر منهم ليلى الاخيلية فى بعض ابيات لها

قالت :

أبعد عثمان ترجو الخير أمته      قد كان أفضل من يمشى على ساق  
خليفة الله أعطاهم وخولهم      ما كان من ذهب حلو وأوراق (م)

[ وإن ] كان لم يفعل فالصحابة متوافرون ، والأمر فى أوله (١٣٨) . وقد قيل : إن الهرمزان سعى فى قتل عمر ، وحمل الخنجر وظهر تحت ثيابه (١٣٩) . وكان قتل عبيد الله له ، وعثمان لم يل بعد . ولعل عثمان كان لا يرى على عبيد الله حقاً ، لما ثبت عنده من حال الهرمزان وفعله (١٤٠) . وأيضاً فإن أحداً لم يقم بطلبه [ فكيف ]

= الهرمزان أيضاً كان يعتقد ) أن دم أمير المؤمنين عمر فى عنتى الهرمزان ، وأن أبى لؤلؤة لم يكن إلا آلة فى يد هذا الفارسى . وإن موقف عثمان وإخوانه أصحاب رسول الله ﷺ من هذا الحادث لا نظير له فى تاريخ العدالة الإنسانية . ( خ ) . (١٣٨) وقد تصرف عثمان فى هذا الأمر بعد أن ذاكّر الصحابة فيه . قال الطبرى (٤١/٥) جلس عثمان فى جانب المسجد ودعا عبيد الله وكان محبوساً فى دار سعد بن أبى وقاص ، وهو الذى نزع السيف من يده . . . فقال عثمان لجماعة من المهاجرين والأنصار : أشيروا على فى هذا الذى فتن فى الإسلام ما فتن . فقال على : أرى أن تقتله . فقال بعض المهاجرين : قتل عمر أمس ، ويقتل ابنه اليوم ؟! فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين ، إن الله أعفأك أن يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان ، إنما كان هذا الحدث ولا سلطان لك . قال عثمان : أنا وليهم ، وقد جعلتها دية ، واحتملتها فى مالى . ( خ ) .

(١٣٩) فى تاريخ الطبرى (٤٢/٥) حديث سعيد بن المسيب أن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق قال غداة طعن عمر : « مرت على أبى لؤلؤة عشى أمس ، ومعه جفينة (وكان نصرانياً من أهل الحيرة ظئراً لسعد بن أبى وقاص ) والهرمزان ، وهم غبي ، فلما رهقتهم ثاروا ، وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه فى وسطه . فانظروا بأى شئ قتل ؟ وخرج فى طلبه رجل من بنى تميم ، فرجع إليهم التميمى وقد كان أظ بائى لؤلؤة منصرفه عن عمر حتى أخذه . وجاء بالخنجر الذى وصف عبد الرحمن بن أبى بكر فسمع بذلك عبيد الله بن عمر . فأمسك حتى مات عمر ، ثم اشتهل على السيف فاتى الهرمزان فقتله » ( خ ) .

(١٤٠) وكذلك حبر الأمة عبد الله بن عباس رأى جواز قتل علوج الفرس الذين فى المدينة بلا استثناء . قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣: ٢٠٠) : وقد قال عبد الله =

يصح مع هذه الاحتمالات كلها أن ينظر في أمر لم يصح ؟

١٨ - وأما تعلقهم بأن الكتاب وجد مع غلامه - ولم يقل أحد قط إنه كان غلامه (١٤١) - إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح يأمره بقتل

= ابن عباس لما طعن عمر - وقال له عمر : كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة - فقال ( أى ابن عباس ) : « إن شئت أن تقتلهم » فقال عمر : « كذبت » أبعاد أن تكلموا بلسانكم ، وصلوا إلى قبلتكم ؟ » . قال ابن تيمية : فهذا ابن عباس - وهو أفهق من عبيد الله بن عمر وأدين وأفضل بكثير - يستأذن عمر في قتل علوج الفرس مطلقاً الذين كانوا بالمدينة ، لما اتهموهم بالفساد ، اعتقد جواز مثل هذا . . وإذا كان الهرمزان ممن أعان على قتل عمر كان من المفسدين في الأرض المحاربين فيجب قتله لذلك . ولو قدر أن المقتول معصوم الدم يحرم قتله ، لكن كان القاتل متأولاً ويعتقد حل قتله لشبهة ظاهرة ، صار ذلك شبهة تدراً عن القاتل ( يعنى عن عبيد الله بن عمر ) . قلت : وإلى هذا ذهب عثمان في اكتفائه بالدية واحتملها من ماله الخاص (٥) . ولو أن حادث مقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - بجميع ظروفه - وقع مثله في أى بلد آخر مهما بلغ في ذروة الحضارة لما كان منهم مثل الذى كان من الصحابة في تسامحهم إلى حد المطالبة حتى بقتل ابن أمير المؤمنين المقتول بيد الغدر والنذالة والبنى الذميم ( خ ) .

(١٤١) وإنما قالوا إنه غلام الصدقة ، أى أحد رعاة إبل الصدقة . وإبل الصدقة ألوف كثيرة لها مئات من الرعاة . وإن صح أنه من رعاة إبل الصدقة فهو لاء لكثرتهم وتبدلهم دائماً بغيرهم لا يكاد يعرفهم رؤساؤهم فضلاً عن أن يعرفهم أمير المؤمنين وكبار عماله وأعوانه . ومع افتراض أنه من رعاة إبل الصدقة فما أيسر أن يستأجره هؤلاء البغاة =

(٥) وكما قتل عبيد الله بن عمر الهرمزان ، قتل ابنة أبى لؤلؤة ، وقتل أيضاً جفينة النصراني لانتهاه بذلك ، فقال أعداء عثمان رضي الله عنه أنه لم يقتص من عبيد الله بسبب ذلك . والجواب أن ابنة أبى لؤلؤة كانت مجوسية ، وجفينة كان نصرانياً وقد قال النبي ﷺ كما جاء في البخارى : « لا يقتل مسلم بكافر » (١) وقد دفع عثمان ديتهما كما دفع دية الهرمزان بعد عفو ابنه عن عبيد الله كما رأينا في غير هذا المكان ( م ) .

(١) رواه البخارى ( ١١١ ، ٧ ، ٣٠ ، ٦٩٠٣ ، ٦٩١٥ ) من حديث على بن أبى طالب ( ع ) .



حامليه (١٤٢). فقد قال لهم عثمان : إما أن تقيموا شاهدين على [ بذلك ] ، وإلا فيميني أنى ما كتبت ولا أمرت (١٤٣). وقد يكتب على لسان الرجل ، ويضرب على

= لغرض من أغراضهم . وقد ثبت أن الأشتر وحكيم بن جبلة تخلفا في المدينة عند رحيل الثوار عنها مقتنعين بأجوبة عثمان وحججه ، وفي مدة تخلف الأشتر وحكيم ابن جبلة تم تدبير الكتاب وحامله للتدريع بهما في تجديد الفتنة ورد الثوار ولم يكن لأحد غير الأشتر وأصحابه مصلحة في تجديد الفتنة . وكم لهم من حيل أكثر التواء من استجار راع يرعى إبل الصدقة . بل لقد ذكروا عن محمد بن أبى حذيفة ربيب عثمان الأبق من نعمته أنه كان في نفس ذلك الوقت موجوداً في مصر يؤلب الناس على أمير المؤمنين ويزور الكتب على لسان أزواج النبي ﷺ ويأخذ الرواحل فيضمهرها ويجعل رجالا على ظهور السيوف في الفسطاط ووجوههم إلى الشمس لتلوح وجوههم تلويح المسافر ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق الحجاز بمصر ثم يرسلوا رسلا يخبرون عنهم الناس ليستقبلوهم . . . فإذا لقوهم قالوا أنهم يحملون كتباً من أزواج النبي ﷺ في الشكوى من حكم عثمان ، وتلى هذه الكتب في جامع عمرو بالفسطاط على ملاء الناس وهي مكذوبة مزورة وحملتها كانوا في مصر ولم يذهبوا إلى الحجاز ( انظر كتاب الأستاذ المحقق الشيخ صادق عرجون عن « عثمان بن عفان » ص ١٣٢ - ١٣٣). فتزوير الكتب في مأساة البغى على أمير المؤمنين عثمان كان من أسلحة البغاة استعملوه من كل وجه وفي كل الأحوال . وقد تقدم المثال على ذلك ، وسيأتى طرف منه فيما بعد .

(١٤٢) وكيف يكتب إلى عبد الله بن سعد بن أبى سرح وقد أذن له بالمجيء إلى المدينة ويعلم أنه خرج من مصر ( الطبرى ٥ : ١٢٢ ) وكان المتسلط على الحكم في الفسطاط محمد ابن أبى حذيفة رئيس البغاة وعميدهم في هذه الجهة . ومضمون الكتاب المزور قد اضطرب رواة أخباره في تعيين مضمونه وسيأتى الكلام على ذلك كله فيما بعد . (خ). (١٤٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٣/ ١٨٨) : كل ذى علم بحال عثمان يعلم أنه لم يكن ممن يأمر بقتل محمد بن أبى بكر ولا أمثاله ، ولا عرف منه قط أنه قتل أحدا من هذا الضرب . وقد سعوا في قتله ( أى فى قتل أمير المؤمنين عثمان ) ودخل عليه محمد فيمن دخل ، وهو لا يأمر بقتلهم دفعا عن نفسه ، فكيف يتدنى =

خطه ، ويتنقش على خاتمه (١٤٤) .

فقالوا : [ تسلم ] لنا مروان . فقال : لا أفعل . ولو سلمه كان ظالماً (١٤٥) وإنما عليهم أن يطلبوا حقهم . عنده على مروان وسواه ، فما ثبت كان هو منفذه ، وأخذه [ إن كان له أخذه ] والممكن لمن يأخذه بالحق . ومع سابقته وفضيلته ومكانته لم يثبت عليه ما يوجب خلع فضلا عن قتله .

وأمثل ما روى في قصته أنه - بالفضاء السابق - تألب عليه قوم لأحقاد اعتقدوها : ممن طلب أمراً فلم يصل إليه ، وحسد حسادة أظهر داءها ، وحمله على ذلك قلة دين وضعف يقين ، وإيثار العاجلة على الآجلة (١٤٦) . وإذا نظرت إليهم ذلك

= بقتل معصوم الدم . ( خ ) .

(١٤٤) وقد حدث مثل ذلك في زمن عمر ، كما رواه البلاذري في فتوح البلدان ( ص ٤٤٨ طبع سنة ١٣٥٠ ) ، والحافظ ابن حجر في الإصابة ( ٥٢٨/٣ طبع سنة ١٣٢٨ ) . ( خ ) .

(١٤٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٣: ١٨٩) بل عثمان إن كان أمر بقتل محمد بن أبي بكر هو أولى بالطاعة ممن طلب قتل مروان ، لأن عثمان إمام هدى وخليفة راشد يجب عليه سياسة رعيته وقتل من لا يدفع شره إلا بقتله . وأما الذين طلبوا قتل مروان فقوم خوارج مفسدون في الأرض ليس لهم قتل أحد ولا إقامة حد . وليس مروان أولى بالفتنة والشر من محمد بن أبي بكر ، ولا هو ( أي ابن أبي بكر ) أشهر بالعلم والدين منه ( أي من مروان ) . بل أخرج أهل الصحاح عدة أحاديث عن مروان ، وله قول مع أهل الفتيا ، واختلف في صحته . ومحمد بن أبي بكر ليس بهذه المنزلة عند الناس . . ومروان من أقران ابن الزبير . إلخ . ( خ ) .

(١٤٦) بمثل هذه الأوصاف وصفهم أمير المؤمنين على بن أبي طالب في الخطبة التي خطبها على الغرائر في معسكره بالكوفة عندما كان الصحابي الفارس المجاهد القعقاع بن عمرو التميمي يسعى بإتمام المهمة التي جاءت عائشة وطلحة والزبير لإتمامها ، فروى الطبري ( ٥: ١٩٤ ) أن علياً ذكر إنعام الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله ﷺ ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه . وقال على مسمع من قتلة عثمان : « ثم حدث =



وكنانة بن بشر التجيبى (١٥٠) ، ..... .

= وفى المدينة تطورت حركاتهم إلى أن استفحل الأمر ومنعوا عثمان من الصلاة بالناس فى المسجد النبوى فصار الغافقى هو الذى يصلى بالناس ( الطبرى ٥ : ١٠٧ ) ثم لما أقنعهم الشيطان بالجرأة على الجناية الكبرى كان الغافقى أحد المجترئين عليه وضربه بحديدة معه وضرب (\*) المصحف برجله فاستدار ( الطبرى ٥ : ١٣٠ ) وبعد قتل عثمان بقيت المدينة خمسة أيام وأميرها الغافقى بن حرب ( الطبرى ٥ : ١٥٥ ) . (خ)

(١٥٠) وهذا أيضاً كان من فرائض ابن سبأ فى مصر . ولما أرسل عثمان عماراً (\*\*) إلى مصر ليكتشف له أمر الإشاعات وحقيقة الحال ، استماله السبأيون ، وكان كنانة بن بشر هذا واحداً منهم ( الطبرى ٥ / ٩٩ ) . وعندما جمعوا أوشاب القبائل للزحف على المدينة بحيلة الحج فى شوال سنة ٣٥ انقسموا فى مصر إلى أربع فرق على كل فرقة أمير ، وكان كنانة بن بشر أميراً على إحدى هذه الفرق ( الطبرى ٥ : ١٠٣ ) ثم كان فى طليعة من اقتحم الدار على عثمان ويده شعلة من نار تنضج بالنفط ، فدخل من دار عمرو بن حزم ودخلت الشعل على أثره ( الطبرى ٥ : ١٢٣ ) ، ووصل كنانة التجيبى إلى عثمان فأشعره مشقفاً ( أى نصلاً طويلاً عريضاً ) فانتضج الدم على آية « فيكشفكم الله » ( الطبرى ٥ / ١٢٦ ) ، وقطع يد نائلة زوجة عثمان واتكأ بالسيف على صدر عثمان وقتله ( الطبرى ٥ : ١٣١ ) ، قال محمد بن عمر الواقدي : حدثنى عبد الرحمن بن أبى الزناد المدنى ، عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى المدنى المتوفى سنة ٤٣ قال : الذى قتل أمير المؤمنين عثمان هو كنانة بن بشر ابن عتاب التجيبى ( الطبرى ٥ : ١٣٢ ) وفيه يقول الوليد بن عقبة بن أبى معيط :

ألا إن خير الخلق بعد ثلاثة قتيل التجيبى الذى جاء من مصر

وكانت عاقبة كنانة هذا وقوعه قتيلاً فى الحرب التى نشبت سنة ٣٨ فى مصر =

(\*) فى سند هذا الخبر الغريب الموحش سيف الذى يكتب التاريخ ، وهو منهم بالكذب كما جاء فى الميزان واللسان . ( م ) .

(\*\*) قضية استماله السبأين لعمار ، وصلاة الغافقى بالناس فى المدينة فى سندهما سيف بن عمر التيمى الجرمى ضعيف جداً واتهم بالوضع والزندقة ! كما جا فى التهذيب لابن حجر وهكذا نرى قسماً كبيراً من تاريخنا من وضع الزنادقة فهل من معتبر !؟ ( م ) .

وسودان بن حمران (١٥١) ، وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي (١٥٢) ، وحكيم بن

= بين محمد بن أبي بكر الصديق نائب على وبين عمرو بن العاص ومن معه من جيش معاوية بن حديج السكوني (الطبري ٦ / ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠) . ( خ ) .  
(١٥١) السكوني ، من قبائل مراد اليمنية النازلة في مصر . وقد تقدم أنه كان في سنة ١٤- أحد الذين قدموا في خلافة عمر للجهاد مع جيوش اليمن بقيادة حضين بن غمير ومعاوية بن حديج ، فلما استعرضهم أمير المؤمنين وقع نظره على سودان بن حمران هذا وعلى زميله خالد بن ملجم فتشاءم منهما وكرههما . ولما أرسل أمير المؤمنين عثمان عماراً إلى مصر ليكشف له مصدر الإشاعات الكاذبة وحقيقة الحال التفت السبأيون بعمار وكان سودان بن حمران منهم (الطبري ٥ : ٩٩) . ولما سير السبأيون متطوعة الفتنة من أوشاب القبائل اليمنية التي في مصر في شوال سنة ٣٥ نحو المدينة وجعلوهم أربع فرق كان سودان قائد إحدى هذه الفرق (الطبري ٥ : ١٠٣) ، ولما وصل متطوعة الفتنة إلى المدينة وخرج لهم محمد بن مسلمة ليعظم لهم (الطبري ٥ : ١١٨) . وفي ٥ : ١٣١ من تاريخ الطبري وصف تسور سودان ومعه آخرون من دار عمرو بن حزم إلى دار عثمان . وفي ٥ : ١٣٠ بعض تفاصيل ما وقع من سودان عند ارتكابهم الجناية العظمى . ولما انتهوا من قتل أمير المؤمنين خرج سودان من الدار وهو ينادي : قد قتلنا عثمان بن عفان (الطبري ٥ : ١٢٣) . ( خ ) .

(١٥٢) كان أبوه رجلاً مسناً من مسلمة الفتح . وورد ذكر عبد الله بن بديل في الفتنة العظمى على أمير المؤمنين عثمان ، فذكر الطبري (٥ / ١٢٤ ، ١٢٥) أن المغيرة بن الأحنس ابن شريق الثقفي حليف بنى زهرة خرج هو وعبد الله بن الزبير ومروان وغيرهم يدافعون عن أمير المؤمنين على باب الدار ، فحمل عبد الله بن بديل على الأحنس بن شريق وقتله . ونقل الحافظ ابن حجر في الإصابة (٢ / ٢٨٠) عن ابن الكلبي أن عبد الله بن بديل وأخاه عبد الرحمن شهدا صفين مع علي وقتلا بها . والظاهر أن أخاه قتل قبله ، فقد نقل ابن حجر (في الإصابة ٢ / ٢٨١) عن ابن إسحاق في كتاب الفردوس أن عبيد الله بن عمر بن الخطاب لما قدم الكوفة - أي مع جيش أهل الشام - لقي عبد الله بن بديل ، فنصح له ابن بديل بأن لا يهرق دمه في هذه الفتنة ، فاعتذر =

جبله من أهل البصرة (١٥٣) ، ومالك بن الحارث.....

= عبيد الله بن عمر بأنه يطلب بدم أمير المؤمنين عثمان الذى قتل ظلماً ، واعتذر ابن بديل بأنه يطلب بدم أخيه الذى قتل ظلماً . وكيف يكون أخوه قتل ظلماً وقد قتل فى فتنه تطوع للمساهمة فيها مختاراً ، بينما عثمان وهو أمير المؤمنين الذى له حق الولاية عليهم كان مبغياً عليه من ابن بديل وأمثاله ومن هم أقل منه شأناً ومع ذلك لم يقاتل أحداً ، ولم يدافع عن نفسه ، ونهى الناس عن أن يدافعوا عنه أوباشاً قدموا إلى مدينة الرسول ﷺ من مختلف البلاد ليرتكبوا الشر والإثم . وأين عثمان الذى ملأت حسناته الأرض وتعطرت بأريجها السماء ، من عبد الرحمن بن بديل الذى لا يكاد يعرف له التاريخ عملاً . ( خ ) .

(١٥٣) حكيم بن جبلة العبدى من قبائل عبد القيس ، أصلهم من عمان وسواحل الخليج الفارسى (\*) ، وتوطن بالبصرة بعد تمصيرها . وكان حكيم هذا شاباً شجاعاً ، وكانت الجيوش الإسلامية التى تزحف نحو الشرق لنشر الدعوة والفتوح تصدر عن البصرة والكوفة ، فكان حكيم بن جبلة يرافق هذه الجيوش ، ويجازف فى بعض حملات الخطر ، كما تفعل كتائب ( الكوماندوز ) فى هذا العصر . وقد استعملته جيوش أمير المؤمنين عثمان فى إحدى هذه المهمات عند محاولتها استكشاف الهند كما نوهت بذلك فى مقالة ( طلائع الإسلام فى الهند ) . ويؤكد شيوخ سيف بن عمر التميمى ( وهو أعرف المؤرخين بتاريخ العراق ) على ما نقله عنه الطبرى ( ٥ : ٩٠ ) أن حكيم بن جبلة كان إذا قفلت الجيوش خنس عنهم فسعى فى أرض فارس فيغير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويفسد فى الأرض ويصيب ما شاء ثم يرجع . فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان ، فكتب عثمان إلى عبد الله بن عامر أن احبسه ومن كان مثله فلا يخرج من البصرة حتى تأنسوا منه رشداً ، فحبسه ( أى منعه من مبارحة البصرة ) . فلما قدم عبد الله بن سبأ بالبصرة نزل على حكيم بن جبلة ، واجتمع إليه نفر ، فنفت فيهم سموه . فأخرج ابن عامر عبد الله بن سبأ من البصرة فأتى الكوفة فأخرج منها ، ومن هناك رحل ابن سبأ إلى القسطنطينية ولبث فيه =

الأشتر (١٥٤) فى طائفة هؤلاء رؤوسهم ، فتاهيك بغيرهم .

= وجعل يكايتهم ويكايتونه ويختلف الرجال بينهم . وذكر الطبرى ( ٥ / ١٠٤ ) أن السبأية لما قرروا الزحف من الأمصار على مدينة الرسول ﷺ كان عدد من خرج منهم من البصرة كعدد من خرج من مصر ، وهم مقسمون كذلك إلى أربع فرق ، والأمير على إحدى هذه الفرق حكيم بن جبلة ونزلوا فى المدينة فى مكان يسمى ذا خشب . ولما حصبوا أمير المؤمنين عثمان وهو يخطب على المنبر النبوى كان حكيم بن جبلة واحداً منهم (الطبرى ٥/١٠٦) . ولما رحل الثوار عن المدينة فى المرة الأولى بعد مناقشتهم لعثمان وسماعهم دفاعه واقتناعهم ، تخلف فى المدينة الأشتر وحكيم بن جبلة ( الطبرى ٥ : ١٢٠ ) وفى ذلك شبهة قوية بأن لهما دخلا فى افتعال الكتاب المزور على أمير المؤمنين . ولما جاءت عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة وأوشكوا أن يتفاهموا مع أمير المؤمنين على رد الأمور إلى نصابها كان حكيم بن جبلة هو الذى أنشب القتال لثلاثا يتم التفاهم والاتفاق ( الطبرى ٥ / ١٧٦ وما بعدها ) وارتكب دناءة قتل امرأة من قومه سمعته يشتم أم المؤمنين عائشة فقالت له : يا ابن الحبيثة أنت أولى بذلك فطعنها فقتلها ( الطبرى ٥ : ١٧٩ ) وحينئذ تخلى قومه عن نصرته إلا الأعمار منهم ، ما زال يقاتل حتى قطعت رجله ، ثم قتل وقتل معه كل من كان فى الواقعة من البغاة على عثمان ، ونادى نادى الزبير وطلحة بالبصرة : « ألا من كان فيكم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم » فجىء بهم كما يجاء بالكلاب فقتلوا . فما أفلت منهم إلا حرقوص بن زهير السعدى من بنى تميم ( الطبرى ٥ : ١٨٠ ) . روى عامر بن حفص عن أشياخه قال : ضرب عنق حكيم بن جبلة رجل من الحدان يقال له ضخيم فمال رأسه فتعق بجلده فصار وجهه فى قفاه ( الطبرى ٥ : ١٨٢ ) . ( خ ) .

(١٥٤) من النخع ، وهى قبيلة يمنية من قبائل مذحج . بطل شجاع من أبطال العرب ، كان أول مشاهدته الحربية فى اليرموك ، وفيها فقد إحدى عينيه . ثم شاء أن يكون سيفه مسلولا على إخوانه المسلمين فى مواقف الفتنة . ولو أنه لم يكن ممن ألب على أمير المؤمنين عثمان ، وكتب الله أن تكون وقائعه الحربية فى نشر دعوة الإسلام وتوسيع =

وقد كانوا أثاروا فتنة ، فأخرجهم عثمان بالاجتهاد ، وصاروا فى جماعتهم عند

= الفتوح ، لكان له فى التاريخ شأن آخر . والذى دفعه فى هذا الطريق غلوه فى الدين وجهه للرئاسة والجاه ولست أدرى كيف اجتمعاً فيه . والأشتر أحد الذين اتخذوا الكوفة دار إقامة لهم ، فلما كانت إمارة الوليد بن عقبة على الكوفة كان الأشتر يشعر فى نفسه بأنه أهل للولاية والرئاسة ، فانزلق مع العائنين على الدولة ورجالها من الخليفة الأعلى فى المدينة إلى عامله على الكوفة الوليد بن عقبة ، ولما سرق أبو زنب وأبو مورع خاتم الوليد من منزله وذهباً به إلى المدينة فشهدا على الوليد بشرب الخمر كما تقدم فى ص ٧٦ أسرع الأشتر وآخرون معه بالذهاب إلى المدينة لتوسيع دائرة الفتنة ، حتى إذا عزل عثمان الوليد سعيد بن العاص عاد الأشتر مع سعيد إلى الكوفة ( الطبرى ٥ / ٦٣ ) . وكان عثمان قد سن نظام الأراضى ، فمن كانت له أرض من الفىء فى مكان بعيد عنه يبادل عليه بأرض مبادلة قريبة منه بالتراضى بين المتبادلين . وبهذه الطريقة تخلى طلحة بن عبيد الله عن أسهمه فى خير واشترى بها من فىء أهل المدينة بالعراق أرضاً يقال لها الشاستج ( الطبرى ٥ / ٦٤ ) . وبينما كان سعيد بن العاص فى دار الإمارة بالكوفة والناس عنده أثنى رجل على طلحة بن عبيد الله بالجود ، فقال سعيد بن العاص : لو كان لى مثل أرض الشاستج لأعاشكم الله عيشاً رغداً . فقال له عبد الرحمن بن خنيس الأسدى : رددت لو كان هذا الملقاط لك . والمملطات أرض على جانب الفرات كانت لآل كسرى . فغضب الأشتر وأصحابه وقالوا للأسدى : تمنى له من سودانا ! فقال والده : ويتمنى لكم أضعافه . فثار الأشتر وصحبه على الأسدى وأبيه وضربوهما فى مجلس الإمارة حتى غشى عليهما . وسمعت بذلك بنو أسد فجاؤوا وأحاطوا بالقصر ليدافعوا عن رجليهما ، فتلافى سعيد بن العاص هذه الفتنة بحكمته ، ورد بنى أسد عن الأشتر وجماعته . وكتب أشرف الكوفة وصلاحها إلى عثمان فى إخراج هؤلاء المشاغبيين من بلدهم ، فأرسلهم إلى معاوية فى الشام ( الطبرى ٥ / ٨٥ - ٨٦ ) ثم أخرجهم معاوية فنزلوا جزيرة ابن عمر تحت حكم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد إلى أن تظاهروا بالتوبة ، فذهب الأشتر إلى المدينة ليرفع إلى عثمان توبتهم ، فرضى =



= عنه عثمان وأباح له الذهاب حيث شاء فاختار العودة إلى زملائه الذين عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد في الجزيرة ( الطبرى ٥ / ٨٧ ، ٨٨ ) . وفي الوقت الذى كان فيه الأشتر يعرض على عثمان توبته وتوبة زملائه وذلك فى سنة ٣٤ كان السبأيون فى مصر يكتبون أشياعهم فى الكوفة والبصرة بأن يثوروا على أمرائهم واتعدوا يوما ، فلم يستقم ذلك إلا لجماعة الكوفة ، فثار بهم يزيد بن قيس الأرحبى ( الطبرى ٥ : ١٠١ ) . ولما وصل الأشتر من المدينة إلى إخوانه الذين عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وجد بين أيديهم كتاباً من يزيد بن قيس الأرحبى يقول لهم فيه : لا تضعوا كتابى من أيديكم حتى تحيئوا . فثشاءموا من هذه الدعوة وآثروا البقاء ، وخالفهم الأشتر فرجع عاصياً بعد توبته ، والتحق بثوار الكوفة وقد نزلوا فى الجرعة مكان مشرف على القادسية ، وهناك تلقوا سعيد بن العاص أمير الكوفة وهو عائد من المدينة فردوه ، ولقى الأشتر مولى سعيد بن العاص فضرب الأشتر عنقه . وبلغ عثمان إنهم يريدون إقالة سعيد بأبى موسى الأشعرى فأجابهم إلى ما طلبوا ( الطبرى ٥ / ٩٣ ، ٩٤ ) . ولما فشل موعده سنة ٣٤ واقتصرت الفتنة على ما كان فى الجرعة ، اتعد السبأيون للسنة التى بعدها ( سنة ٣٥ ) ورتبوا أمرهم على التوجه إلى المدينة مع الحجاج كالحجاج ، وكان الأشتر مع خوارج الكوفة رئيساً على فرقة من فرقهم الأربع ( الطبرى ٥ / ١٠٤ ) وبعد وصولهم إلى المدينة ناقشهم أمير المؤمنين عثمان وبين لهم حجته فى كل ما كانوا يظنونونه فيه ، فاقنع جمهورهم بذلك وحملوا رؤساء الفتنة على الرضا بأجوبة عثمان وارتحلوا من المدينة للمرة الأولى . إلا أن الأشتر وحكيم بن جبلة تخلفا فى المدينة ولم يرتحلا معهم ( الطبرى ٥ / ١٢٠ ) . ولما وصل المصريون إلى مكان يسمى البويب اعترضهم راكب مثل لهم دور حامل الكتاب المزعوم ، وسيأتى الحديث عن ذلك فيما بعد . ونقل الطبرى ( ٥ / ١٩٤ ) أن الأشتر كان فى مؤتمر السبأين الذى عقده قبيل ارتحال على من الكوفة إلى البصرة للتفاهم مع طلحة والزبير وعائشة . فقرر السبأيون فى مؤتمرهم هذا أن ينشبوا الحرب بين الفريقين قبل أن يصطلحا عليهم . وفى وقعة الجمل اصطرع عبد الله بن الزبير والأشتر واختلفا ضربتين وقال عبد الله بن الزبير كلمته المشهورة : «اقتلونى ومالكا» فأفلت منه مالك =

معاوية (١٥٥) ، فذكرهم بالله وبالتقوى لفساد الحال وهتك حرمة الأمة (١٥٦) ، حتى

= الأشر ، روى الطبرى (٢١٧/٥) عن الشعبى أن الناس كانوا لا يعرفون الأشر باسم مالك ، ولو قال ابن الزبير « اقتلونى والأشر » وكانت للأشر ألف ألف نفس ما نجا منها شيء ، وما زال يضطرب فى يدى ابن الزبير حتى أفلت . وروى الطبرى (١٩٤/٥) أن علياً لما فرغ من البيعة بعد وقعة الجمل واستعمل عبد الله بن عباس على البصرة بلغ الأشر الخبر باستعمال على ابن عباس فغضب وقال : « على ما قتلنا الشيخ إذن ! اليمن لعبيد الله ، والحجاز لقثم ، والبصرة لعبد الله ، والكوفة لعلى ! » ثم دعا بدابته فركب راجعاً . وبلغ ذلك علياً فنادى : الرحيل ! ثم أجد السير فلحق به فلم يره أنه بلغه عنه وقال : « ما هذا السير ؟ سبقتنا ! » . وخشى أن ترك والخروج أن يوقع فى نفس الناس شراً ، ثم اشترك الأشر فى حرب صفين . وولاه على إمارة مصر بعد صرف قيس بن سعد بن عبادة عنها . فلما وصل القلزم (السويس) شرب شربة عسل فمات ، فقيل إنها كانت مسمومة ، وكان ذلك سنة ٣٨ (الإصابة ٣ / ٤٨٢) . ( خ ) .

(١٥٥) أثاروا الفتنة يوم ضربوا عبد الرحمن بن خنيس الأسدى وأباه وهم فى دار الإمارة بالكوفة ، فكتب أشرف الكوفة وصلاحها إلى عثمان بإخراجهم إلى بلد آخر ، فسيرهم إلى معاوية فى الشام . والذين سيروا إلى معاوية هم : الأشر النخعى ، وابن الكواء الشكرى ، وصعصعة بن صوحان العبدى ، وأخوه زيد ، وكميل بن زياد النخعى ، وجندب بن زهير الغامدى ، وجندب بن كعب الأزدى ، وثابت بن قيس بن منقع ، وعروة بن الجعد البارقى ، وعمرو بن الحمق الخزاعى ( خ ) .

(١٥٦) نص كلام معاوية كما رواه الطبرى (٨٦/٥) : « إنكم قوم من العرب ، لكم أسنان وألسنة ، وقد أدركتم بالإسلام شرفاً ، وغلبتم الأمم ، وحويتم مراتبهم وموارثهم . وقد بلغنى أنكم نقمتم قريشاً ، وإن قريشاً لو لم تكن عدتكم أذلة كما كنتم . أن أئتمتكم إلى اليوم جنة ، فلا تسدوا عن جنتكم . وأن أئتمتكم اليوم يصبرون لكم على الجور ، ويحتملون منكم المؤونة . والله لتنتهن أوليتنكم الله بمن يسومكم ثم لا يحمدكم على الصبر ، ثم تكونون شركاءهم فيما جررتهم على الرعية فى حياتكم وبعد موتكم » . ( خ ) .

قال له زيد بن صوحان [ يوماً ] - فيما يروى <sup>(١٥٧)</sup> : « كم تكثر علينا [ من الأمرة ] وبقریش ، فما زالت العرب تأكل من قوائم سيوفها وقریش تجاهد <sup>(١٥٨)</sup> . فقال له معاوية : « لا أم لك . أذكرك بالإسلام وتذكرني بالجاهلية ! قبح الله من كثر على أمير المؤمنين بكم ، فما أنتم ممن ينفع أو يضر . اخرجوا عني <sup>(١٥٩)</sup> » .  
وأخبره ابن الكوا بأهل الفتنة <sup>(١٦٠)</sup> في كل بلد . . . . .

---

(١٥٧) بل القائل أخوه صعصعة . ( خ ) .

(١٥٨) وقال أيضا لمعاوية : « وأما ما ذكرت من الجنة ، فإن الجنة إذا اخترقت خلص إلينا »  
أى إذا قتلنا ولاتنا وصارت الولاية إلينا . ولو أن هذه الكلمة قالها ثائر وهو من قبضة حاكمه - منذ بدأت الحكومة إلى أن تقوم الساعة - ما وجد من حاكمه حلمًا وسعة صدر كالذى وجده صعصعة من معاوية مع قدرته عليه . ( خ ) .

(١٥٩) وجواب معاوية علي كلام صعصعة في وصف قریش ومكانتها طويل ونفيس ، وقد أورده الطبرى ( ٥ / ٨٦ ) . ( خ ) .

(١٦٠) قد يقول قائل : ألا يدل ما وقع من الحوادث فى مأساة استشهاد الخليفة عثمان على غفلته فى عدم علمه فيما يجرى فى الخفاء من تأمر المتآمرين .  
فى الحقيقة أن هذا الخليفة لم يكن على الرغم من اشتغاله بالفتوحات الواسعة التى تمت فى عهده ، غافلا عن المؤامرات التى كانت تحاك ضده من أجل الكيد للإسلام ، بل كان على مستوى الأحداث بعيدا عن تهمة الضعف التى تتردد على السنة خصومه .

قال الأستاذ المؤرخ محمد عزة دروزة :

وقد نشط ابن سوداء ( أى عبد الله بن سبأ ) وجماعته فى بث الدعاية ضد عثمان وأمرائه حتى أوسعوا الأرض إذاعة كما جاء فى رواية الطبرى . وكانوا يكتبون كتبًا فى العيب فيهم ويرسلونها للناس فى الأمصار . وبلغ ذلك أهل المدينة فجاءوا إلى عثمان يسألونه هل أتاه من الأمصار مثل ما أتاهم . فقال لهم والله ما جاءنى إلا السلامة ، فأخبره . فقال لهم : أنتم شركائي وشهود المؤمنين ! فأشيروا على ، فأشاروا عليه إرسال أشخاص ممن يثق فيهم للأمصار ، ليقولوا لأهلها أنهم لم ينكروا =

= شيئاً من عثمان ، لا أعلامهم ولا عوامهم . . . وإن الأمراء يقسطون بين الناس (الطبرى ج ٣ ص ٣٧٩) .

ثم كتب إلى أهل الأمصار كتاباً عاماً يذكر فيه ما بلغه من الإذاعات والظعن على الأمراء ويقول : إنه تولى أمر المؤمنين ليقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإنه ولي عماله على ذلك ، وأنه مستعد لسماع كل شكوى منه ومن عماله وإنصاف صاحبها ، وإعطاء كل ذى حق حقه ، ويدعو من له شكوى إلى موافاته فى الموسم (٣٨٠ ، ٣٨١) الطبرى نقلا عن تاريخ الجنس العربى ٢٣١/٧ . ثم استدعى ولاية الأمصار واستطلعهم الأمر ، وقال إنى أخشى أن يكون مصدقاً عليكم فأكدوا له أنهم سالكون طريق الحق والمصلحة ، وأن ما بلغه دسائس ووساوس تبث سراً ، واقترح بعضهم تعقب المذيعين وقتلهم ، فأمرهم بالانتباه والرفق والتسامح فيما لا يكون فيه ضياع حقوق الأمة ، ومن الولاة معاوية بن أبى سفيان ( عن الجنس العربى ٧ / ٢٣٢ وقد نقله عن الطبرى ) وذكر المؤرخون أن عثمان جمع بعض خاصته ، فشاورهم فى أمر الناس ! سمع منهم ثم قال لهم :

لقد سمعت كل ما أشرت به ، ولكل أمر باب يؤتى منه . أن هذا الأمر الذى يخاف على هذه الأمة كائن . وإن بابى الذى يغلق عليه ليفتح ، فنكفكفه باللين والمواتاة إلا فى حدود الله ! فإن فتح فلا يكون لأحد على حجة ، وقد علم الله أنى لم آل الناس خيراً . وإن رحى الفتنة دائرة ، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها . سكتوا الناس وهبوا لهم حقوقهم ، فإذا تعوطيت حقوق الله فلا توهنوا !! (الخليفة المفتى عليه ص ٦٤ للأستاذ محمد صادق عرجون) .

ومن أروع الأدلة على قوة عثمان ورباطه جأشه موقفه حين اشتد عليه هجوم الثوار وأصحاب الفتنة ، يقتحمون عليه داره ليقتلوه ، وكبار الصحابة الصناديد مع أبنائهم يرجونه للدفاع عنه ، كما فصلنا القول فى غير هذا المكان ، « فيعزم على كل من رأى أن له عليه سمعاً وطاعة أن يكف يده ويلقى سلاحه » حرصاً على دماء المسلمين ، ولو بتعريض حياته للهلاك والقتل .

ومؤامرتهم (١٦١) ، فكتب إلى عثمان يخبره بذلك ، فأرسل إليه بأشخاصهم إليه فأخرجهم معاوية (١٦٢) .

= ليت شعري أى شجاعة نفسية ، وأى صبر يطلبه الناس وراء هذا ؟ ! إذا كانت الشجاعة هى ضبط النفس عند التوازل فى غير قلق ، والصبر على المكاره من غير جزع ، ومصابرة الحوادث من غير سأم ، والثبات لجسام الأحداث بلا ترزعزع ، فلم تنجب الأميّهات مثل عثمان فى شجاعته ورباطة جاشه ، وقوة يقينه ، وثباته على رأيه فإن أحدًا من الناس فى مثل حال عثمان وشأنه ، لم يلق ما لقى عثمان ، ولا شيئًا منه ، ولم يصبر أحد على ما لقى من البلاء والمحنة مثل ما صبر عثمان . وكيف بصبر ينتهى بصاحبه - على علم منه وبصيرة - إلى الموت قتلا ، وكان له لو كان جزوعًا وأراد ألا يصبر عن يقين ورضا ، مخارج يتفد منها ، ويعيش فى خفض من العيش ! ولكن عثمان رضي الله عنه لم يكن ضعيفًا ولا مستضعفًا - كما يزعم القاصرون والمقصرون - بل كان قوى الإيمان ، عظيم اليقين ، كبير النفس ، وعبرى الشجاعة ، نبيل الصبر ، نفاذ البصيرة ، ففدى الأمة ، ووضع لها بذلك أعظم قواعد النظام فى تكوينها الاجتماعى ( الخليفة المفترى عليه للأستاذ عرجون ص ٦٥ ) ( م ) .

(١٦١) قال ابن الكواء فيما نقله الحافظ ابن عساكر فى ترجمته من تاريخ دمشق (٢٩٩/٧) وأبو جعفر الطبرى فى تاريخه ( ٥ / ٩٢ ) يصف لمعاوية أهل الأحداث من أهل الأمصار أما أهل الأحداث من أهل المدينة فهم أحرص الأمة على الشر ، وأعجزهم عنه . وأما أهل الأحداث من أهل الكوفة فإنهم أنظر الناس فى صغير ، وأركبه لكبير . وأما أهل الأحداث من أهل البصرة فإنهم يردون جميعا ويصدرون شتى . وأما أهل الأحداث من أهل مصر فهم أوفى الناس بشر ، وأسرع ندامة . وأما أهل الأحداث من أهل الشام فأطوع الناس لمرشدهم وأعصاه لمغويهم » ( خ ) .

(١٦٢) وكتب فيهم إلى عثمان « إنه قدم على أقوام ليست لهم عقول ولا أديان . أثقلهم الإسلام ، وأضجرهم العدل . لا يريدون الله بشيء ، ولا يتكلمون بحجة . إنما همهم الفتنة ، وأموال أهل الذمة . والله مبتليهم ومختبرهم ، ثم فاضحهم ومخزيهم . وليسوا بالذين يكون أحدًا إلا مع غيرهم . فاته سعيدًا ومن قبله عنهم ، فإنهم ليسوا لأكثر من شغب أو نكير » ( الطبرى ٨٧/٥ ) ( خ ) .

فمروا بعدد الرحمن بن خالد بن الوليد (١٦٣) ، فحبسهم ، ووبخهم ؛ وقال لهم : « اذكروا [ لى ] ما كنتم تذكرون لمعاوية (١٦٤) » . وحصرهم ، وأمشاهم بين يديه أذلاء حتى تابوا بعد حول (١٦٥) .

وكتب إلى عثمان بخبرهم ، فكتب إليه أن سرحهم إلى . فلما مثلوا بين يديه جددوا التوبة ، وحلفوا على صدقهم ، وتبرؤوا مما نسب إليهم (١٦٦) [فخبرهم] حيث

(١٦٣) وكان يلى حمصاً لمعاوية ، ويتبعه منطقة الجزيرة حران والرقعة ( خ ) .

(١٦٤) وذلك بعد قوله لهم : « يا آله الشيطان ، لا مرحباً بكم ولا أهلاً . وقد رجع الشيطان محسوراً وأنتم بعد نشاط . خسر الله عبد الرحمن أن لم يؤدبكم حتى يحسركم . يا معشر من لا أدرى أعرب أم عجم ، لكى لا تقولوا لى ما يبلغنى إنكم تقولون لمعاوية . أنا ابن خالد بن الوليد ، أنا ابن من عجمته العاجمات ، أنا ابن فاقى الرذة . والله لنن بلغنى يا صعصعة بن ذل أن أحداً ممن معى دق أنفك ثم أمصك لأطيرن بك طيرة بعيدة المهوى » ( الطبرى ٨٧/٥ ) ( خ ) .

(١٦٥) كان كلما ركب أمشاهم ، فإذا مر به ( صعصعة ) قال أيا ابن الخطيئة ، أعلمت أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر ؟ ما لك لا تقول كما كان يبلغنى إنك تقول لسعيد ومعاوية فيقول : ويقولون : نتوب إلى الله ، أقلنا أقالك الله ( الطبرى ٨٧ / ٥ - ٨٨ ) . ( خ ) .

(١٦٦) الذي قدم إلى أمير المؤمنين عثمان فى المدينة هو الأشتر النخعى وحده ، وهو الذى ناب عن ابني صوحان وابن الكواء والآخرين فى تجديد التوبة التى أعلنوها من قبل لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد . غير أن الفتنة لم تكن مقتصرة على هؤلاء ، بل كانت جرثومتها فى يد ابن سبأ الذى اختار الإقامة فى الفسطاط ، وكان لها جناح فى البصرة ، وللأشتر وإخوانه بقية فى الكوفة . بينما كان الأشتر يجدد توبته وتوبة إخوانه فى المدينة كان أعوان ابن سبأ يكاتبون البصرة والكوفة فى موعد يثبون فيه على ولائهم ، فما رجع الأشتر بتوبته إلى إخوانه الذين كانوا عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد حتى وجد عندهم كتاباً من إخوانهم فى الكوفة يدعونهم للاشتراك فيما اتعدوا له ، فلم يتهج بهذه الدعوة إلى الفتنة والشر إلا الأشتر الذى لم يكن قد نسى =

يسرون ، فاختار كل واحد ما أراد من البلاد : كوفة وبصرة ، ومصر . فأخرجهم ،  
فما استقروا فى [ جنب ] ما ساروا حتى ثاروا وألبوا، حتى انضاف إليهم جمع (١٦٧) .  
وساروا إليه (١٦٨) : على أهل مصر عبد الرحمن بن عديس البلوى (١٦٩) ،

= توبته بعد ، فأسرع إلى الكوفة وانضم إلى الفتنة التى تسمى فى التاريخ ( يوم  
الجرعة ) وكان ذلك فى سنة ٣٤ . ( خ ) .

(١٦٧) لما خفق السبأون فى الوثوب على ولاتهم سنة ٣٤ فى الموعد الذى وقعت فيه فتنة يوم  
الجرعة ، اتعدوا لفتنة أخرى بمقياس أوسع يقومون بها فى العام التالى ( سنة ٣٥ ) عند  
استعداد الحجاج لقصد الحرمين الشريفين من مصر والبصرة والكوفة ، فيذهب الحجاج  
للقيام بطاعة الله ، ويذهب دعاة الفتنة للمجاهرة بمعصية الله . وقد نظموا أنفسهم  
فى اثنتى عشرة فرقة : أربع قرى من مصر ، وأربع من البصرة ، وأربع من الكوفة .  
وفى كل فرقة نحو مائة وخمسين مفتوناً ، أى من كل بلد نحو ستمائة رجل . ( خ ) .  
(١٦٨) أى إلى أمير المؤمنين عثمان فى مدينة الرسول ﷺ . ( خ ) .

(١٦٩) فارس شاعر ، نزل مصر مع جيش الفتح ، ولم يعرف له فى سيرته شىء انفرد  
بالامتياز به غير اشتراكه فى هذه الفتنة ، مع دعواه أنه كان من الذين تابعوا تحت  
الشجرة . وأظنه لم يكن من الرؤوس المدبرين للفتنة ، ولكن مدبريها استغلوا ميله  
إلى الرئاسة ، فاستفادوا من سنه ووجاهته بين فرسان القبائل العربية بمصر ، وولوه  
القيادة على إحدى الفرق الأربع التى خرجت من مصر إلى المدينة ( وقادة الفرق  
الثلاث الأخرى : كنانة بن بشر التجيبى ، وسودان بن حمران السكونى ، وقتيرة  
السكونى . ورئيسهم الأعلى الغافقى بن حرب العكى ) . وكان عبد الرحمن بن  
عديس فى مدة الحصار شديد الوطأة على أمير المؤمنين عثمان وأهل بيته . ثم كانت  
عاقبته القتل فى جبل الجليل بالقرب من حمص ، لقيه أحد الأعراب فلما اعترف له  
بأنه من قتلة عثمان بادر بقتله ( معجم البلدان لياقوت : الجليل ) . وأخطأ من نسب  
ابن عديس إلى تجيب ، فإنه بلوى من قضاة . أما تجيب بنت ثويان المذحجية فلا  
ينسب إليها إلا بنو ولديها سعد وعدى ابنى أشرس بن شبيب بن السكون من كندة ،  
وأيّن كندة من قضاة ! ( خ ) .

وعلى أهل البصرة حكيم بن جبلة (١٧٠) ، وعلى أهل الكوفة الأشتر مالك بن الحارث النخعي (١٧١) . فدخلوا المدينة هلال ذى القعدة سنة خمس وثلاثين (١٧٢) .

فاستقبلهم عثمان . قالوا : ادع بالمصحف . فدعا به فقالوا : افتح [السابعة] (١٧٣) - يعنى يونس - فقالوا : اقرأ . فقرأ حتى انتهى إلى قوله : ﴿ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ (٣٩) قالوا له قف . قالوا له : رأيت ما حميت من الحمى ، أذن الله لك أم على الله افترت ؟ قال : امضه ، إنما نزلت في كذا . وقد حمى عمر ، وزادت الإبل فزدت .

فجعلوا يتبعونه هكذا ، وهو ظاهر عليهم . حتى قال لهم : ماذا تريدون ؟ فأخذوا ميثاقه ، وكتبوا عليه ستاً أو خمساً (١٧٥) : أن المنفى [ يقلب ] والمحروم يعطى ، ويوفر الفىء ، ويعدل فى القسم ، ويستعمل [ ذو ] الأمانة والقوة . فكتبوا ذلك فى كتاب . وأخذ عليهم أن لا يشقوا عصا ، ولا يفرقوا جماعة . ثم رجعوا راضين (١٧٧) . وقيل أرسل إليهم علياً فاتفقوا على الخمس المذكورة ورجعوا راضين .

(١٧٠) تقدم التعريف به . وهو أمير إحدى الفرق الأربع البصرية ( والثلاثة الآخرون : ذريح ابن عباد العبدى ، وبشر بن شريح « الحطم » ، وابن المحرش الحنفى . ورئيسهم الأعلى حرقوص بن زهير السعدى ) . ( خ ) .

(١٧١) تقدم التعريف به . وهو أمير إحدى الفرق الأربع الكوفية ( والثلاثة الآخرون . زيد بن صوحان العبدى ، وزيد بن النضر الحارثى ، وعبد الله بن الأصم . ورئيسهم الأعلى عمرو بن الأصم ) . ( خ ) .

(١٧٢) نزلوا خارج المدينة على ثلاث مراحل منها ، ثم تقدم ثوار البصرة فنزلوا فى ذى خشب ، ونزل ثوار الكوفة الأعوص ، ونزل عامتهم بذى المروة . ( خ ) .

(١٧٣) فى بعض النسخ : التاسعة . قارن [ الطبرى ج ٢ ص ١١٧ ] ويونس يأتى ترتيبها (السابعة) فى مصحف ابن مسعود رضي الله عنه ونسخة « د » تتفق مع ما ورد فى الطبرى

وكان الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله قد أثبتها التاسعة فى أصل الكتاب (ع) .

(١٧٥) أى اشتراطوا عليه ستة شروط أو خمسة فى المعانى الآتية . ( خ ) .

(١٧٧) كان الزاحفون من أنصارهم على مدينة الرسول ﷺ فريقين : رؤساء خادعين على =



فبينما هم كذلك (١٧٨)، إذا راكب يتعرض لهم (١٧٩)، ثم يفارقهم مرارا (١٨٠).  
قالوا : مالك ؟ قال : أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر (١٨١) ففتشوه ، فإذا

= درجات متفاوتة ، ومرووسين مخدوعين ، وهم الكثرة التي بثت فيها دعايات مغرضة حتى ظنت أن هنالك منفيين مظلومين ومحرومين سلبوا حقهم .. إلخ . وقد رأيت شهادة أصدق شاهدين في العراق حينئذ وهما الحسن البصري ووصنوه ابن سيرين عن وفرة الأعطيات والأرزاق وأنواع الخيرات حتى كان منادى عثمان ينادى بدعوة الناس لها فلا يمنع عنها أحد . ورأيت فيما سبق شهادة الإمام الشعبي عن تعميم الرزق والخير حتى إلى الإماء والعبيد . ولما أصغى عامة الثائرين إلى أجوبة عثمان وعرفوا الحقيقة اقتنعوا ورجعوا . وكان رجوعهم من طريقين مختلفين باختلاف اتجاه أمصارهم، فالمصريون اتجهوا شمالا لغرب لسايروا ساحل البحر الأحمر إلى السويس ومصر ، والعراقيون من بصريين وكوفيين اتجهوا شمالا لشرق منجدين ليلغوا البصرة والكوفة من أرض العراق . ( خ ) .

(١٧٨) أى فبينما العراقيون من بصريين وكوفيين في طريقهم نحو الشرق إلى الشمال ، والمصريون في طريقهم نحو الغرب إلى الشمال ، وبين الفريقين مراحل بعيدة لأنهما قدما في السير والمسافة تزداد بعدا بينهما . ( خ ) .

(١٧٩) أى للمصريين وحدهم . ( خ ) .

(١٨٠) ولا يتعرض لهم ثم يفارقهم ويكرر ذلك إلا ليلفت أنظارهم إليه ، ويثير شكوكهم فيها . وهذا ما أراده مستأجرو هذا الرجل لتمثيل هذا الدور ، ومدبرو هذه المكيدة لتجديد الفتنة بعد أن صرفها الله ، وأراح شرورها . ولا يعقل أن يكون تدبير هذا الدور التمثيلي صادرا عن عثمان أو مروان أو أى إنسان يتصل بهما ، لأنه لا مصلحة لهما في تجديد الفتنة بعد أن صرفها الله ، وإنما المصلحة في ذلك للدعاة الأولين إلى أحداث هذا الشغب ، ومنهم الأشتر وحكيم بن جبلة اللذان لم يسافرا مع جماعتهما إلى بلديهما ، بل تخلفا في المدينة ( الطبرى ٥ / ١٢٠ ) ولم يكن لهما أى عمل يتخلفان في المدينة لأجله إلا مثل هذه الخطط والتدابير التي لا يفكران يومئذ في غيرها . ( خ ) .

(١٨١) وقد صرحوا بأنه عبد الله بن سعد بن أبى سرح ( الطبرى ٥ / ١٢٠ ) ولا يعقل أن =

هم بالكتاب على لسان عثمان ، عليه خاتمه إلى عامل مصر أن يصلبهم ويقطع أيديهم وأرجلهم (١٨٢) . فأقبلوا حتى قدموا المدينة (١٨٣) ، فأتوا عليًا فقالوا له : ألم تر إلى

= يكتب إليه عثمان أو مروان ، لأنه كان عقب خروج الثوار من مصر متوجهين إلى المدينة كتب إلى عثمان يستأذنه بالقدوم عليه ( الطبرى ٥ / ١٢٢ ) وخرج بالفعل من مصر نحو النعيرش . وفلسطين وأيلة ( العقبة ) وتغلب محمد بن أبى حذيفة على الحكم فى مصر ، وهو غدو لله ورسوله ، وخارج على خليفة المسلمين . فكيف يكتب عثمان أو مروان إلى عبد الله بن سعد وعندهما كتابه الذى يستأذن به فى القدوم إلى المدينة ؟ ( خ ) .

(١٨٢)الأخبار التى جاء فيها أن الراكب غلام عثمان ، وأن الجمل جمل الصدقة : وأن عثمان اعترف بذلك ، كلها أخبار مرسلة لا يعرف قائلها أو مكذوبة أذاعها رواة مطعون فى صدقهم وأمانتهم . ومضمون الكتاب اضطربت الروايات فيه ، ففى بعض الروايات «إذا قدم عليك عبد الرحمن بن عديس فاجلده مائة واحلق رأسه ولحيته وأطل حبسه حتى يأتيك أمرى . وعمرو بن الحمق فافعل به مثل ذلك . وسودان بن حمران مثل ذلك . وعروة بن التباع الليثى مثل ذلك » وفى رواية « إذا أتاك محمد بن أبى بكر الصديق - وفلان وفلان - فاقتلهم وأبطل كتابهم وقر على عملك حتى يأتيك رأى » وفى رواية ثالثة أن مضمون الكتاب أمر عامله بالقتل والقطع والصلب على هؤلاء الثوار ، وهذا الاختلاف فى مضمون كتاب واحد مما يزيد الريبة فى أمره . ( خ ) .

(١٨٣)وأعجب العجب أن قوافل الثوار العراقيين التى كانت متباعدة فى الشرق والغرب عادت معًا إلى المدينة فى آن واحد ، أى أن قوافل العراقيين التى كانت بعيدة عن قوافل المصريين مراحل بعيدة علمت بالرواية المسرحية فى الساعة التى مثلت فيها فى البويب فرجعت إلى المدينة وقت رجوع المصريين ووصلتا إلى المدينة معًا كأنما كانوا على ميعاد . ومعنى هذا أن الذين استأجروا الراكب ليمثل دور حامل الكتاب أمام قوافل المصريين استأجروا راکبًا آخر خرج من المدينة معه قاصدًا قوافل العراقيين ليخبرهم بأن المصريين اكتشفوا كتابًا بعث به عثمان إلى عبد الله بن سعد فى مصر بقتل محمد بن أبى بكر قال الطبرى ( ٥ / ١٠٥ ) . فقال لهم على : «كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقى أهل مصر وقد سرتهم مراحل ثم طويتم نحونا ؟ هذا والله أمر أبرم =

عدو الله كتب فينا بكذا ؟ وقد أحل الله دمه . قالوا له : فقم معنا إليه . قال : والله لا أقوم معكم . قالوا له : فلم كتبت (١٨٤) إلينا ؟ قال : والله ما كتبت إليكم . فنظر بعضهم إلى بعض (١٨٥) . وخرج على من المدينة .

= بالمدينة « ( يشير كرم الله وجهه إلى تخلف الأشر وحكيم في المدينة ، وأنهما هما اللذان دبرا هذه المسرحية ) . قال الثوار العراقيون : « فضعوه على ماشئتم . لا حاجة لنا إلى هذا الرجل . ليعزلنا » وهذا تسليم منهم بأن قصة الكتاب مفتعلة ، وأن الغرض الأول والأخير هو خلع أمير المؤمنين عثمان وسفك دمه الذي عصمه الله بشريعة رسوله ﷺ ( خ ) .

(١٨٤) د : كتب ورواية خليفة بن خياط : كتبت ( تاريخ خليفة بن خياط ١ / ١٤٦ ) . والمؤلف هنا اعتمد على خليفة بن خياط في رواية أخبار الفتنة ووثقه فيها ونوه بإسناده [ د . عمار طالبي ] .

(١٨٥) الطبري ( ١٠٨ / ٥ ) . وهذا الحوار بين علي والثوار مجمع عليه في كل الروايات . وهو نص قاطع على أن اليد التي زورت الكتاب على عثمان ، وبعثت إلى العراقيين تخبرهم بذلك وتطلب منهم أن يعودوا إلى المدينة ، وهي اليد التي زورت على كتاباً إلى الثوار العراقيين بأن يعودوا . وقد قلنا من قبل : إن الثوار فريقان - خادع ومخدوع - فالذين نظر بعضهم إلى بعض عندما حلف على بأنه لم يكتب إليهم هم من الفريق المخدوع يتعجب كيف لم يكتب على إليهم وقد جاءهم كتابه ، ومن ذا الذي يكون قد كتب الكتاب على لسانه إن لم يكن هو الذي كتبه ؟ وسيأتى قريباً أن مسروق بن الأجدع الهمداني ( وهو من الأئمة الأعلام المقتدى بهم ) عاتب أم المؤمنين عائشة بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان ، فأقبست له بالله الذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون أنها ما كتبت إليهم سواداً في بياض . قال سليمان ابن مهران الأعمش - أحد الأئمة الأعلام الحفاظ : « فكانوا يرون أنه كتب على لسانها » أيها المسلمون في هذا العصر وفي كل عصر ، أن الأيدي المجرمة التي زورت الرسائل الكاذبة على لسان عائشة أو عليّ وطلحة والزبير هي التي ربت هذا الفساد كله ، وهي التي طبخت الفتنة من أولها إلى آخرها ، وهي التي زورت الرسالة المزعومة على لسان أمير المؤمنين عثمان إلى عامله في مصر في الوقت الذي كان =

فانطلقوا إلى عثمان فقالوا له : كتبت فينا كذا . قال لهم إما أن تقيموا اثنين من المسلمين ، أو [ بيته ] (\*) - كما تقدم ذكره - فلم يقبلوا ذلك منه (١٨٦) ونقضوا عهد (١٨٧) وحصلوه .

وقد روى أن عثمان جىء إليه بالأشتر ، فقال له : يريد القوم منك إما أن تخلع نفسك ، أو تقص منها ، أو يقتلوك . فقال : أما خلعي ، فلا أترك أمة محمد بعضها على بعض . وأما القصاص ، فصاحبى قبلى لم يقصا من أنفسهما ، ولا يحتمل ذلك بدنى (١٨٨) .

وروى أن رجلا قال له : نذرت دمك . قال : [ له : خذ جنبي فشرط فيه بالسيف شرطة أراق منه دمه ] (١٨٩) ، ثم خرج الرجل وركب راحلته وانصرف في

= يعلم فيه أنه لم يكن له عامل في مصر ، وقد زورت هذه الرسالة على لسان عثمان بالقلم الذى زورت به رسالة أخرى على لسان على ، كل ذلك ليرتد الثوار إلى المدينة بعد أن اقتنعوا بسلامة موقف خليفتهم ، وأن ما كان أشيع عنه كذب كله ، وأنه كان يتصرف فى كل أمر بما كان يراه حقاً وخيراً . ولم يكن صهر رسول الله ﷺ المبشر منه بالشهادة واللجنة هو المجنى عليه وحده بهذه المؤامرة السبائية الفاجرة ، بل الإسلام نفسه كان مجنئاً عليه قبل ذلك . والأجيال الإسلامية التى تلقت تاريخها الطاهر الناصع مشوهاً ومحرّفاً هى كذلك ممن جنى عليهم ذلك اليهودى الخبيث ، والمنقادون له بخطام الأهواء والشهوات .

(١٨٦) لأنهم ما جاؤوا ليقبلوا حقاً أو يرجعوا إلى شرع ، وإنما جاؤوا ليخلعوه أو يسفكوا دمه [ خ ] .

(١٨٧) الذى تقدم أنهم قطعوه على أنفسهم بأن لا يشقوا عصا ولا يفرقوا جماعة . [ خ ] . (\*) وفى طبعة الشيخ الخطيب [ يميني ] ( س ) .

(١٨٨) هذا الخبر فى تاريخ الطبرى ( ٥ / ١١٧ ، ١١٨ ) ، وفى البداية والنهاية ( ٧ / ١٨٤ ) ، وفى أنساب الأشراف للبلاذرى ( ٥ / ٩٢ ) .

(١٨٩) وفى مطبوعة الشيخ الخطيب [ خذ جبتى ، فشرط فيها شرطة بالسيف أراق منه دمه ] . [ س ] .

الحين (١٩٠) .

ولقد دخل عليه ابن عمر ، فقال ( له عثمان ) : انظر ما يقول هؤلاء ، يقولون :  
 اخلع نفسك أو نقتلك . قال له ( ابن عمر ) : أمخلد أنت في الدنيا ؟  
 قال : لا . قال : هل يزيدون على أن يقتلوك ؟ قال : لا قال : هل يملكون لك  
 جنة أو ناراً ؟ قال : لا . قال : فلا تخلع قميص الله عنك . فتكون سنة ، كلما  
 كره قوم خليفتهم خلعه أو قتلوه (١٩١) .

(١٩٠) هذا الخبر في كتاب التمهيد للإمام أبي بكر الباقلاني ص ٢١٦ . وأعجب من ذلك ما  
 رواه الطبري ( ٥ / ١٣٧ ، ١٣٨ ) أن عمير بن ضائب البرجمي وكميل بن زياد النخعي  
 حضرا إلى المدينة ليغتالا عثمان تنفيذاً لقرار اتخذه بالكوفة مع بقية عصابتهم ، فلما  
 وصلا إلى المدينة نكل عمير ، وترصد كميل للخليفة حتى مرَّ به ، فلما التقيا ارتاب  
 منه عثمان ، ووجأ وجهه فوقع على استه ، فقال لعثمان : أوجعتني يا أمير المؤمنين .  
 قال عثمان : أولست بفاتك ؟ ! قال : لا والله الذي لا إله إلا هو . فاجتمع الناس  
 وقالوا : نفتشه يا أمير المؤمنين . فقال : لا . قد رزق الله العافية ، ولا أشتي أن  
 أطلع منه على غير ما قال . ثم قال لكميل : « إن كان كما قلت فاقتد مني ( وجثا )  
 فوالله ما حسبتك إلا تريدني » . وقال : « إن كنت صادقاً فأجزل الله ، وإن كنت  
 كاذباً فأذل الله » وقعد له على قدميه وقال « دونك ! » فقال كميل : « تركت » .  
 أيها القارئ الكريم ، إن هذا الموقف ليس موقف خليفة فضلا عن دونه ، بل هو  
 موقف المتخلفين بأخلاق الأنبياء . على أن الله يمهّل ولا يهمل . فقد جاء الحجاج  
 بعد أربعين سنة فقتل ضائباً وقتل كميلاً بما أَرَادَهُ في هذا الحادث من الفتك برجل خلق  
 قلبه من رحمة الله ، و « أن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » (\*) .

(١٩١) أورد البلاذري هذا الخبر في أنساب الأشراف ( ٥ / ٧٦ ) من حديث نافع عن ابن عمر .  
 وقبل أن يفتي ابن عمر لخليفته بذلك ويدعوه إلى هذه التضحية النبيلة ، كان عثمان  
 على بينة من ذلك ونور من الله ، فقد أخرج ابن ماجة في مقدمة سننه ( الباب ١١  
 ج ١ ص ٢٨ ) من حديث النعمان بن بشير عن أم المؤمنين عائشة أن رسول الله ﷺ

وقد أشرف عليهم عثمان ، واحتج عليهم بالحديث الصحيح فى بيان المسجد ، وحفر بئر رومة ، وقول النبى ﷺ حين رجف بهم أحد (١٩٢) . وأقروا له به فى أشياء ذكرها (١٩٣) .

وقد ثبت أن عثمان أشرف عليهم وقال : أفيكم ابنا محدوج ؟ أنشدكما الله ألستما تعلمان أن عمر قال : إن ربيعة فاجر أو غادر ، وإنى والله لا أجعل فرائضهم وفرائض قوم جاؤوا من مسيرة شهر ، وإنما مهر أحدهم عند [ طبيبه ] (١٩٤) . وإنى زدتهم فى غزاة واحدة خمسمائة ، حتى ألحقتهم بهم ؟ قالوا : بلى .

قال : أذكركما الله ألستما تعلمان أنكما أتيتما فى قفلتما : إن كندة أكلة رأس ، وإن ربيعة هى الرأس ، وإن الأشعث بن قيس قد أكلهم . فزعتهم واستعملتكما ؟ قالوا : بلى .

قال لعثمان : « يا عثمان إن ولاك الله هذا الأمر يومًا فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذى قمصك الله فلا تخلعه (\*\*) » يقول ذلك ثلاث مرات . وفى مسند الإمام أحمد ( ج ٦ الطبعة الأولى : ص ٧٥ . ٨٦ ، ١١٤ ، ١٤٩ ) حديث عائشة هذا بالفاظ مختلفة يرويه عنها عروة بن الزبير والنعمان بن بشير وغيرهما . (١٩٢) قوله ﷺ : اثبت أحد ! فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان رواه البخارى . ( م ) [ قلت : تقدم تخريجه (ع) .

(١٩٣) انظر فى مسند الإمام أحمد ( ٥٩/١ الطبعة الأولى رقم ٤٢٠ الطبعة الثانية ) حديث أبى سلمة بن عبد الرحمن . وسنن النسائى ( ١٢٤/٢ ، ١٢٥ ) وجامع الترمذى ( ٤/٣٢٠ ، ٣١٩ ) .

(١٩٤) كذا فى طبعة الشيخ الخطيب ، لكن فى : ب ، ج ، ز : طسه وفى د : [ طنبه ] وهو ما نختاره ، والطنى : الفجور ، والتهمة « وفى رواية خليفة بن خياط ١/١٤٩ » طنبه : وهو سير يوصل بوتر القوس . [ س ] .

(\*\*) أورد الترمذى وابن ماجه نحوه وحسنه الترمذى وصححه محقق المشكاة [ م ] .

قلت : صحيح : رواه أحمد ( ٧٥/٦ ) وابن أبى عاصم فى ( السنة ) ( ٥٦٢/٢ ) والترمذى ( ٣٧٠٥ ) وصححه الألبانى . وانظر المشكاة ( ٦٠٦٨ ) (ع) .

قال : اللهم إنهم كفروا معروفى ، وبدلوا نعمتى ، فلا ترضهم عن إمامهم ولا ترض إماماً عنهم .

وقد روى عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : كنت مع عثمان فى الدار فقال : أعزم على كل من رأى أن عليه سمعاً وطاعة إلا كف يده وسلاحه (١٩٥) . ثم قال : قم يا بن عمر - وعلى ابن عمر سيفه متقلداً - فأخبر به الناس (١٩٦) فخرج ابن عمر . ودخلوا فقتلوه (١٩٧) .

(١٩٥) الذى يدل عليه مجموع الأخبار عن موقف عثمان من أمر الدفاع عنه أو الاستسلام للأقدار ، وهو أنه كان يكره الفتنة ، ويتقى الله فى دماء المسلمين إلا أنه صار فى آخر الأمر يود لو كانت لديه قوة راجحة يهابها البغاة ، فيرتدعون عن بغيتهم ، بلا حاجة إلى استعمال السلاح للوصول إلى هذه النتيجة . وقبل أن تبلغ الأمور مبلغها عرض عليه معاوية أن يرسل إليه قوة من جند الشام تكون رهن إشارته ، فأبى أن يضيّق على أهل دار الهجرة بجند يساكنهم ( الطبرى ١٠١/٥ ) وكان لا يظن أن الجرأة تبلغ بفريق من إخوانه المسلمين إلى أن يتكالبوا على دم أول مهاجر إلى الله فى سبيل دينه . فلما تذابب عليه البغاة واعتقد أن الدفاع عنه تسفك فيه الدماء جزافاً ، عزم على كل من له عليهم سمع وطاعة أن يكفوا أيديهم وأسلحتهم عن مزالقي العنف . والأخبار بذلك مستفيضة فى مصادر أوليائه وشانئيه . على أنه لو ظهرت فى الميدان قوة منظمة ذات هيئة تقف فى وجوه الثوار ، وتضع حداً لخطرستهم وجاهليتهم ، لارتاح عثمان لذلك وسر به ، مع ما هو مطمئن إليه من أنه لن يموت إلا شهيداً . ( خ ) .

(١٩٦) فى البداية والنهاية ( ٧ / ١٨٢ ) عن مغازى ابن عقبة ( أن ابن عمر لم يلبس سلاحه إلا يوم الدار فى خلافة عثمان ، ويوم أراد نجدة الحرورى أن يدخل المدينة مع الخوارج أيام عبد الله بن الزبير ) ( خ ) .

(١٩٧) فى تاريخ الطبرى ( ٥ / ١٢٩ ) كان آخر من خرج عبد الله بن الزبير ، أمره عثمان أن يصير إلى أبيه بوصيته التى كتبها استعداداً للموت ، وأمره أن يأتى أهل الدار ( أى المدافعين عنه فى ساحة القصر ) فيأمرهم بالانصراف إلى منازلهم ، فخرج عبد الله ابن الزبير آخرهم ، فما زال يدعى بها ويحدث الناس عن عثمان بآخر ما مات عليه . =

[ وجاءه ] زيد بن ثابت فقال له : إن هؤلاء الأنصار بالباب يقولون : إن شئت كنا أنصار الله ( مرتين ) . قال ( عثمان ) لا حاجة لى فى ذلك كفوا ( ١٩٨ ) .

= وإنما أوصى عثمان إلى الزبير لأن الزبير كان محل الثقة من كبار الصحابة . روى الحافظ ابن عساكر ( ٣٦٢ / ٥ ) أن ستة من الصحابة أوصوا إليه : عثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، والمقداد ، ومطيع بن الأسود ، وأبو العاص بن الربيع فكان يتفق على أيتامهم من ماله ، ويحفظ لهم أموالهم ( خ ) .

( ١٩٨ ) أورده البلاذرى فى أنساب الأشراف ( ٧٣ / ٥ ) من حديث ابن سيرين وأخرج الحافظ ابن عساكر عن مؤرخ الصدر الأول موسى بن عقبة الأسدى ( الذى قال فيه الإمام مالك : عليكم بمغازى ابن عقبة ، فإنه ثقة ، وهى أصح المغازى ) أن أبا حبيبة الطائى ( وهو ممن يروى عنهم أبو داود والنسائى والترمذى ) قال : لما حضر عثمان جاء بنو عمرو بن عوف إلى الزبير فقالوا : يا أبا عبد الله نحن نأتيك ثم نصير إلى ما تأمرنا به ( أى من الدفاع عن أمير المؤمنين ) قال أبو حبيبة : فأرسلنى الزبير إلى عثمان ، فقال : أقرئه السلام وقل : « يقول لك أخوك : إن بنى عمرو بن عوف جاؤنى ووعدونى أن يأتونى ثم يصيرون إلى ما أمرتهم به . فإن شئت أن آتيك فأكون رجلا من أهل الدار يصيبنى ما يصيب أحدهم ، فعلت . وإن شئت انتظرت ميعاد بنى عمرو فادفع بهم عنك ، فعلت » قال أبو حبيبة : فدخلت عليه ( أى على عثمان ) فوجدته على كرسى ذى ظهر ، ووجدت رباطا مطروحة ومراكن مغلوة ، ووجدت فى الدار الحسن بن على ، وابن عمر ، وأبا هريرة ، وسعيد بن العاص ، ومروان بن الحكم ، وعبد الله بن الزبير . فأبلغت عثمان رسالة الزبير ، فقال : « الله أكبر ، الحمد لله الذى عصم أخى . قل له : إنك إن تأت الدار تكن رجلا من المهاجرين ، حرمتك حرمة رجل ، وغناؤك غناء رجل . ولكن انتظر ميعاد بنى عمرو ابن عوف ، فعسى الله أن يدفع بك » . قال : فقام أبو هريرة فقال : أيها الناس ، لقد سمعت أذنأى رسول الله ﷺ يقول « تكون بعدى فتن وأحداث » فقلت : وأين النجاء منها يا رسول الله ؟ قال : « الأمير وحزبه » وأشار إلى عثمان (\*\* ) . فقال =

(\*\*) رواه البيهقى فى « دلائل النبوة » ( ١ ) . [ م ] .

(١) لم أجده فيه مع البحث .



وقال له أبو هريرة : اليوم طاب الضرب معك . قال : عزمتم عليكم لتخرجن (١٩٩) . وكان الحسن بن علي آخر من خرج من عنده ، فإنه جاء الحسن والحسين وابن عمر وابن الزبير ومروان ، فعزم عليهم في وضع سلاحهم ، وخرجهم ، ولزوم بيوتهم .

= القوم : ائذن لنا فلنقاتل ، فقد أمكنتنا البصائر (\*) . فقال ( عثمان ) : « عزمتم على أحد كانت لى عليه طاعة ألا يقاتل » . قال : فبادر - أى سبق - الذين قتلوا عثمان ميعاد بنى عمرو بن عوف فقتلوه .

وبنو عمرو بن عوف قبيل كبير من الخزرج أحد فرعى الأنصار ، وكان النبي ﷺ عند وصوله إلى المدينة مهاجراً من مكة نزل ضيفاً عليهم ثلاثة أيام ثم انتقل إلى بنى النجار (خ) .

(١٩٩) هذا الخبر فى تاريخ الطبرى (١٢٩/٥) [خ] .

(\*) وهذه المواضع المشرفة للصحابة رضوان الله عليهم تلقم خصوم الإسلام الذين يقولون بأن الصحابة كلهم كانوا راضين بقتل عثمان ويتبرؤون منه حتى تركوه ولم يدافعوا عنه ! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً .

وقد ثبت فى « نهج البلاغة » من كلام على بن أبى طالب أنه قال : « والله دفعت عنه » . وقد نقل البلاذرى فى كتابه : « أنساب الأشراف » ١٠٣/٥ عن المدائني عن سلمة بن عثمان عن على بن زيد عن الحسن قال : « دخل على بن أبى طالب على بناته ، وهن يمسحن عيونهن فقال : ما لكن نكين ؟ قلن : نبكى على عثمان . فبكى وقال : ابكين .

وروى ابن السمان عن قيس بن عباد قال : سمعت علياً يوم « الجمل » يقول : « اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان ، وقد طاش عقلى يوم قتل عثمان ، وأنكرت نفسى ، وجاؤنى للبيعة فقلت : ألا تستحي من الله أن أباع قومًا قتلوا رجلاً قال له رسول الله : ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة » . رواه مسلم . وقد جاء فى العقد الفريد لابن عبد ربه عبارة تصور موقف على من مقتل عثمان أحسن تصوير قال سعيد الخزاعي :

لقيت علياً بعد الجمل ، فقلت له : إني سألتك عن مسألة كانت منك ومن عثمان ، فإن نجوت اليوم . نجوت غداً أن شاء الله قال : سل عما بدا لك ، قلت أخبرني أى منزلة وسعتك إذ قتل عثمان ولم تنصره ؟ قال : إن عثمان كان إماماً وأنه نهى عن القتال ، وقال : من سل سيفه فليس منى !! فلو قاتلنا دونه عصيانه قال : فأى منزلة وسعت عثمان إذا استسلم ؟ قال : المنزلة التى وسعت ابن آدم إذ قال لأخيه : ﴿ لَيْنَ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ وما أروغ ما قاله محمد بن سيرين فى هذا الموضوع : « ما علمت أن علياً اتهم فى دم عثمان حتى يوبع ! فلما يوبع اتهمه الناس وذلك أمر مركور فى الطابع ! » (م) .

فقال له ابن الزبير ومروان : نحن نعزم على أنفسنا ألا نبرح . ففتح عثمان الباب ودخلوا عليه فى أصح الأقوال ( ٢٠٠ ) .

فقلته المرء الأسود ( ٢٠١ ) .

وقيل : أخذ ابن أبى بكر بلحيته ، وذبحه [ رومان ] ( ٢٠٢ ) ، وقيل : رجل من أهل مصر يقال له حمار ( ٢٠٣ ) . فسقطت قطرة من دمه على المصحف على قوله : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمْ ﴾ فإنها فيه ما حكى إلى الآن ( ٢٠٤ ) .

وروى أن عائشة رضي الله عنها قالت : « غضبت لكم من السوط ، ولا أغضب لعثمان

( ٢٠٠ ) أصل هذا الخبر فى تاريخ الطبرى ( ١٢٨ / ٥ ) عن سيف بن عمر التميمى عن أشياخه . ( خ ) .

( ٢٠١ ) كذا فى مطبوعة الجزائر . والذى فى تاريخ الطبرى ( ١٢٥ / ٥ ) « الموت الأسود » ، والأصول التى طبع عليها تاريخ الطبرى أصح من الأصول التى طبع عليها كتابنا فى الجزائر ، ومن الثابت أن ابن سبأ كان مع ثوار مصر عند مجيئهم من الفسطاط إلى المدينة ( الطبرى ١٠٣ / ٥ ، ١٠٤ ) وهو فى كل الأدوار التى مثلها كان شديد الحرص على أن يعمل من وراء ستار ، فلعل « الموت الأسود » اسم مستعار له أراد أن يرمز به إليه ليتمكن من مواصلة دسائسه لهدم الإسلام . ( خ ) .

قلت : الأظهر أن ما فى تاريخ الطبرى أصح حيث عبر عن ذلك بالموت فقال : ودخل عليه رجل يقال له الموت الأسود . وذكر خليفة بن خياط : أنه رجل من بنى سدوس يقال له . الموت الأسود ( ١٥٢ / ١ ) .

( ٢٠٢ ) رومان رجل من بنى أسد بن خزيمه . وليس محرقة كما قال الشيخ محب الدين الخطيب ، حيث وضع مكانه ( كنانة بن بسر ) بدعوى أن نسخة الجزائر كثيرة التحريف . [ انظر تاريخ خليفة بن خياط ١٥٣ / ١ ] ( س ) .

( ٢٠٣ ) لم أر هذا الاسم فىمن اجترؤوا على ارتكاب الجريمة العظمى ، ولعل النساخ حرفوا اسم سودان بن « حمران » أو اسم عمرو بن « الحقم » . ( خ ) .

( ٢٠٤ ) ذكرت هذه الحادثة فى الطبرى بسند حسن . وقد بعث الله على قتلة عثمان من قتلهم جميعاً . ولعل الآية تشير إلى هذا الانتقام . [ م ] .

من السيف ؟ استعبتموه حتى إذا تركتموه [ كالفل ] (٢٠٥) المصفي ، ومصتموه  
موص الإناء، وتركتموه كالثوب المنقى من الدنس، ثم قتلتموه » (٢٠٦) . قال  
مسروق (٢٠٧) : قلت لها : « هذا عملك ، كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه » .  
فقال عائشة : « والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم سواداً في  
بياض » . قال الأعمش : فكانوا يرون أنه كتب على لسانها (٢٠٨) .

وقد روى أنه ما قتله أحد إلا أعلاج من أهل مصر .

قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه :: فهذا أشبه ما روى في الباب . وبه يتبين - وبأصل  
المسألة سلوك سبيل الحق - أن أحداً من الصحابة لم يسع عليه ، ولا قعد عنه . ولو  
استنصر ما غلب ألف أو أربعة آلاف غرباء عشرين ألفاً بلديين أو أكثر من ذلك (٢٠٩) ،

(٢٠٥) ب ، ج ، ز : العبد . وأصلحه الشيخ محب الدين : القند . ولعله الذهب لأنه قد  
ورد في تاريخ ابن الأثير في شأن عثمان [ كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من  
درنه إذا ماصوه كما يماص الثوب بالماء ] [ ٢٠٧/٣ ] . ( س ) .

(٢٠٦) قالت ذلك أول مرة عند وصولها إلى المدينة عائدة من الحج ، فاجتمع إليها الناس  
وألقت فيهم خطبة بليغة وردت هذه الجملة في آخرها ( الطبرى ١٦٥/٥ ، ١٦٦ ) .  
والموص : الغسل بالأصابع . والقند : غسل قصب السكر إذا جمد . [ خ ] .

(٢٠٧) هو من أئمة التابعين المقتدى بهم توفي سنة ٦٣ . وهو الذي قال لعمار بالكوفة قبل  
يوم الجمل : يا أبا اليقظان علام قتلتم عثمان ؟ قال : على شتم أعراضنا وضرب  
أبشارنا . فقال مسروق : والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير  
للسابرين ( الطبرى ١٨٧/٥ )

وقد وجدت بعده في تاريخ الطبرى ما يخالفه : خرج أبو موسى فلقى الحسن  
ابن على . . وقال لعمار : يا أبا يقظان ! أعدوت على أمير المؤمنين عثمان قتلتة ؟!  
فقال : لم أفعل ( ٣٥/٧ ) . ( م ) .

(٢٠٨) كما كتب على لسان علىّ ولسان عثمان [ خ ] .

(٢٠٩) أين هذه المواقف الشريفة للصحابة - دون استثناء واحد منهم مما يزعم السفهاء من أن  
الصحابة كلهم كانوا راضين بقتله ، ويتبرؤون منه حتى تركوه بعد قتله ثلاثة أيام =

ولكنه ألقى بيده إلى المصيبة (٢١٠) .

وقد اختلف العلماء فيمن نزل به مثلها : هل يلقى بيده ، أو يستنصر (٢١١) ؟ وأجاز بعضهم أن يستسلم ويلقى بيده اقتداءً بفعل عثمان ، وبتوصية النبي ﷺ بذلك في الفتنة (٢١٢) .

قال القاضي أبو بكر رحمته الله : ولقد حكمت بين الناس فالزمتهم الصلاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يك [ ترى ] فى الأرض منكر ، واشتد الخطب على أهل الغضب ، وعظم على الفسقة الكرب ، فتألبوا وألبوا ، وثاروا إلى [ واستسلمت ] لأمر الله ، وأمرت كل من حولى ألا يدافعوا عن دارى ، وخرجت

= بلا دفن كما ذكره مؤلف التحفة الاثنى عشرية ورد عليهم بما ألقمهم حجراً فكان مما قاله : « .. إن هذا كله كذب صريح وبهتان صريح لا يخفى على الصبيان فضلاً عن ذوى العرفان ( مختصر التحفة الاثنى عشرية : ٢٦٦ ) » [ م ] .

(٢١٠) لأنه اختار بذلك أهون الشرين ، فأثر التضحية بنفسه على توسيع دائرة الفتنة وسفك دماء المسلمين . وعثمان افتدى دماء أمته بدمه مختاراً فما أحسن الكثيرون منها جزاءه ، وأن أوربا تعبد بشراً بزعم الفداء ولم يكن فيه مختاراً . ( خ ) .

(٢١١) من سياسة الإسلام أن يختار فى كل حالة أقلها شراً وأخفها ضرراً ، فإذا كانت للخير قوة غالبية تقمع الشر وتضييق دائرته فالإسلام يهدي إلى قمع الشر بقوة الخير بلا تردد . وإن لم يكن للخير قوة غالبية تقمع الشر وتضييق دائرته - كما كانت الحال فى موقف أمير المؤمنين عثمان من البغاة عليه - فمصلحة الإسلام فى مثل ما جنح إليه عثمان أعلى الله مقامه فى دار الخلود ( خ ) .

(٢١٢) وهى قوله ﷺ على ما رواه الإمام البخارى فى كتاب المناقب ( ك ٦١ ب ٢٥ ج ٤ ص ١٧٧ ) وفى كتاب الفتن ( ك ٩٢ ب ٩ ج ٨ ص ٩٢ ) من صحيحه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماضى و الماضى فيها خير من الساعى . ومن يشرف لها تستشرفه . ومن وجد ملجأ أو معاداً فليعذ به » . وأعلن أبو موسى الأشعرى فى الكوفة قبل وقعة الجمل أنه سمعه من رسول الله ﷺ ( الطبرى ١٨٨/٥ ) . [ خ ] .

على السطوح بنفسى ، فعاثوا على ، وأمست سلب الدار ، ولولا ما سبق من حسن المقدار لكنت قتيل الدار .

وكان الذى حملنى على ذلك ثلاثة أمور : أحدها وصاية النبى ﷺ المتقدمة (٢١٤) ، والثانى الاقتداء بعثمان ، والثالث سوء الأحداث التى فر منها رسول الله ﷺ بالوحى (٢١٥) . فإن من غاب عنى ، بل من حضر من الحسدة معى ، خفت أن يقول : إن الناس مشوا [ مستعينين به ] مستغيثين له فأراق دماءهم .

وأمر عثمان كله سنة ماضية ، وسيرة راضية . فإنه تحقق أنه مقتول بخبر الصادق له بذلك ، وأنه بشره بالجنة على بلوى تصيبه ، وأنه شهيد .

وروى أنه قال له فى المنام : إن شئت نصرتك ، أو تفطر عندنا الليلة (٢١٧) .

(٢١٤) وقد نقلناها آنفاً من حديث أبى هريرة فى صحيح البخارى ، ومن حديث أبى موسى فى الكوفة قبل وقعة الجمل . [ خ ] .

(٢١٥) وذلك لما قال ابن سلول فى غزوة بنى المصطلق « إذا رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعر منها الأذل ، فأراد عمر أن يقتله ، فمنعه النبى ﷺ وقال : « لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » . [ خ ] .

(٢١٧) هذه الرواية لابن أبى الدنيا من حديث عبد الله بن سلام فى البداية والنهاية (١٨٢/٧) - (١٨٣) ، ومن طريق آخر عنه فى أنساب الأشراف للبلاذرى ( ٨٢ / ٥ ) . وفى مسند أحمد ( ٧٢١١ الطبعة الأولى رقم ٥٢٦ الثانية ) من حديث مسلم أبى سعيد مولى عثمان قال : « إن عثمان أعتق عشرين مملوكا ، ودعا بسرأويل فشدّها عليه ولم يلبسها فى جاهلية ولا إسلام ، وقال : إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة فى المنام ورأيت أبا بكر وعمر ، وأنهم قالوا لى : اصبر ، فإنك تفطر عندنا القابلة ، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه ، فقتل وهو بين يديه » . وروى الإمام أحمد هذا الحديث عن نائلة زوجة عثمان ( ٧٣/١ رقم ٥٣٦ ) بقریب من هذا . وفى البداية والنهاية (١٨٢/٧) من حديث أيوب السختياني عن نافع عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ومن طرق أخرى متعددة وانظر ( تاريخ الطبرى ( \* ) ١٢٥ / ٥ ) . [ خ ] .

وقد انتدبت المردة والجهلة إلى أن يقولوا : إن كل فاضل من الصحابة كان عليه مشاغبا مؤلّبا، وبما جرى عليه راضيا . واخترعوا كتابا فيه فصاحة وأمثال كتب عثمان به مستصرخا إلى على . وذلك كله مصنوع ، ليوغر قلوب المسلمين على السلف الماضين والخلفاء الراشدين (٢١٨) .

قال القاضي أبو بكر رحمته الله : فالذى ينخل من ذلك أن عثمان مظلوم ، محجوج بغير حجة (٢١٩) . وأن الصحابة برآء من دمه بأجمعهم ، لأنهم أتوا إرادته ، وسلموا له رأيه فى إسلام نفسه .

ولقد ثبت - زائداً إلى ما تقدم عنهم - أن عبد الله بن الزبير قال لعثمان : إنا معك فى الدار عصابة مستبصرة ينصر الله بأقل منهم ، فائذن لنا . فقال : أذكر الله رجلا أراق لى دمه ( أو قال دمّا ) ( ٢٢٠ ) .

(٢١٨) هذه الكتب المصنوعة والأخبار المبالغ فيها أو المكذوبة شجنت بها أسفار الأخبار وكتب الأدب . ولتمييز الحق فيها من الباطل طريقان : أحدهما طريق أهل الحديث فى أن لا يقبلوا إلا الأخبار المسندة إلى أشخاص بأسمائهم ثم يستعرضوا أحوال هؤلاء الأشخاص فيقبلوا من صادقهم ، ويضربوا وجهه الكذاب بكذبه . والطريق الثانى طريق علماء التاريخ وهو أن يعرضوا كل خبر على سجايا من يخبر عنه ، ويقارنوه بسيرته ، وهل هو مما ينتظر وقوعه ممن نسب إليه ويلائم المعروف من سابقته وأخلاقه أم لا وتمحيص تاريخنا يحتاج إلى هذين الطريقين معا يقوم بهما علماء راسخون فيهما . [ خ ] .

(٢١٩) كما تبين فى هذا الكتاب بأسانيده القاطعة . وانظر كتاب ( التمهيد ) للإمام أبى بكر الباقلانى ( ص ٢٢٠ - ٢٢٧ ) . ( خ ) .

(٢٢٠) ولما بدأ حجاج بيت الله يعودون إلى المدينة كان أول المرعين منهم المغيرة بن الأخص بن شريق الثقفى الصحابى ، فأدرك عثمان قبل أن يقتل ، وشهد المناوشة على باب دار عثمان فجلس على الباب من داخل وقال : ما عذرنا عند الله إن تركناك ونحن نستطيع ألا ندعهم حتى نموت وكان أول من برز للبغاة المهاجمين ، وقاتل حتى قتل . وخرج معه لقتالهم الحسن بن على بن أبى طالب وهو يقول فى تسفيه عمل البغاة :

لا دينهم دينى ولا أنا منهم حتى أسير إلى طمار شمام

أى إلى جبل أشم لا ينجو من سقط منه . وخرج معهما محمد بن طلحة بن عبيد الله - وكان يعرف بالسجاد لكثرة عبادته - وهو يقول :

وقال سليط بن أبي سليط : نهانا عثمان عن قتالهم ، فلو أذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم عن أقطارها ( ٢٢١ ) .

وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة : كنت مع عثمان في الدار فقال : أعزم على كل من رأى أن لى عليه سمعاً وطاعة إلا كف يده وسلاحه ، فإن أفضلكم غناء من كف يده وسلاحه ( ٢٢٢ ) .

وثبت أن الحسن والحسين وابن الزبير وابن عمر ومروان كلهم شاك في السلاح حتى دخلوا الدار ، فقال عثمان : أعزم عليكم لما رجعتم فوضعتم أسلحتكم ولزمتم بيوتكم ( ٢٢٣ ) .

= أنا ابن من حامى عليه بأحد ورد أحزاباً على رغم معد

انظر تاريخ الطبرى ( ١٢٨/٥ ، ١٢٩ ) . [ خ ] .

( ٢٢١ ) رواه الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب ( ١١٨/٢ ، ١١٩ ) هامش الإصابة ( من حديث ابن سيرين عن سليط . وأورده الحافظ ابن حجر مختصراً في الإصابة ( ٧٢/٢ ) . ( خ ) .

( ٢٢٢ ) وفي تاريخ الطبرى ( ١٢٧/٥ ) أن عثمان دعا عبد الله بن عباس فقال له : اذهب فأنت على الموسم ( أى على إمارة الحج ) فقال ابن عباس : « والله يا أمير المؤمنين لجهاد هؤلاء أحب إلى من الحج » فأقسم عليه لينطلقن ، فانطلق ابن عباس على الموسم تلك السنة . [ خ ] .

( ٢٢٣ ) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ( ١٨١/٧ ) : كان الحصار مستمراً من أواخر ذى القعدة إلى يوم الجمعة الثامن عشر من ذى الحجة . فلما كان قبل ذلك بيوم ، قال عثمان للذين عنده في الدار من المهاجرين والأنصار - وكانوا قريباً من سبعمائة ، فيهم عبد الله بن عمرو وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين ومروان وأبو هريرة وخلق من مواليه ولو تركهم لمنعوه - : « أقسم على من لى عليه حق أن يكف يده وأن ينطلق إلى منزله » وقال لرفيقه « من أغمد سيفه فهو حر » فبرد القتال من داخل ، وحمى من خارج . حتى كانت الساعة التى تم فيها للشيطان ما سعى له وتمناه . ويكفى لييان ما كان لهذه الفاجعة الكبرى من الأثر في النفوس ما نقله البلاذرى في أنساب الأشراف ( ١٠٣/٥ ) عن المدائنى عن سلمة بن عثمان عن علي بن زيد عن الحسن قال : دخل على يوماً على بناته وهن يمسحن عيونهن . فقال : ما لكن تبكين ؟ قلن : نبكى على عثمان ، فبكى وقال : ابكين . . [ خ ] .

فلما قضى الله من أمره ما قضى ، ومضى فى قدره ما مضى ، علم أن الحق [ ألا ] يترك الناس سدى ، وأن الخلق بعده مفتقرون إلى خليفة مفروض عليهم النظر فيه . ولم يكن بعد الثلاثة كالرابع قدرا وعلمًا وتقى ودينا ، فانعقدت له البيعة . ولو لا الإسراع بعقد البيعة لعلى لجرى على من بها من الأوباش مالا يرقع خرقه . ولكن عزم عليه المهاجرون والأُنصار ، ورأى ذلك فرضًا عليه ، فانقاد إليه ( ٢٢٤ ) .

( ٢٢٤ ) فى تاريخ الطبرى ( ١٥٥ / ٥ ) عن سيف ( \* ) بن عمر التميمى عن أشياخه قالوا : بقيت المدينة بعد قتل عثمان خمسة أيام أميرها الغافقى بن حرب يلتمسون من يجيئهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه : يأتى المصريون عليًا فيختبئ منهم ويلوذ بحيطان المدينة ( أى يختبئ فى بساطتها ) فإذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم ومن مقاتلتهم مرة بعد مرة . ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه . فأرسلوا إليه حيث هو رسلا فباعدهم وتبرأ من مقاتلتهم . ويطلب البصريون طلحة ، فإذا لقيهم باعدهم وتبرأ من مقاتلتهم .. فبعثوا إلى سعد بن أبى وقاص وقالوا : إنك من أهل الشورى فرأينا فيك مجتمع ، فأقدم نبايعك . فبعث إليهم أنى وابن عمر خرجنا منها ، فلا حاجة لى فيها . ثم إنهم أتوا ابن عمر عبد الله فقالوا : أنت ابن عمر فقم بهذا الأمر فقال : إن لهذا الأمر انتقامًا والله لا أتعرض له فالتمسوا غيرى . وأخرج الطبرى ( ١٥٦ / ٥ ) عن الشعبى قال : أتى الناس عليًا وهو فى سوق المدينة وقالوا له : ابسط يدك نبايعك . قال : لا تعجلوا ، فإن عمر كان رجلا مباركا ، وقد أوصى بها شورى ، فأمهلوا يجتمع الناس ويتشاورون . فارتد الناس عن على . ثم قال بعضهم : إن رجع الناس إلى أمصارهم بقتل عثمان ولم يقم بعده قائم بهذا الأمر لم نأمن اختلاف الناس وفساد الأمة . فعادوا إلى على ، فأخذ الأشر بيده ، فقبضها على فقال : أبعد ثلاثة ؟ أما والله لئن تركتها لتعصرن عينيك عليها حينًا . فبايعته العامة . وأهل الكوفة يقولون : أول ما بايعه الأشر . وروى سيف عن أبى حارثة محرر العبشمى وعن أبى عثمان يزيد بن أسيد الغسانى قالوا : لما كان يوم الخميس على رأس خمسة أيام من مقتل عثمان جمعوا أهل المدينة ، فوجدوا سعدًا والزبير خارجين ووجدوا طلحة فى حائط له ... فلما اجتمع لهم أهل المدينة قال لهم أهل مصر : أنتم أهل الشورى وأنتم تعقدون الإمامة وأمركم عابر على الأمة ، فانظروا رجلا تنصبونه ونحن لكم تبع . فقال الجمهور : على بن أبى طالب نحن به رضوان ... فقال على : دعونى والتمسوا =



وعقد له البيعة طلحة ، فقال الناس : بايع علياً يد شلاء ، والله لا يتم هذا الأمر (٢٢٥) .

فإن قيل : بايعا مكرهين (٢٢٦) . قلنا : حاشا لله أن يكرها ، لهما ولن بايعهما . ولو كان مكرهين ما أثر ذلك ، لأن واحداً أو اثنين تنعقد البيعة بهما وتتم ، ومن بايع بعد ذلك فهو لازم له ، وهو مكره على ذلك شرعاً . ولو لم يبايعا ما أثر ذلك فيهما ، ولا في بيعة الإمام (٢٢٧) .

وأما من قال يد شلاء وأمر يتم ، فذلك ظن من القائل أن طلحة أول من بايع ، ولم يكن كذلك (٢٢٨) .

= غيرى . . فقالوا : نشدك الله ، ألا ترى الفتنة ، ألا تخاف الله ؟ فقال : إن أجبتكم ركبتم بكم ما أعلم ، وإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم ، إلا أنني أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم . ثم افترقوا على ذلك واتعدوا الغد ( أى يوم الجمعة ) فلما أصبحوا من يوم الجمعة حضر الناس المسجد وجاء على حتى صعد المنبر فقال : « يا أيها الناس عن ملأ وأذن . أن هذا أمركم ، ليس لأحد فيه حق إلا أن أمرتم . وقد افترقنا بالأمس على أمر . فإن شئتم قعدت لكم ، وإلا فلا أجد على أحد » فقالوا « نحن على ما فارقناك عليه بالأمس » . وهذه الوقائع على بساطتها تدل على أن بيعة على كانت كبيعة إخوانه من قبل جاءت على قدرها وفي أبنائها ، وأنها مستمدة من رضا الأمة في حينها ، لا من وصية سابقة مزعومة ، أو رموز خيالية موهومة ( خ ) . (٢٢٥) قائل هذه الكلمة حبيب بن ذؤيب . رواه الطبري (١٥٣/٥) عن أبي المليح الهذلي [خ] .

(٢٢٦) يعنى طلحة والزبير : [ خ ] .

(٢٢٧) القاضى ابن العربى يقرر هنا الحكم الشرعى فى عقد البيعة ، لا على أنه رأى له . ولالإمام أبى بكر الباقلانى كلام سديد فى ( التمهيد ) ص ٢٣١ . [ خ ] .

(٢٢٨) وقد علمت أن أهل الكوفة يقولون : إن الأشتر كان أول من بايع ولو كانت يد طلحة هى الأولى فى البيعة لكانت أعظم بركة ، لأنها يد دافعت عن رسول الله ﷺ ، ويد الأشتر لا تزال رطبة من دم الشهيد المبشر بالجنة . ( خ ) .

فإن قيل : فقد قال طلحة : « بايعت والليح (٢٢٩) على قفى (٢٣٠) » . قلنا : اخترع هذا الحديث من أراد أن يجعل فى « القفا » لغة « قفى » كما يجعل فى « الهوى » : « هوى » . وتلك لغة هذيل لا قريش (٢٣١) فكانت كذبة لم تدبر .

وأما قولهم « يد شلاء » لو صح فلا متعلق لهم فيه ، فإن يداً شلت فى وقاية رسول الله ﷺ يتم لها كل أمر ، ويتوقى بها من كل مكروه (٢٣٢) . وقد تم الأمر على وجهه ، ونفذ القدر بعد ذلك على حكمه . وجهل المبتدع ذلك فاخترع ما هو

(٢٢٩) فى جميع النسخ المخطوطة ( اللح ) وصوابه ( اللج ) وهو السيف . وقد أصلحه الشيخ محب الدين الخطيب ولم ينبه إلى ذلك « . [ س ] .

(٢٣٠) بل هى أبعد عن لغة قريش من لهجة هذيل ، فقد قال ابن الأثير فى النهاية ( مادة لجج ) إنها لغة طائية ، يشددون ياء المتلكم [ خ ] .

(٢٣١) كان طلحة من العصابة الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الموت يوم أحد حين انهزم المسلمون ، فصبروا ولزموا . ورمى مالك بن زهير الجشمى بسهم يريد رسول الله ﷺ . وكان لا يخطئ رمية - فانتقا طلحة بيده عن رسول الله ﷺ ، فكان ذلك سبب الشلل فى يده من خنصره . وأقبل رجل من بنى عامر يجر رمحاً له على فرس كميث أغر مدججاً فى الحديد يصيح : أنا أبو ذات الودع ، دولونى على محمد . فضرب طلحة عرقوب فرسه ، فاكسعت . ثم تناول رمحه فلم يخطئ به عن حذقته ، فخار كما يخور الثور ، فما برح طلحة واضعاً رجله على خده حتى مات . قالت بنتاه - عائشة وأم إسحاق - : جرح أبونا يوم أحد أربعاً وعشرين جراحة فى جميع جسده ، وقد غلبه الغشى ، وهو مع ذلك محتمل رسول الله ﷺ حتى كسرت ربايعته يرجع به القهقرى ، كلما أدركه أحد من المشركين قاتل دونه حتى أسنده إلى الشعب . فكان النبى ﷺ يقول إذا رأى طلحة : « من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجهه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله (\*) » رواه أبو نعيم الاصبهاني . وكان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال : ذاك يوم كان يوم طلحة . وسمع على بن أبى طالب رجلاً يقول بعد يوم الجمل : ومن طلحة ؟ فزجره على ، وقال : إنك لم تشهد يوم أحد ، =

حجة عليه .

فإن قيل : بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان . قلنا : هذا لا يصح في شرط البيعة ، وإنما يبايعونه على الحكم بالحق ، وهو أن يحضر الطالب للدم ، ويحضر المطلوب ، وتقع الدعوى ، ويكون الجواب ، وتقوم البيعة ، ويقع الحكم . فأما على الهجوم عليه بما كان من قول مطلق ، أو فعل غير محقق ، أو سماع كلام ، فليس ذلك في دين الإسلام (٢٣٣) .

قالت العثمانية : تخلف عنه من الصحابة جماعة ، منهم سعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة ، وابن عمر ، وأسامة بن زيد وسواهم من نظرائهم .

قلنا : أما بيعته فلم يتخلف عنها . وأما نصرته فتخلف عنها قوم ، منهم من

= لقد رأيته وإنه ليحترس بنفسه دون رسول الله ﷺ وإن السيوف لتغشاه، وإن هو إلا جنة بنفسه لرسول الله ﷺ . أخرج الحافظ ابن عساكر ( ٧٨ / ٧ ) من طريق ابن منده عن طلحة قال سماني رسول الله ﷺ يوم أحد ( طلحة الخير ) وفي غزوة العسرة ( طلحة الفياض ) ، ويوم حنين ( طلحة الجود ) . [ خ ] .

(٢٣٣) وانظر ( التمهيد ) للباقلاني ص ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ . وحقيقة موقف عليٍّ من قتلة عثمان أنهم عند البيعة له كانوا هم المستولين على زمام الأمر في المدينة . وفي حالة الإرهاب التي كانت سائدة يومئذ لم يكن في استطاعة علي ولا غيره أن يقف منهم مثل موقف الصحابة من عبيد الله بن عمر لما قتل الهرمزان . مع الفارق العظيم بين دم أمير المؤمنين الخليفة الراشد ، والأسير الحربي المجوسى الذى قال : إنه أسلم بعد وقوعه فى الأسر . ولما انتقل عليٌّ من المدينة إلى العراق ليكون على مقربة من الشام انتقل معه قتلة عثمان ولا سيما أهل البصرة والكوفة منهم ، فلما صاروا فى بصرتهم وكوفتهم صاروا فى معقل قوتهم وعنجهية قبائلهم ، ولا شك أن علياً أعلن البراءة منهم وأراد أن يتفق مع أصحاب الجمل على ما يمكن الاتفاق عليه فى هذا الشأن ، فأنشب قتلة عثمان القتال بين معسكر على ومعسكر أصحاب الجمل ، وتمكن أصحاب الجمل من قتل المصريين من قتلة عثمان إلا واحداً من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم =

ذكرتم ، لأنها كانت مسألة اجتهاد ، فاجتهد كل واحد وأعمل نظره وأصاب قدره (٢٣٣).

\* \* \*

= حمته قبيلته . فلما اتسعت الأمور وسفكت الدماء كان على فى موقف يحتاج فيه إلى بأس هؤلاء المعروفين بأنهم من قتلة عثمان وفى مقدمتهم الأشتر وأمثاله . وأن كثيرين منهم انقلبوا على على بعد ذلك وخرجوا عليه معتقدين كفره . ويقول علماء السنة والمؤرخون إن الله كان بالمرصاد لقتلة عثمان ، فانتقم منهم بالقتل والنكال واحداً بعد واحد ، حتى الذين طال بهم العمر إلى زمن الحجاج كانت عاقبتهم سفك دمائهم جزاء بما قدمت أيديهم والله أعدل الحاكمين . ( خ ) .

(٢٣٣) وانظر ( التمهيد ) للباقلانى ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

## قاصمة

روى قوم أن البيعة لما تمت لعلى استأذن طلحة والزبير عليا فى الخروج إلى مكة (٢٣٤) . فقال لهما على : لعلكما تريدان البصرة والشام . فأقسما ألا يفعلا (٢٣٥) .

وكانت عائشة بمكة (٢٣٦) .

وهرب عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة إلى مكة ، ويعلى بن أمية عامل عثمان على اليمن .

فاجتمعوا بمكة كلهم ، ومعهم مروان بن الحكم ، واجتمعت بنو أمية . وحرصوا على دم عثمان وأعطى يعلى لطلحة والزبير وعائشة أربعمئة ألف درهم . وأعطى لعائشة « عسكرياً » جملاً اشتراه باليمن بمائتى دينار . فأرادوا الشام ، فصدهم ابن عامر وقال : لا ميعاد لكم بمعاوية ، ولى بالبصرة صنائع ، ولكن إليها .

(٢٣٤) ومن استأذنه فى الخروج إلى مكة عبد الله بن عمر بن الخطاب . وسبب ذلك أن عليا لما تمت له البيعة عزم على قتال أهل الشام ، وندب أهل المدينة إلى الخروج معه فأبوا عليه ، فطلب عبد الله بن عمر وحرصه على الخروج معه فقال : إنما أنا رجل من أهل المدينة إن خرجوا خرجت على السمع والطاعة ، لكن لا أخرج للقتال فى هذا العام . ثم تجهز ابن عمر وخرج إلى مكة ( ابن كثير ٧ / ٢٣٠ ) وكان الحسن بن علي مخالفاً لأبيه فى أمر الخروج لمقاتلة أهل الشام ومفارقة المدينة كما ترى فيما بعد . (خ) .

(٢٣٥) قول على لهما وقسمهما له من زيادات مرتكبي ( القاصمة ) ورواتها (خ) .  
(٢٣٦) ذهبت إليها هى وأمهات المؤمنين لما قطع البغاة الماء عن أمير المؤمنين عثمان ، وأخذ يستسقى الناس ، فجاءته أم حبيبة بالماء فاهانوها ، وضربوا وجه بغلتها ، وقطعوا حبل البغلة بالسيف ( الطبرى ٥ / ١٢٧ ) ، فتجهز أمهات المؤمنين إلى الحج فراراً من الفتنة ( ابن كثير ٧ / ٢٢٩ ) (خ) .

فجاؤوا إلى ماء الخوآب (٢٣٧) ، ونبحت كلابه ، فسألت عائشة ، فقيل لها : هذا ماء الخوآب . فردت خطامها عنه ، وذلك لما سمعت النبي ﷺ يقول : « أيتكن صاحبة الجمل الأديب (٢٣٨) ، والتي تنبجها كلاب الخوآب ؟ » فشهد طلحة والزبير أنه ليس هذا ماء الخوآب (٢٣٩) ، وخمسون رجلا إليهم (٢٤٠) وكانت أول شهادة زور دارت في الإسلام (٢٤١) .

(٢٣٧) الخوآب من مياه العرب على طريق البصرة . قاله أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن الإسكندري فيما نقله عنه ياقوت في معجم البلدان . وقال أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم : ماء قريب من البصرة ، على طريق مكة إليها . سمى بالخوآب بنت كلب بن وبرة القضاية [خ] .

(٢٣٨) الأديب : الأدب ( أظهر الإدغام لأجل السجعة ) ، والأدب الكثير وبر الوجه . قاله ابن الأثير في النهاية [ خ ] .

(٢٣٩) هذا الخبر عن الصحابي الجليل الزبير عار عن الصحة . وقد ذكر الإمام ابن كثير في البداية والنهاية (٢١٢/٦) خلافه فقال :

روى أبو نعيم بن حماد في الملاحم - وقد أسنده - ثم روى أحمد - وقد أسنده - عن أبي حازم أن عائشة لما أتت على الخوآب فسمعت نباح الكلاب فقالت : ما أظنني إلا راجعة ، أن رسول الله ﷺ قال : « لنا أيتكن ينبج عليها كلاب الخوآب » ، فقال لها الزبير : ترجعين؟ وعسى الله أن يصلح بك بين الناس (١) . قال ابن كثير : وهذا إسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجاه . [ م ] .

(٢٤٠) لم يشهدوا ، ولم تقل عائشة ، ولم يقل النبي ﷺ . وسنين ذلك في موضعه من ( العاصمة ) فيما بعد . [ خ ] .

(٢٤١) شهادة الزور تصدر عن رعا لا يخافون الله كأبي زينب وأبي المورع كما تقدم وتصدر عن من يزعم لنفسه أنه قادر على خلق شخصية لم يخلقها الله كالذي اخترع اسم ثابت مولى أم سلمة كما تقدم أما طلحة والزبير - المشهود لهما بالجنة من نبي الرحمة ﷺ =

(١) صحيح : رواه أحمد (٩٧/٦) والبيهقي في (دلائل النبوة) (٤١٠/٦) وانظر الصحيحة (٤٧٤) ومجمع الزوائد (٢٣٤/٣) (ع) وسيأتي قريباً ص ١٦٢ ، ١٦٣ .  
(\*) لقد صح حديث الخوآب كما نرى ذلك واضحاً عما قريب [ م ] .

وخرج على الكوفة (٢٤٢) ، وتعسكر الفريقان والتفوا (٢٤٣) ، وقال عمار - وقد دنا من هودج عائشة - : ما تطلبون ؟ قالوا : نطلب دم عثمان . قال : قتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب لغير الحق (٢٤٤) .

والتقى على والزبير ، فقال له على : أتذكر قول النبي ﷺ إنك تقاتلني ؟ فتركه ورجع (٢٤٥) . وراجعته ولده ، فلم يقبل . واتبعه الأحنف

= الذى لا ينطق عن الهوى - فكانا أسمى أخلاقاً وأكرم على أنفسهما وعلى الله من أن يشهدا الزور . وهذه الفرية عليهما من مبغضى أصحاب رسول الله ﷺ ليست أول فرية لهم فى الإسلام ، ولا آخر ما يفترونه من الكذب عليه وعلى أهله . [خ] . (٢٤٢) خرج من المدينة فى آخر شهر ربيع الآخر سنة ٣٦ ، ليكون على مقربة من الشام . وكان ابنه الحسن يود لو بقى والده بالمدينة فيتخذها دار خلافته كإخوانه الثلاثة قبله فلا يرحها ( الطبرى ٥ / ١٧١ وانظر ٥ / ١٦٣ ) . وقد سلك على من المدينة إلى العراق طريق الريزة وفيد والثعلبية والأساود وذى قار . ومن الريزة أرسل إلى الكوفة محمد بن أبى بكر ومحمد بن جعفر فرجعا إليه وهو فى ذى قار بأن أبا موسى وأهل الحجا من الكوفيين يرون القعود ، فأرسل الأشتر وابن عباس ، ثم أرسل ابنه الحسن وعماراً لاستمالة القوم إليه . وبينما هو فى الطريق أنشب عثمان بن حنيف وحكيم ابن جبلة القتال مع أصحاب الجمل . وفى الأساود جاءه خبر مصرع حكيم بن جبلة وقتله عثمان . ثم جاء عثمان بن حنيف إلى على وهو فى الثعلبية متتوف للحمية ومغلوباً على أمره . وفى ذى قار أقام على معسكره ، ثم قام بمن معه إلى البصرة وفيها أصحاب الجمل [خ] .

(٢٤٣) بعد وصول على إلى ذى قار وقيام القعقاع بن عمرو بمساعى التفاهم تقدم على بمن معه إلى البصرة فأسرع قتلة عثمان إلى إحباط مساعى الإصلاح بإنشأ القتال .

(٢٤٤) كان الفريقان يطلبان التفاهم وجمع الكلمة ، أما الباغي فهم قتلة عثمان ، وقد قتلهم الله جميعاً إلا واحداً منهم ، وسيأتى بيانه . [ خ ] .

(٢٤٥) إن هذا الخبر غير صحيح ، وقد ذكر الإمام ابن كثير فى البداية والنهاية (٢١٣/٦) ما يماثله وهو ضعيف : [ م ] .

من قتله « (٢٤٦) .

ونادى على طلحة من بعد :: ما تطلب ؟ قال : دم عثمان . قال : قاتل الله أولانا بدم عثمان . ألم تسمع النبي ﷺ يقول : « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » (٢٤٧) وأنت أول من بايعني ونكث (٢٤٨) .

\*\*\*

= روى البيهقي - وقد أسنده - عن أبي وجرة المازني قال : سمعت علياً والزبير - وعلى ، يقول له : ناشدتك الله يا زبير ! أما سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنك تقاتلني ، وأنت ظالم » قال : بلى ولكني نسيت (١) قال البيهقي وهذا غريب . [م]

(٢٤٦) الذي قتل الزبير عمير بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع التميمي . والأحنف أبقى لله من أن يأمرهم بقتله ، بل سمعوه يتذمر من قتال المسلمين بعضهم مع بعض فلاحقوا بالزبير فقتلوه [الطبري ١٩٨/٥] . [خ] .

(٢٤٧) كان طلحة أصدق إيماناً وأسمى أخلاقاً من أن يبايع وينكث . وإنما كما يريد جمع الكلمة للنظر في أمر قتلة عثمان ، واستجاب على لهذه الدعوة كما سيأتي في البحوث التالية ، ولكن الذين جنوا على الإسلام أول مرة بالبغي على عثمان كانوا أعداء لله مرة أخرى بإنشأ القتال بين هذين الفريقين من المسلمين [خ] .

(٢٤٨) الحديث صحيح كما سنرى في غير هذا الموضع ولكن ليس فيه : « اللهم انصر من نصره واخذل من خذله » [م] .

(١) ضعيف : رواه البيهقي في ( دلائل النبوة ) والعقيلي في ( الضعفاء ) ( ٣ / ٣٥ ) وابن الجوزي في ( العلل المتناهية ) ( ٢ / ٣٦٥ ) وابن عباكر كما في كنز العمال ( ٣١١٨٨ ) ( غ ) .  
قلت : رواه أحمد ( ٢١٩ / ١ ) ، ٤ / ٢٨١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣ ، ٥ / ٣٧٠ ، وابن ماجه ( ١١٦ ) وأبو نعيم في تاريخ أصفهان ( ٢ / ٣٥٩ ) وانظر مجمع الزوائد ( ٩ / ١٠٧ ) ، وميزان الاعتدال ( ٧٦٧١ ) ( ع ) .



## عاصمة

أما خروجهم إلى البصرة فصحيح لا إشكال فيه .

ولكن لأى شىء خرجوا ؟ لم يصح فيه نقل ، ولا يوثق فيه بأحد ، لأن الثقة لم ينقله ، وكلام المتعصب [ غير مقبول ] . وقد دخل مع المتعصب من يريد الطعن فى الإسلام واستنفاص الصحابة :

فيحتمل أنهم خرجوا خلعةً لعلّى لأمر ظهر لهم (٢٤٩) ، وهو أنهم بايعوا لتسكين الثائرة ، وقاموا يطلبون الحق .

ويحتمل أنهم خرجوا ليتمكنوا من قتلة عثمان (٢٥٠) .

ويمكن أنهم خرجوا [ لينظروا ] فى جمع طوائف المسلمين ، وضم [ تشردهم ] ، وردهم إلى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتلوا . وهذا هو الصحيح ، لا شىء سواه . بذلك وردت صحاح الأخبار .

فأما الأقسام الأول فكلها باطلة وضعيفة :

أما بيعتهم كرها فباطل [ وقد بيناها ] .

وأما خلعهم فباطل ، لأن الخلع لا يكون إلا بنظر من الجميع ، فيمكن أن يولى

(٢٤٩) وهذا الاحتمال بعيد عن هؤلاء الأفاضل الصالحين ، ولم يقع منهم ما يدل عليه ، بل الحوادث كلها دلت على نزاهتهم عنه . وإلى هذا ذهب الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (١٣/٤١ ، ٤٢) فنقل عن كتاب ( أخبار البصرة ) لعمر بن شبة قول المهلب : « إن أحداً لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا علياً فى الخلافة ولا دعوا إلى أحد منهم ليولوه الخلافة » [ خ ] .

(٢٥٠) وهذا ما كانوا يذكرونه إلا أنهم يريدون أن يتفقوا مع عليّ على الطريقة التى يتوصلون بها إلى ذلك . وهذا ما كان يسعى به الصحابى المجاهد القعقاع بن عمرو ، وقبله الطرفان كما سيأتى [ خ ] .

واحد أو اثنان ، ولا يكون الخلع إلا بعد الإثبات والبيان .

وأما خروجهم في أمر قتلة عثمان فيضعف ، لأن الأصل قبله تأليف الكلمة ، ويمكن أن يجتمع الأمران (٢٥٣) .

ويروى أن تغيبهم (٢٥٤) قطعاً للشغب بين الناس . فخرج طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهن رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم فيرعوا حرمة نبيهم . واحتجوا عليها (٢٥٥) بقول الله تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [النساء : ١١٤] ، وقد خرج النبي ﷺ في الصلح وأرسل فيه .

(٢٥٣) واجتماع الأمرين هو الذي كاد يقع ، لولا أن السبائين أحبطوه . فأصحاب الجمل جاؤوا في أمر قتلة عثمان ، ولم يجيئوا إلا لذلك . إلا أنهم أرادوا أن يتفاهموا عليه مع على ، لأن التفاهم معه أول الوسائل للوصول إلى ما جاؤوا له [خ] .

(٢٥٤) أى تغيب طلحة والزبير وعائشة عن المدينة [خ] .

(٢٥٥) لما أقتعوا بالخروج إلى البصرة [خ] .

(٢٥٦) عثمان بن حنيف أنصاري من الأوس ، كان عند هجرة النبي ﷺ إلى المدينة أحد الشبان الأوسيين الخمسة عشر الذين انضموا إلى عبد عمرو بن صفى عند خروجه إلى مكة مغاضباً للنبي ﷺ ، وكان عبد عمرو يسمى في الجاهلية الراهب فسماه النبي ﷺ الفاسق ( الطبرى ١٦/٣ ) . والظاهر أن عثمان بن حنيف عاد من مكة وأسلم قبل وقعة أحد لأنها أول مشاهدته ( الإصابة ٤٥٩/٢ ) . وتزعم الشيعة أنه شاغب على خليفة رسول الله ﷺ أبى بكر الصديق في أول خلافته ( تنقيح المقال للمامقانى ١٩٨/١ ) وأعتقد أن هذا من كذبهم عليه ، وقد تولى لعمر مساحة أرض العراق وضرب الجزية والخراج على أهلها ، فلو صح ما زعموه من شغبه على أبى بكر لتنافى هذا مع استعمال عمر له ، إلا أن يكون تاب . ولما بويع لعلى آخر سنة ٣٥ واختار ولاته في بداية سنة ٣٦ ولى عثمان بن حنيف على البصرة ( الطبرى ١٦١/٥ ) . ولما وصل أصحاب الجمل إلى الحفير على أربعة أميال من البصرة أرسل إليهم عثمان بن حنيف عمران بن حصين الخزاعى صاحب راية النبي ﷺ على خزاعة يوم الفتح ليعلم له علمهم ، فلما عاد إليه وذكر له حديثه مع أصحاب الجمل قال له =

فرجت المثوبة ، واغتنمت [ الفرصة ] ، وخرجت حتي بلغت الأفضية مقاديرها .

وأحس بهم أهل البصرة ، فحرض من كان بها من المتألبين على عثمان الناس ، وقالوا : اخرجوا إليهم حتى تروا ما جاؤوا إليه ، فبعث عثمان بن حنيف حكيم بن جبلة (٢٥٦) ، فلقى طلحة والزبير بالزابوقة ، فقتل حكيم (٢٥٧) ، ولو خرج مسلماً مستسلماً لا مدافعاً (٢٥٨) لما أصابه شيء . وأى خير كان له فى المدافعة ، وعن أى شيء كان يدافع ؟ وهم ما جاؤوا مقاتلين ولا ولاة ، وإنما ساعين فى الصلح ، راغبين فى تأليف الكلمة ، فمن خرج إليهم ودافعهم وقتلهم دافعوا عن مقصدهم ، كما يفعل فى سائر الأسفار والمقاصد .

فلما وصلوا إلى البصرة تلقاهم الناس بأعلى المربد مجتمعين (٢٥٩) ، حتى لو

---

= عثمان بن حنيف : أشر علىَّ يا عمران . فقال له : إني قاعد ، فاقعد . فقال عثمان : بل أمنعهم حتى يأتى أمير المؤمنين على . وأشار عليه هشام بن عامر الأنصارى - أحد الصحابة المجاهدين الفاتحين - بأن يسألهم حتى يأتى أمر على ، فأبى عثمان بن حنيف ونادى فى الناس ، فلبسوا السلاح ، وأقبل عثمان على الكيد (الطبرى ١٧٤/٥ - ١٧٥) ، وكانت العاقبة فشله وخروج الأمر من يده إلى أيدي أصحاب الجمل . ووقع ابن حنيف فى أسر الجماهير فتفت لحيته ، ثم أنقذه أصحاب الجمل منهم فانسحب إلى معسكر على فى الثعلبية ثم فى ذى قار . هذا هو عثمان بن حنيف وموقفه من أصحاب الجمل . أما حكيم بن جبلة فالفقارئ يعلم أنه من قتلة أمير المؤمنين عثمان ، وقد تقدم التعريف به . [ خ ] .

(٢٥٧) الزابوقة : موضع قريب من البصرة كانت فيه وقعة الجمل فى دورها الأول بعد أن خطب طلحة والزبير وعائشة فى المربد . أما مصرع حكيم بن جبلة فكان بعد المعارك الأولى التى انتهت بغلبة أصحاب الجمل واستيلائهم على الحكم فى البصرة ، فتمرد حكيم بن جبلة على هذه الحالة الجديدة وقاتل مع ثلاثمائة من أعوانه حتى قتل . (خ) . (٢٥٨) أى مقاتلا [ خ ] .

(٢٥٩) مربد البصرة : موضع كانت تقام فيه سوق الإبل خارج البلد ، ثم صارت تكون فيه مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء . ثم اتسع عمران البصرة فدخل المربد فى العمران =

رمى حجر ما وقع إلا على رأس إنسان . فتكلم طلحة وتكلمت عائشة رضي الله عنهما .

وكثر اللغط (٢٦٠) ، وطلحة يقول « أنصتوا فجعلوا يركبونه ولا [ ينصتون ] ، فقال : « أف ، أف فراش نار ، وذباب طمع » وانقلبوا على غير بيان (٢٦١) .

وانحدروا إلى بنى نهد ، فرماهم الناس بالحجارة حتى نزلوا الجبل (٢٦٢) والتقى

= فكان من أجل شوارعها ، وسوقه من أجل أسواقها ، وصار محللة عظيمة سكنها الناس . ولما انحطت منزلة البصرة وهرم عمرانها تضاءلت ، فأمسى المريد بائناً عنها حتى كان بينه وبين البصرة في زمن ياقوت ثلاثة أميال ، والمريد خراب كالبلدة المفردة في وسط البرية . وكان موضع البصرة يومئذ قريباً من موضع ضاحيتها الزبير في أيامنا هذه .

(٢٦٠) لأن الذين في الميسرة كانوا يقولون تعليقاً على خطبتي طلحة والزبير : فجرا ، وغدرا ، وقالوا الباطل ، وأمرأ به . قد بايعا ثم جاءا يقولان ما يقولان والذين كانوا في الميمنة يقولون : صدقا ، وبرأ ، وقالوا الحق ، وأمرأ بالحق . وتحاثي الناس وتحاصبوا وأرهبوا . إلا أنه لما انتهت عائشة من خطبتها ثبت الذين مع أصحاب الجمل على موالاتهم لهم ، وافترق أصحاب عثمان بن حنيف فرقتين فقالت فرقة : صدقت الله وبرت وجاءت بالمعروف ، وقال الآخرون : كذبت ما نعرف ما تقولون . فتحاثوا وتحاصبوا وأرهبوا . [خ] .

(٢٦١) لما رأت عائشة ما يفعل أنصار عثمان بن حنيف انحدرت وانحدر أهل الميمنة مفارقين لابن حنيف حتى وقفوا في موضع آخر ومال بعض الذين كانوا مع ابن حنيف إلى عائشة وبقي بعضهم مع عثمان بن حنيف ( الطبرى ١٧٥/٥ ) .

(٢٦٢) حفظ لنا الطبرى (١٧٦/٥ ، ١٧٧) وصفاً دقيقاً نقله سيف بن عمر التميمي عن شيخه محمد بن عبد الله بن سواد بن نويرة وطلحة بن الأعلم الحنفى عن موقف أصحاب الجمل السلمى فى هذه الواقعة ، وإسراف حكيم بن جبلة فى إنشابه القتال . قال : وأمرت عائشة أصحابها قيامتوا حتى انتهوا إلى مقبرة بنى مازن ثم حجز الليل بين الفريقين . وفى اليوم التالى انتقل أصحاب الجمل إلى جهة دار الرزق ، وأصبح عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة فجددوا القتال ، وكان حكيم يطيل لسانه بسبب أم =

طلحة والزبير وعثمان بن حنيف - عامل على<sup>١</sup> ، على البصرة - وكتبوا بينهم أن يكفوا عن القتال ، ولعثمان دار الإمارة والمسجد ويست المال ، وأن ينزل طلحة والزبير من البصرة حيث شاءا ، ولا يعرض بعضهم لبعض حتى يقدم على (٢٦٣) .

وروى أن حكيم بن جبلة عارضهم حينئذ ، فقل بعد الصلح .  
وقدم على<sup>٢</sup> البصرة (٢٦٥) ، وتدانوا ليتراؤوا (٢٦٦) ، فلم يتركهم أصحاب الأهواء ،

= المؤمنين ويقتل من يلومه على ذلك من نساء ورجال ، ومنادى عائشة يدعو الناس إلى الكف عن القتال فيأبون ، حتى إذا مسهم الشر وعضهم نادوا أصحاب عائشة إلى الصلح . [ خ ] .

(٢٦٣) ونص كتاب الصلح في تاريخ الطبرى (١٧٧/٥) . ولما بلغ عليا ما وقع كتب إلى عثمان بن حنيف يصفه بالعجز . وجمع طلحة والزبير الناس وقصدوا المسجد وانتظروا عثمان بن حنيف فأبطأ ولم يحضر ووقعت فتنة في المسجد من رعاى البصرة أتباع حكيم بن جبلة ، وكان لها رد فعل من أناس ذهبوا إلى عثمان بن حنيف ليحضره فقوطاه الناس ونتفوا شعر وجهه ، أمرهم بذلك مجاشع بن مسعود السلمى زعيم هوازن وبنى سليم والأعجاز من قبائل البصرة [ الطبرى ١٧٨/٥ ] . [ خ ] .  
(٢٦٥) فنزل مكانا منها يسمى الزاوية .. وكان أصحاب الجمل نازلين مكانا منها يسمى الفرضة . [ خ ] .

(٢٦٦) عند موضع قصر عبيد الله بن زياد ، وكان ذلك يوم الخميس فى النصف من جمادى الآخرة سنة ٣٦ ( الطبرى : ١٩٩/٥ ) . وكان الصحابى الجليل القعقاع بن عمرو التميمى قد قام بين الفريقين بالوساطة الحكيمة المعقولة ، فاستجاب له أصحاب الجمل ، وأذعن على<sup>٣</sup> لذلك ، وبعث على<sup>٤</sup> إلى طلحة والزبير يقول : « إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى تنزل فتنظر فى هذا الأمر » ، فأرسلا إليه : « إنا على<sup>٥</sup> ما فارقتنا عليه القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس » . قال الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٢٣٩/٧) : فاطمأت النفوس وسكنت واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين . فلما أمسوا بعث على<sup>٦</sup> عبد الله بن عباس إليهم ، وبعثوا محمد بن طلحة السجاد إلى على ، وعولوا جميعاً على الصلح ، وباتوا ليلة ١١

وبادروا بإزالة الدماء . واشتجر [ بينهم ] الحرب ، وكثرت الغوغاء على البوغاء . كل ذلك حتى لا يقع برهان ، ولا [ تقف ] الحال على بيان ، ويخفى قتلة عثمان . وإن واحداً في الجيش يفسد تدبيره ، فكيف بألف !

وقد روى أن مروان لما وقعت عينه في الاصطفاف على طلحة قال لا [ أطلب ] أثراً بعد عين، ورماء بسهم فقتله (٢٦٧) ومن يعلم هذا إلا علام الغيوب، ولم ينقله ثبت؟ وقد روى ( أنه ) أصابه سهم بأمر مروان ، لا أنه رماه .

وقد خرج كعب بن سور بمصحف منشور بيده يناشد الناس أن [ لا ] يريقوا دماءهم (٢٦٩)، فأصابه سهم غرب فقتله (٢٧٠) ، ولعل طلحة مثله ومعلوم أنه عند

لم يبيتوا بمثلها للعافية . وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط ، قد أشرفوا على الهلكة . وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها ، حتى اجتمعوا على نشاب الحرب في السر ، واستسروا بذلك خشية أن يفطن بما حاولوا من الشر . فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم جيرانهم ، انسلاوا إلى ذلك الأمر انسلاوا ( وانظر مع ذلك الموضع من تاريخ ابن كثير تاريخ الطبرى ٢٠٢/٥ ، ٢٠٣ ، ومنهاج السنة ١٨٥/٢ و ٢٢٥/٣ ، ٢٤١ ) وهكذا أنشبو الحرب بين عليٍّ وأخويه الزبير وطلحة ، فظن أصحاب الجمل أن علياً غدر بهم ، وظن علي أن إخوانه غدروا به ، وكل منهم أتقى لله من أن يفعل ذلك في الجاهلية فكيف بعد أن بلغوا أعلى المنازل من أخلاق القرآن . [ خ ] .

(٢٦٧) آفة الأخبار رواتها . وفي العلوم الإسلامية علاج آفة الكذب الخبيثة ، فإن كل راوى خبر يطالبه الإسلام بأن يعين مصدره على قاعدة « من أين لك هذا ؟ » . ولا تعرف أمة مثل هذه الدقة في المطالبة بمصادر الأخبار كما عرفة المسلمون ، ولا سيما أهل السنة منهم . وهذا الخبر عن طلحة ومروان « أقيط » لا يعرف أبوه ولا صاحبه . وما دام لم ينقله ثبت بسند معروف عن رجال ثقات فإن للمقاضى ابن العربى أن يقول بملء فيه : ومن يعلم هذا إلا علام الغيوب !

(٢٦٩) كعب بن سور الأزدي أول قضاة المسلمين على البصرة ولاء أمير المؤمنين عمر . قال الخافظ ابن عبد البر : كان مسلماً في زمن النبي ﷺ لكنه لم يره . (٢٧٠) قال الخافظ ابن عساكر (٨٥/٧) في ترجمة طلحة : وقالت عائشة لكعب بن سور =

الفتنة وفي ملحمة القتال يتمكن أولو الإحن والحقود ، من حل العرى ونقض العهود . وكانت آجالاً حضرت ، ومواعيد انتجرت (٢٧١) .

فإن قيل : لم خرجت عائشة رضي الله عنها وقد قال عليه السلام لهن في حجة الوداع « هذه ثم

= الأزدى : « خل يا كعب عن البعير ، وتقدم بكتاب الله فادعهم إليه » ودفعت إليه مصحفًا ، وأقبل القوم وأمامهم السبئية يخافون أن يجرى الصلح ، فاستقبلهم كعب بالمصحف ، وعلى من خلفهم يزعمهم ويأبون إلا إقدامًا ، فلما دعاهم كعب رشتوه رشقًا واحدًا فقتلوه ، ثم راموا أم المؤمنين فكان أول شيء أحدثته حين أبوا أن قالت : « أيها الناس ، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم ، وأقبلت تدعو ، وضج أهل البصرة بالدعاء . وسمع على الدعاء فقال : ما هذه الضجة ؟ فقالوا : عائشة تدعو ويدعو الناس معها على قتلة عثمان وأشياعهم . فأقبل على يدعو وهو يقول : « اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم » . قلت : وهكذا اشتراك صالحو الفريقين في لعن قتلة أمير المؤمنين الشهيد المظلوم في الساعة التي كان فيها قتلة عثمان ينشبون القتال بين صالحى المسلمين .

(٢٧١) نقل الحافظ ابن عساكر (٨٦/٧ ، ٨٧) قول الشعبي : رأى على بن أبى طالب طلحة ملقى في بعض الأودية ، فنزل فمسح التراب عن وجهه ثم قال : « عزيز على أبا محمد أن أراك مجدلاً في الأودية وتحت نجوم السماء . إلى الله أشكو عجزى وبجى » قال الأصمعى : أى سرائرى وأحزاني التي تجول في جوفى . وقال : « ليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة » . وقال أبو حبيبة مولى طلحة : دخلت أنا وعمران بن طلحة على علي بعد الجمل فرحب بعمران وأذناه وقال : « إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال فيهم ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ » ، وكان الحارث الأعور (\*) جالسًا في ناحية فقال : « الله أعدل من أن نقتلهم ويكونوا إخواننا في الجنة ، فقال له على : « قم إلى أبعد أرض الله =

(\*) الحارث بن عبد الله الهمداني الحنثلي أبو زهير الكوفي الأعور أحد كبار الشيعة . قال عنه الشعبي وابن الدينى : كذاب . قلت وإنما كان يدفعه إلى الكذب تحزبه وتشيعه ، فالخزبية والتشيع والتعصب المذهبي من مدراج الباطل ، والإسلام دين الاعتدال والإنصاف والصدق وإن تقول الحق ولو على نفسك . [ م ] .

ظهور الحصر (٢٧٢) . قلنا : حدث حديثين امرأة ، فإن أبت فأربعة . يا عقول النسوان ألم أعهد إليكم ألا ترووا أحاديث البهتان ، وقدمنا لكم على صحة خروج عائشة البرهان (٢٧٣) ، فلم تقولون ما لا تعلمون ؟ وتكررون ما وقع الانفصال عنه

= وأسحقها ، فمن هو ذا إن لم أكن أنا وطلحة في الجنة ؟ وذكر محمد بن عبد الله . أن علياً تناول دواة فحذف بها الأعور يريده بها فأخطأه . وقال له ابن الكواء (\*\*) «الله أعدل من ذلك » ، فقام إليه على بدرة فضربه وقال له : « أنت - لا أم لك - وأصحابك تنكرون هذا ؟ ! » .

(٢٧٢) في مسند أحمد (٢/٤٤٦ الطبعة الأولى ) من حديث صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ لما حج بنسائه قال : « إنما هي هذه الحجة ثم الزمن ظهور الحصر » وفيه (٥/٢١٨ الطبعة الأولى ) من حديث واقد بن أبي واقد الليثي عن أبيه أنه ﷺ قال لنسائه في حجته : « هذه ثم ظهور الحصر » . وحديث أبي واقد في باب فرض الحج من كتاب المناسك بسنن أبي داود ( ك ١١ ب ١ ) . والحصر جمع حصير ، أى لزوم المنزل . ونقله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥/٢١٥) على أنه إشارة نبوية إلى أنه ﷺ ينعي لهن نفسه وأن هذه آخر حجة له ﷺ ، وليس فيه أمر منه بأن لا يزاولن الحصر إلى حج أو مصلحة أو إصلاح بين الناس . فاستشهاد أعداء الصحابة بهذا الحديث على المنع مطلقاً عده القاضى ابن العربى من البهتان لأنه استشهاد به لغير ما أراده النبى ﷺ . [ خ ] .

(٢٧٣) روى الإمام ابن حزم فى بحث « وجوه الفضل والمفاضلة » من كتاب الإمام والمفاضلة المدرج فى الجزء الرابع من ( الفصل ) ص ١٣٤ عن شيخه أحمد بن محمد الخوزى عن أحمد بن الفضل الدينورى عن محمد بن جرير الطبرى أن على بن أبى طالب بعث عمار بن ياسر والحسن بن على إلى الكوفة إذ خرجت أم المؤمنين إلى البصرة ، فلما أتياها اجتمع إليهما الناس فى المسجد ، فخطبهم عمار ، وذكر لهم خروج عائشة أم المؤمنين إلى البصرة ثم قال لهم : « إني أقول لكم ، والله إني لأعلم أنها=

(\*\*) ابن الكواء : عبد الله بن أبى أوفى البشكرى أحد القائمين بالفتنة على عثمان . وبعد صفين والتحكيم كان على رأس « الخوارج على على » فلما حاجهم على وابن عباس رجع إلى على قبل وقعة النهروان . وهذا التعليقان السابقان للخطيب [م] .



كأنكم لا تفهمون ؟ » إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون .

وأما الذى ذكرتم من الشهادة على ماء الحوآب ، فقد يؤتم فى ذكرها بأعظم حوب (٢٧٤) ما كان قط شىء مما ذكرتم ، ولا قال (٢٧٥) النبى ﷺ ذلك الحديث ،

= زوجة رسول الله ﷺ فى الجنة كما هى زوجته فى الدنيا ، ولكن الله ابتلاكم بها لتطيعوها أو لتطيعوه « فقال له مسروق أو أبو الأسود : « يا أبا اليقظان ، فنحن مع من شهدت له بالجنة دون من لم تشهد له » فسكت عمار . ( خ ) .

(٢٧٤) الحوب : الإثم . [ خ ] .

(٢٧٥) بل هو حديث صحيح أخرجه أحمد ٥٢/٦ ، ٩٧ وغيره من حديث إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم عن عائشة وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات وقد صححه ابن حبان (١٨٣١) والحاكم والحافظ والذهبي وابن كثير .

وبمناسبة الكلام على حديث الحوآب ، لابد لنا من التصريح بأن خروج عائشة رضي الله عنها كان اجتهاداً منها لتحقيق غاية طلحة والزبير ، والتعاون مع على رضي الله عنه من أجل إطفاء الفتنة والقضاء على المنافقين والمفسدين من قتلة عثمان رضي الله عنه جميعاً . وقد جاء فى كتاب التحفة الاثنى عشرية فى رد المطاعن فى حق أم المؤمنين وحبيبة حبيب رب العالمين عائشة الصديقة وزوج مفخرة العوالم على الحقيقة . منها إنها خرجت من المدينة إلى مكة ، ومنها إلى البصرة ، ومعها يزيد على ستة عشر ألف رجل من العسكر . وقد قال تعالى فى الأزواج المطهرات :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ فأمرهن بالسكون فى البيوت ونهاهن عن الخروج من بيوتهن .

والجواب : أن الأمر باستقراهن فى البيوت والنهى عن الخروج منها ليس بمطلق ، ولو كان مطلقاً لما أخرجهن رسول الله ﷺ بعد نزول الآية إلى الحج والعمرة والغزوات ، ولا رخص لهن بزيارة الوالدين وعيادة المريض وتعزية أقاربهن . واللازم باطل ، فكذا الملزوم . والمراد من هذا الأمر والنهى تأكيد التستر والحجاب بأن لا يدرن ولا يتسكنن فى الطرق كنساء العوام .

وما طعن به أعداء الله على أم المؤمنين رضي الله عنها وجد فى فاطمة رضي الله عنها لما ثبت =

ولا جرى ذلك الكلام ، ولا شهد أحد بشهادتهم ، وقد كتبت شهاداتكم بهذا الباطل

= فى كتبهم بطريق التواتر أن الأمير - عليا - قد أركب فاطمة على مطية وطاق بها فى محلات المدينة ومساكن الأنصار طالباً منهم الإعانة على ما غصب من حقها فى خلافة أبى بكر رضي الله عنه ( وبذلك بناء على رواية الخصوم ) .

ولما ظهر على رضي الله عنه جاء إلى أم المؤمنين رضي الله عنها فقال : « غفر الله لك » قالت : « ولك . ما أردت إلا الإصلاح » .

ثم أنزلها دار عبد الله بن خلف وهى أعظم دار فى البصرة على سنية بنت الحارث أم طلحة الطلحات ، وزارها وزحبت به وبايعته وجلس عندها .

فقال رجل : يا أمير المؤمنين إن بالباب رجلين ينالان من عائشة ، فأمر القعقاع ابن عمرو أن يجلد كل منهما مائة جلدة وأن يجردهما من ثيابهما ففعل ( الطبرى : ٥/٢٢٣ ) ولما أرادت الخروج من البصرة بعث إليها بكل ما ينبغى من مركب وزاد ومتاع وأرسل معها أربعين امرأة وسير معها أخاها محمداً .

ولما كان اليوم الذى ارتحلت فيه جاء على رضي الله عنه فوقف على الباب وخرجت من الدار فى اليهودج فودعت الناس ودعت لهم وقالت : « يا بنى لا يغتب بعضكم بعضاً . إنه والله ما كان بينى وبين على بن أبى طالب رضي الله عنه فى القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها . وإنه لمن الأخيار » فقال على رضي الله عنه :

« صدقت ، والله ما كان بينى وبينها إلا ذلك وإنها زوجة نبيكم ﷺ فى الدنيا والآخرة . وسار معها مودعاً أميالا سرَّح بيته معها بقية ذلك اليوم .

أما خروج عائشة رضي الله عنها فهو اجتهاد منها لتحقيق غاية طلحة والزبير ، والتعاون مع على من أجل إطفاء الفتنة والقضاء على المنافقين من قتلة عثمان رضي الله عنه جميعاً (التحفة ص ٢٦٨ - ٢٧٠ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ باختصار ) .

فأين هذه البراءة مما زعمه بعض المفتريين بأن خروج عائشة رضي الله عنها يوم الجمل كان انتقاماً من على رضي الله عنه من أنه حض الرسول ﷺ على طلاقها فى حادثة « الإفك » لما رأى من حزنه من كلام بعض الناس . وقد قال غير واحد إنها اجتهدت ، ولكنها أخطأت فى الاجتهاد ، ولا إثم على المجتهد المخطئ ، بل له أجر على اجتهداده ، وكونها رضي الله عنها من أهل الاجتهاد مما لا ريب فيه .

وسوف تسألون (٢٧٦) .

= قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

إن عائشة لم تقاتل ، ولم تخرج لقتال ، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين . وظنت أن في خروجها مصلحة للمسلمين ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى ، فكانت كلما ذكرت تبكى حتي تبل خمارها . وهكذا عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال ، فندم طلحة والزبير رضي الله عنهما أجمعين ، ولم يكن لهؤلاء قصد في القتال ، ولكن وقع القتال بغير اختيارهم ( المتقى ص ٢٢٣ ) [ م ] .

(٢٧٦) تقدم بيان موضع الخوَاب . وأن الكلام الذي نسبوه إلى النبي ﷺ وزعموا أن عائشة ذكرته عند وصولهم إلى ذلك الماء ليس له موضع في دواوين السنة المعتبرة (١) . وقد رأينا خبره عند الطبري ( ٥ / ١٧٠ ) فرأيناه يرويه عن إسماعيل بن موسى الفزارى (وهو رجل قال فيه ابن عدى : أنكروا منه الغلو في التشيع ) ، ويرويه هذا الشيعة عن علي بن عباس الأزرق ( قال عنه النسائي : ضعيف ) ، وهو يرويه عن أبي الخطاب الهجرى ( قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب : مجهول ) وهذا الهجرى المجهول يرويه عن صفوان بن قبصة الأحمسي ( قال عنه الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال : مجهول ) . هذا هو خبر الخوَاب . وقد بنى على أعرابي زعموا أنهم لقوه في طريق الصحراء ومعه جمل أعجبهم فأرادوا أن يكون هو جمل عائشة فاشتروه منه وسار الرجل معهم حتى وصلوا إلى الخوَاب فسمع هذا الكلام ورواه ، مع أنه هو نفسه - أى الأعرابي صاحب الجمل - مجهول الاسم ولا نعرف عنه إن كان من الكذابين أو الصادقين . ويظهر لى أنه ليس من الكذابين ولا من الصادقين ، لأنه من أصله رجل موهوم لم يخلق ، ولأن جمل عائشة واسمه « عسكر » جاء به يعلى ابن أمية من اليمن وركبته عائشة من مكة إلى العراق ، ولم تكن ماشية على رجليها حتى اشتروا لها جملا من هذا الأعرابي الذي زعموا أنهم قابلوه في الصحراء ، وركبوا على لسانه هذه الحكاية السخيفة ليقولوا أن طلحة والزبير - المشهود لهما =

(١) بل هو صحيح كما تقدم تخريجه في تعليقتنا وتعليق الشيخ الاستانبولى حفظه الله .

## قاصمة

ودارت الحرب بين أهل الشام وأهل العراق (٢٧٧) : هؤلاء يدعون إلى عليّ بالبيعة وتأليف الكلمة على الإمام ، وهؤلاء يدعون إلى التمكين من قتلة عثمان ويقولون : لا نبايع من يؤوى القتلة (٢٧٨) .

= بالجنة ممن لا ينطق عن الهوى - قد شهدا الزور . ولو كنا نستجيز نقل الأخبار الواهية لنقلنا في معارضة هذا الخبر خبراً آخر نقله ياقوت في معجم البلدان ( مادة حواب ) عن سيف بن عمر التميمي أن المنبوحة من كلاب الحواب هي أم زمل سلمى بنت مالك الفزارية التي قادت المرتدين ما بين ظفر والحواب فسبها المسلمون ووهبت لعائشة فأعتقتها ، فقيلت فيها هذه الكلمة . وهذا الخبر ضعيف والخبر الذي أوردوه عن عائشة أوهى منه . وما برح الكذب بضاعة يتجر بها الذين لا يخافون الله . ذكرنا فيما سبق أن خبر الحواب صحيح فليرجع إليه [ م ] .

(٢٧٧) في موضع يسمى ( صفين ) بقرب الرقة على شاطئ الفرات آخر تخوم العراق وأول أرض الشام . سار إليها عليّ بجيوشه في أواخر ذي القعدة سنة ٣٦ . [ خ ] .

(٢٧٨) لما انتهى عليّ من حرب الجمل وسار من البصرة إلى الكوفة فدخلها يوم الاثنين ١٢ من رجب ، أرسل جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية في دمشق يدعوه إلى طاعته . فجمع معاوية رؤوس الصحابة وقادة الجيوش وأعيان أهل الشام واستشارهم فيما يطلب عليّ ، فقالوا : لا نبايعه حتى يقتل قتلة عثمان ، أو يسلمهم إلينا . فرجع جرير إلى عليّ بذلك . فاستخلف عليّ على الكوفة أبا مسعود بن عامر ، وخرج منها فعسكر بالنخيلة أول طريق الشام من العراق ، وقد أشار عليه ناس بأن يبقى في الكوفة ويبعث غيره إلى الشام فأبى . وبلغ معاوية أن علياً تجهز وخرج بنفسه لقتاله فأشار عليه رجاله أن يخرج هو أيضاً بنفسه ، فخرج الشاميون نحو الفرات من ناحية صفين ، وتقدم عليّ بجيوشه إلى تلك الجهة . وكان جيش عليّ في مائة وعشرين ألفاً وجيش معاوية في تسعين ألفاً ، وبدأ القتال في ذي الحجة سنة ٣٦ بمناوشات ومبارزات ، ثم تهادنوا في المحرم سنة ٣٧ واستؤنف القتال بعده ، وقتل في هذه =

وعلىَّ يقول لا أمكن طالبا من مطلوب ينفذ فيه مراده بغير حكم ولا حاكم ،  
ومعاوية يقول : لا نبائع متهمًا [ بقتله ] أو قاتلا له ، هو أحد من نطلب فكيف  
نحكمه أو نباعه ، وهو خليفة عداء وتسور .

وذكروا في تفاصيل ذلك كلمات آلت إلى استفعال رسائل (٢٧٩) ، واستخراج  
أقوال ، وإنشاء أشعار ، وضرب أمثال تخرج عن سيرة السلف يقرأها الخلف وينبذها  
الخلف (٢٨٠) .

= الحرب سبعون ألفًا ، وكان الوقائع ٩٠ وقعة في ١١٠ أيام ، وامتازت هذه الحرب  
بنبل الشجاعة في القتال ، ونبل التعامل والاتصال عند التهادن والراحة . ثم كتب  
كتاب التحكيم يوم ١٣ صفر سنة ٣٧ على أن يعلن الحكمان حكمهما في رمضان  
بدومة الجندل بمكان منها يسمى أذرح . [ خ ] .

(٢٧٩) أى انتحالها زورًا ولا أصل لها . وأكثر ما تجدد ذلك فيما يرويه أخباريو الشيعة عن رواية  
مجهولين أو كذابين . وأخفهم وطأة أبو مخنف لوط بن يحيى ، قال الحافظ الذهبي :  
« أبو مخنف أخبارى تالف ، لا يوثق به ، تركه أبو حاتم وغيره » . وقال فيه ابن  
عدى : « شيعى فحترق صاحب أخبارهم » ثم جاء بعده آخرون منهم كانوا شرًا على  
تاريخ الإسلام من لوط هذا . . فأفسدوا على الأمة معرفتها بماضيها [ خ ] .

(٢٨٠) الخلف ( بفتح الخاء وسكون اللام ) : الطالع . وفى التنزيل « فخلف من بعدهم  
خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى » . والخلف ( بفتح الخاء واللام ) :  
الصالح . ومنه الحديث « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف  
الغاليين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين(\*) » ( خ ) .

## عاصمة

أما وجود الحرب بينهم فمعلوم قطعاً ، وأما كونه بهذا السبب فمعلوم كذلك قطعاً ، وأما الصواب فيه فمع على ، لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم ، وتهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه أن يخرج عليه ، بل يطلب ( الحق ) عنده ، فإن ظهر له قضاء وإلا سكت وصبر ، فكم من حق يحكم الله فيه . وإن لم يكن له دين فحينئذ يخرج عليه ، فيقوم له عذر في الدنيا ( ٢٨١ ) .

( ٢٨١ ) وجود قتلة عثمان في معسكر على حقيقة لا يمارى أحد فيها ، بل إن الأشتر وهو من رؤوس البغاة على عثمان كان أكبر مسعر للحرب بين أصحاب رسول الله ﷺ الذين في معسكر على والذين في معسكر معاوية . ولما طالب على معاوية ومن معه من الصحابة والتابعين أن يبايعوه احتكموا إليه في قتلة عثمان وطلبوا منه أن يقيم حد الله عليهم أو أن يسلمهم إليهم فيقيموا عليهم حد الله وقد اعتذرنا عن أمير المؤمنين على بأن قتلة عثمان لما صاروا مع على في العراق صاروا في معقل قوتهم وعنجهية قبائلهم ، فكان على يرى - بينه وبين نفسه - أن قتلهم يفتح عليه باباً لا يستطيع سده بعد ذلك . وقد انتبه لهذه الحقيقة الصحابي الجليل القعقاع بن عمرو التميمي وتحدث بها مع أم المؤمنين عائشة وصاحب رسول الله ﷺ طلحة والزبير فأذعنوا لها وعذروا على ووافقوا على التفاهم معه على ما يوصلهم إلى الخروج من هذه الفتنة ، فما لبث قتلة عثمان أن أنشبوا الحرب بين الفريقين . فالمطالبون بإقامة حد الله على قتلة عثمان معذورون لأنهم يطالبون بحق ، سواء كانوا من أصحاب الجمل ، أو من أهل الشام . وتقصير على في إقامة حد الله كان عن ضرورة قائمة ومعلومة ، ولكن إذا كانت حرب البصرة ناشئة عن إنشابة قتلة عثمان الحرب بين الفريقين الأولين ، فقد كان من مصلحة الإسلام أن لا تنشب حرب صفين بين الفريقين الآخرين . وكان سبط رسول الله ﷺ الحسن بن على كارهاً خروج أبيه من المدينة إلى العراق لما يخشاه من نشوب الحرب مع أهل الشام . ولو أن على لم يتحرك من الكوفة استعداداً لهذا القتال لما حرك معاوية فيه ساكتاً قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ( ٢ / ٢١٩ ) : =

ولئن اتهم عليٌّ بقتل عثمان فليس في المدينة أحد من أصحاب النبي ﷺ إلا وهو متهم به ، أو قل معلوم قطعاً أنه قتله ، لأن ألف رجل جاؤوا لقتل عثمان لا يغلبون أربعين ألفاً ( ٢٨٢ ) .

وهبك أن علياً وطلحة والزبير تضافوا على قتل عثمان ، فباقي الصحابة من المهاجرين والأنصار ومن اعتد فيهم وضوى إليهم ماذا صنعوا بالقيود عن نصرته ؟ فلا يخلو أن يكون لأنهم رأوا أولئك طلبوا حقاً وفعلوا حقاً ، فهذه شهادة قائمة على عثمان فلا كلام لأهل الشام . وإن كانوا قعدوا عنه استهزاء بالدين ، وأنهم لم يكن لهم [ رأس مال ] في الحال ، ولا مبالاة عندهم بالإسلام ولا فيما يجري فيه من اختلال ، فهي ردة ليست معصية ؛ لأن التهاون بحدود الدين وإسلام حرمت

= « لم يكن معاوية ممن يختار الحرب ابتداء » . ومع ذلك فإن هذه الحرب المثالية هي الحرب الإنسانية الأولى في التاريخ التي جرى فيها المتحاربان معاً على مبادئ الفضائل التي يتمنى حكماء الغرب لو يعمل بها في حروبهم ولو في القرن الحادي والعشرين وأن كثيراً من قواعد فقه الحرب في الإسلام لم تكن لتعلم وتدون لولا وقوع هذه الحرب ، ولله في كل أمر حكمة [ خ ] .

( ٢٨٢ ) ليس في أهل السنة رجل واحد يتهم علياً بقتل عثمان ، لا في زماننا ولا في زمانه . وقد مضى الكلام على ذلك في هذا الكتاب . وكل ما في الأمر وجود قتلة عثمان مع علي ، وموقف علي منهم ، وعذره بينه وبين الله في موقفه هذا . فنحن جميعاً على رأي القعقاع بن عمرو بأن موقف علي موقف ضرورة . غير أن الحمقى من أخباري الشيعة دسوا على عليٍّ أخباراً تشعر بغير ما كان في قلبه من المحبة والرضا والموالة والتأييد لعثمان أثناء محنته ، فأسأوا بذلك إلى علي من حيث يريدون الإساءة إلى عثمان . أما معاوية وفريقه فلم يذكروا علياً في أمر البغي على عثمان إلا لمناسبة انضواء قتلة عثمان إليه واستعانتهم بهم . فقتلة عثمان هم الذين أسأوا إلى الإسلام وإلى عثمان وإلى علي أيضاً ، فالله حسيهم . ولو أن كل المسلمين كانوا كعبد الرحمن بن خالد بن الوليد في - زمة - نبي أن تستفحل الفتنة ويفلت الزمام من أيدي العقلاء - لما وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه .

الشريعة للتضييع كفر ، وإن كانوا قعدوا لأنهم لم يروا أن يتعدوا حد عثمان وإشارته فأى ذنب لهم فيه ؟ وأى حجة لمروان - وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين وابن عمر وأعيان العشرة معه فى داره يدخلون إليه ويخرجون عنه فى الشكة والسلاح - [المطالبون] ينظرون ؟ ولو كان بهم قوة أو أووا إلى ركن شديد لما مكثوا أحداً أن يراه منهم ولا يداخله ، وإنما كانوا نظارة ، فلو قام فى وجوههم الحسن والحسين وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن الزبير ما جسروا ، ولو قتلوهم ما بقى على الأرض منهم حى . ولكن عثمان سلم نفسه ، فترك ورأيه . وهى مسألة اجتهد كما قدمنا .

وأى كلام كان يكون لعلى [ لو كتبت عنده البيعة ] (٢٨٤) وحضر عنده ولى عثمان وقال الخليفة ؟ ( له : يا أيها ) [ وما ] (٢٨٥) عملاً عليه ألف نسمة حتى قتلوه ، وهم معلومون . ماذا كان يقول إلا : أثبت ، وخذ . وفى يوم كان يثبت ، إلا أن يثبتوا هم أن عثمان كان مستحقاً للمقتل (٢٨٦) .

(٢٨٤) غير الشيخ محب هذه العبارة فكتب « لما تمت له البيعة » ولم يشر إلى ذلك وهو مخالف للنص فى جميع النسخ (ص ١٦٧) وهذا أدى إلى تغيير المعنى الذى قصد إليه المؤلف ( س ) .

(٢٨٥) غير الشيخ محب الدين النص هنا أيضاً هكذا [ وقال له : إن الخليفة قد عملاً عليه .. ] وهو مخالف لجميع النسخ المخطوطة ومؤد إلى تغيير فى المعنى [ س ] .

(٢٨٦) المؤلف معترف بأن الإثبات كان فى تناول اليد ، لأن الجريمة مشهودة ، والمجرمون أعلنوا فيها فجورهم فلم يتكتموا . ولكن كيف يكون التنفيذ ، ومن الذى يقوم به ومدينة الرسول مستكنة تحت وطأة الإرهاب ؟ ومن ذا الذى يضمن لعلى حياته إذا أصدر هذا الحكم ؟ أليس هؤلاء هم الذين تداولوا فى قتله لما عقدوا مؤتمراً فى ذى قار بعد خطبة على التى ألقاها على الغرائر قبيل مصيره إلى البصرة ( الطبرى : ١٦٥/٥ ) ؟ ألم يسخط الأشر على أمير المؤمنين على بعد وقعة الجمل لأنه ولى ابن عمه عبد الله بن عباس على البصرة ولم يولها الأشر ، ففارقه غاضباً ، ولحق به على قفلا فى ما يكون منه من الشر ( الطبرى ١٩٤/٥ ، والخوارج على على 'لم يثبتوا' =



وبالله لتعلمن يا معشر المسلمين أنه ما كان يثبت على عثمان ظلم أبداً ، وكان يكون الوقت أمكن للطلب ، وأرفق في الحال ، وأيسر وصولاً إلى المطلوب (٢٨٧) .

والذى يكشف الغطاء فى ذلك أن معاوية لما صار إليه الأمر لم يمكنه أن يقتل من قتلة عثمان أحداً ، إلا بحكم ، إلا من قتل فى حرب بتأويل ، أو دس عليه فيما [ قيل ] (٢٨٨) . حتى انتهى الأمر إلى ( زمان ) الحجاج ، وهم يقتلون بالتهمة لا بالحقيقة . فتبين لكم أنهم ما كانوا فى ملكهم يفعلون ما أضحوا له يطلبون .

والذى تثلج به صدوركم أن النبى ﷺ ذكر فى الفتن ، وأشار وبين .  
وأندر [ الخوارج ] (٢٩٠) وقال : « تقتلهم أدنى الطائفتين إلى

= من هذه النواة ؟ ولما قتل على ألم يقتل بمثل السلاح الذى قتل به عثمان ؟ [ خ ] .  
(٢٨٧) كان يكون الوقت أمكن للطالب لو وجدت فى المدينة القوة التى كان يتمناها عثمان .  
ويقال إن قوة من جند الشام كانت خرجت من دمشق قاصدة المدينة ، فلما جاء خبر شهادة أمير المؤمنين عثمان رجعت من الطريق ، فبقيت المدينة خاضعة لقتلة عثمان حتى بعد البيعة لعلي ، وهم أن نزلوا على أحكام هذه البيعة فيما لا ضرر منه عليهم ، لا ريب أنهم ينقلبون وحوشاً ضارية لو صدرت عليهم أحكام الله بإقامة الحدود فيما ارتكبوا من جرم شنيع [ خ ] .

(٢٨٨) أن سطوة الله وعدله الأعلى نزلاً بأكثر قتلة عثمان فلم يبق منهم فى ولاية معاوية إلا المشرد الخائف الباحث عن جحر يختبئ فيه . وبزاول سطوتهم وتقلص شرهم لم يبق بمعاوية حاجة إلى تتبعهم [ خ ] .

(٢٩٠) اسم الخوارج جاء من جماعة خرجوا على على بن أبى طالب وصحبه لأنه قيل بالتحكيم قائلين : إن حكم الله واضح لا يحتاج إلى هذا التحكيم وكان شعارهم « لا حكم إلا لله » ، ويسمون أيضاً بالحرورية نسبة إلى قرية فى الكوفة تسمى ( حروراء ) خرجوا إليها . وقد حاربهم أمير المؤمنين على عليه السلام فى الواقعة الشهيرة بوقعة « النهروان » وهزمهم وقتل منهم كثيراً ، ولكنه لم يستطع إبادتهم ، حتى دبوا له مكيدة قتله على يد عبد الرحمن بن ملجم عليه من الله ما يستحق .

وقد حارب الخوارج الدولة الأموية وأقلقوا راحتها فى حروب متواصلة بحجة =

الحق» (٢٩١) فيبين أن كل طائفة (منهما) تتعلق بالحق ، ولكن طائفة على أدنى إليه . (٢٩٢) وقال تعالى : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا

= أنها مغتصبة للخلافة بزعمهم ولكنها استطاعت أن تنهك قواهم ، غير أنها لم تستطع استئصالهم .

والخوارج يقولون بتكفير عثمان لما غيراً وبذل بزعمهم ، وبتكفير على لقبوله التحكيم وطعنوا في أصحاب الجمل وكل ذلك من جهلهم وضلالهم .

وكان من نظريتهم أن الخلافة تكون باختيار حر من المسلمين وقد خالفوا بذلك الشيعة القائلين بانحصار الخلافة في بيت النبي ﷺ . كان ذلك بخلاف أهل السنة القائلين بأن الخلاف من قریش إذا وجدوا وتحققت فيهم الجدارة . وهو الحق .

والخوارج على الرغم من ضلالهم وانحرافهم ، لم يعرفوا بالكذب كالرافضة الذين ينكرون الأحاديث الصحيحة ويضعون الأحاديث المكذوبة على لسان رسول الله ﷺ ويؤولون آيات القرآن الكريم حسب أهوائهم ! .. [ م ] .

(٢٩١) في صحيح مسلم (ك ١٢ ح ١٥٠ ج ٣ ص ١١٣) من حديث أبي سعيد الخدري : «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق» [ خ ] .

(٢٩٢) أهل السنة المحمدية يدينون لله على أن علياً ومعوية ومن معهما من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا جميعاً من أهل الحق ، وكانوا مخلصين في ذلك . والذي اختلفوا فيه إنما اختلفوا عن اجتهاد ، كما يختلف المجتهدون في كل ما يختلفون فيه . وهم لإخلاصهم في اجتهادهم مثابون عليه في حالات الإصابة والخطأ ، وثواب المصيب أضعاف ثواب المخطئ ، وليس بعد رسول الله ﷺ بشر معصوم عن أن يخطئ ، وقد يخطئ بعضهم في أمور ويصيب في أخرى ، وكذلك الآخرون . ومن مرق عن الحق في إثارة الفتنة الأولى على عثمان لا يعد من إحدى الطائفتين اللتين على الحق وإن قاتل معها والتحق بها ؛ لأن الذين تلوئت أيديهم ونياتهم وقلوبهم بالبغي الظالم على أمير المؤمنين عثمان - كائناً من كانوا - استحقوا إقامة الحد الشرعى عليهم سواء استطاع ولى الأمر أن يقيم عليهم هذا الحد أو لم يستطع . وفي حالة عدم استطاعته فإن مواصلتهم تسعير القتال بين صالحى المسلمين كلما أحسوا منهم بالعزم على =

عَلَى الْآخَرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ [الحجرات] فلم يخرجهم عن « الإيمان » بالبغي بالتأويل ، ولا سلبهم اسم « الاخوة » بقوله بعده ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٠]

وقال ﷺ في عمار : « تقتله الفئة الباغية » (٢٩٣) .

وقال في الحسين : « ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من

= الإصلاح والتآخي - كما فعلوا في وقعة الجمل وبعدها - يعد إصراراً منهم على الاستمرار في الإجرام ما داموا على ذلك . فإن قلنا: إن الطائفتين كانتا من أهل الحق فإنما نريد أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا من الطائفتين ومن سار معهم على سبيله ﷺ من التابعين ، ونرى أن علياً المبشر بالجنة أعلى مقاماً عند الله من معاوية خال المؤمنين وصاحب رسول رب العالمين ، وكلاهما من أهل الخير . وإذا اندس فيهم طوائف من أهل الشر فإن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . نقل الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٢٧٧/٧) عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الشعبي قاضي إفريقية المتوفي سنة ١٥٦ وكان رجلاً صالحاً من الأمرين المعروف - وذكر أهل صفين - فقال : « كانوا عرباً يعرف بعضهم بعضاً في الجاهلية ، فالتقوا في الإسلام معهم على الحمية وسنة الإسلام ، فتصابروا ، واستحيوا من الفرار ، وكانوا إذا تحاجزوا دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء وهؤلاء في عسكر هؤلاء ، فيستخرجون قتلاهم فيدفنونهم » . قال الشعبي : « هم أهل الجنة ، لقي بعضهم بعضاً فلم يفر أحد من أحد » [خ] .

(٢٩٣) قال النبي ﷺ ذلك لما كانوا يبنون المسجد (١) ، فكان الناس ينقلون لبنه لبنه وعمار ينقل لبنتين لبنتين ، فقال النبي ﷺ فيه هذه الكلمة على ما رواه أبو سعيد الخدري لعكرمة مولى ابن عباس ولعلي بن عبد الله بن عباس . وهو في كتاب الجهاد والسير من صحيح البخاري (ك ٥٦ ب ١٧ ج ٣ ص ٢٠٧) . وقد كان معاوية يعرف من =

المسلمين » ، فحسن له خلعه نفسه وإصلاحه

وكذلك يروى أنه أذن في الرؤيا لعثمان في أن يستسلم ويفطر عنده الليلة .

فهذه كلها أمور جرت على رسم النزاع ، ولم يخرج عن طريق من طرق الفقه ،

[ ولا تعدت ] سبيل الاجتهاد الذي يؤجر فيه المصيب عشرة والمخطئ أجراً واحداً .

= نفسه أنه لم يكن منه البغى في حرب صفين ، لأنه لم يردّها ، ولم يتدنّها ، ولم يأت لها إلا بعد أن خرج على من الكوفة وضرب معسكره في النخيلة ليسير إلى الشام كما تقدم ، ولذلك لما قتل عمار قال معاوية : « إنما قتله من أخرجه » . وفي اعتقادي الشخصي أن كل من قتل من المسلمين بأيدي المسلمين منذ قتل عثمان فإنما إثمه على قتلة عثمان لأنهم فتحوا باب الفتنة ، ولأنهم واصلوا تسعير نارها ، ولأنهم الذين أوغروا صدور المسلمين بعضهم على بعض ، فكما كانوا قتلة عثمان فإنهم كانوا القاتلين لكل من قتل بعده ، ومنهم عمار ومن هم أفضل من عمار كطلحة والزبير ، إلى أن انتهت فتنتهم بقتلهم علياً نفسه وقد كانوا من جنده وفي الطائفة التي كان قائماً عليها . فالحديث من أعلام النبوة . والطائفتان المتقاتلتان في صفين كانتا طائفتين من المؤمنين . وعلى أفضل من معاوية . وعلى ومعاوية من صحابة رسول الله ومن دعائم دولة الإسلام . وكل ما وقع من الفتن فإثمه على مسعري نارها لأنهم السبب الأول فيها ، فهم الفئة الباغية التي قتل بسببها كل مقتول في وقعتي الجمل وصفين وما تفرع عنهما . [ خ ] .

سيأتى الكلام على هذا عند الكلام على الصلح بين الحسن ومعاوية . [ خ ] .  
نص الحديث : « إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب ، فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ ، فله أجر واحد » رواه البخاري ومسلم . [ م ] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ( ٢١٩/٢ - ٢٢٠ ) : « لم يكن معاوية ممن يختار الحرب ابتداء ، بل كان من أشد الناس حرصاً على أن لا يكون قتال ، =

وما وقع من روايات فى كتب التاريخ - عدا ما ذكرنا - فلا تلتفتوا إلى حرف منها، فإنها كلها باطلة .

= وكان غيره أحرص على القتال منه . وقتال صفين للناس فيه أقوال : فمنهم من يقول كلاهما كان مجتهداً مصيباً ، كما يقول ذلك كثير من أهل الكلام والفقهاء والحديث ممن يقول : كل مجتهد مصيب، ويقول : كانا مجتهدين . وهذا قول كثير من الأشعرية والكرامية والفقهاء وغيرهم ، وهو قول كثير من أصحاب أبى حنيفة والشافعى وأحمد وغيرهم . وتقول الكرامية كلاهما إمام مصيب ، ومنهم من يقول : بل المصيب أحدهما لا بعينه ، وهذا قول طائفة منهم . ومنهم من يقول : على هو المصيب وحده ومعاوية مجتهد مخطئ ، كما يقول ذلك طوائف من أهل الكلام والفقهاء أهل المذاهب الأربعة . وقد حكى هذه الأقوال الثلاثة أبو عبد الله حامد من أصحاب الإمام أحمد وغيره ومنهم من يقول كان الصواب أن لا يكون قتال وكان ترك القتال خيراً للطائفتين ، فليس فى الاقتتال صواب ، ولكن علياً كان أقرب إلى الحق من معاوية ، والقتال قتال فتنة : ليس بواجب ولا مستحب ، وكان ترك القتال خيراً للطائفتين مع أن علياً كان أولى بالحق ، وهذا قول أحمد وأكثر أهل الحديث وأكثر أئمة الفقهاء ، وهو قول أكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وهو قول عمران بن حصين رضي الله عنه وكان ينهى عن بيع السلاح فى ذلك القتال ويقول : هو بيع السلاح فى الفتنة . وهو قول أسامة بن زيد ومحمد بن مسلمة وابن عمر ، وسعد بن أبى وقاص وأكثر من بقى من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم . ولهذا كان من مذهب أهل السنة الإمساك عما شجر بين الصحابة فإنه قد ثبت فضائلهم ووجبت موالاتهم ومحبتهم . [ خ ] .

### قاصمة التحكيم

وقد تحكم الناس فى التحكيم فقالوا فيه مالا [ يرضى الله . وإذا ] لاحظتموه [ بعين المروءة - دون الديانة - رأيتم أنها سخافة حمل على سطرها فى الكتب فى الأكثر عدم الدين ، وفى الأقل جهل بين .

والذى يصح من ذلك ما روى الأئمة كخليفة بن خياط (٢٩٨)، والدارقطنى (٢٩٩): أنه لما خرج الطائفة العراقية فى مائة ألف والشامية فى سبعين أو تسعين ألفا ونزلوا على الفرات بصفين ، اقتتلوا فى أول يوم وهو الثلاثاء على الماء فغلب أهل العراق عليه (٣٠٠) .

(٢٩٨) هو الإمام الحافظ أبو عمرو خليفة بن خياط العصفري البصرى ، أحد أوعية العلم ، ومن شيوخ الإمام البخارى . قال عنه ابن عدى : هو صدوق مستقيم الحديث من متيقضى رواة السنة . توفى سنة ٢٤٠ . [خ] .

(٢٩٩) هو الإمام الحافظ أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى (٣٠٦ - ٣٨٥) كان مع جلالته فى الحديث من أئمة فقهاء الشافعية ، وله تقدم فى الأدب ورواية الشعر . وجاء من بغداد إلى مصر ليساعد ابن حنابلة وزير كافور على تأليف مسنده فبالغ الوزير فى إجلاله . قال الحافظ عبد الغنى بن سعيد « أحسن الناس كلاما على حديث رسول الله ﷺ : على بن المدينى فى وقته ، وموسى بن هارون القيسى فى وقته ، والدارقطنى فى وقته » [ خ ] .

(٣٠٠) لم يكن القتال على الماء جدياً ، وقد قال عمرو بن العاص يومئذ « ليس من النصف أن نكون رياتين وهم عطاش » . والذين تظاهروا فى الجيش الشامى بمنع العراقيين عن الماء أرادوا أن يذكروهم بمنعهم الماء عن أمير المؤمنين عثمان فى عاصمة خلافته وهو الذى اشترى بثر رومة من ماله ليستقى منه إخوانه المسلمون . وبعد اشتراكهم فى الماء تناوشوا شهر ذى الحجة من سنة ٣٦ ثم تهادنوا شهر المحرم من سنة ٣٧ ، ووقعت وقائع شهر صفر التى سيشير إليها المؤلف [ خ ] .

ثم التقوا يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة ( سبع وثلاثين ) ويوم الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت ( ٣٠١ ) ، ورفعت المصاحف من أهل الشام ، ودعوا إلى الصلح ، وتفرقوا على أن تجعل كل طائفة أمرها إلى رجل حتى يكون الرجلان يحكمان بين الدعويين بالحق ، فكان من جهة عليّ أبو موسى ( ٣٠٢ ) ، ومن جهة معاوية عمرو بن العاص .

وكان أبو موسى رجلاً تقيّاً ثَقَفًا فقيهاً عالماً حسبما بيناه في كتاب ( سراج المريدين ) ( ٣٠٣ ) ، أرسله النبي ﷺ إلى اليمن مع معاذ ، وقدمه عمر ، وأثنى عليه بالفهم ( ٣٠٤ ) . وزعمت الطائفة التاريخية الركيكة أنه كان أبله ضعيف الرأي مخدوعاً في القول ، وأن ابن العاص كان ذا دهاء وأرب حتى ضربت الأمثال بدهائه تأكيداً لما أرادت من الفساد ، وتبع في ذلك بعض الجهال بعضاً وصنفوا فيه حكايات . وغيره

( ٣٠١ ) وكانت تسمى « ليلة الهرير » اقتتل الناس فيها حتى الصباح . [ خ ] .  
 ( ٣٠٢ ) وكان آخر العهد بأبي موسى عندما كان والياً على الكوفة ، وجاء دعاة عليّ يحرضون الكوفيين على لبس السلاح والالتحاق بجيش عليّ استعداداً لما ينتظرونه من قتال مع أصحاب الجمل في البصرة ، ثم مع أنصار معاوية في الشام . فكان أبو موسى يشفق على دماء المسلمين أن تسفك بتحريض الغلاة ، ويذكر أمة محمد ﷺ بقول نبيهم في الفتنة « القاعد فيها خير من القائم » ، فتركه الأشتر يحدث الناس في المسجد بالحديث النبوي ، وأسرع إلى دار الإمارة فاحتلها . فلما عاد إليها أبو موسى منعه الأشتر من الدخول ، وقال له : اعتزل إمارتنا فاعتزلهم أبو موسى واختار الإقامة في قرية يقال لها عرض بعيداً عن الفتنة وسفك الدماء . فلما شيع الناس من سفك الدماء واقتنعوا بأن أبا موسى كان ناصحاً للمسلمين في نهيمهم عن القتال طلبوا من عليّ أن يكون هو ممثل العراق في أمر التحكيم ، لأن الحالة التي كان يدعو إليها هي التي فيها الصلاح . فأرسلوا إلى أبي موسى وجاؤوا به من عزلته . [ خ ] .

( ٣٠٣ ) من مؤلفات أبي بكر بن العربي وهو في الزهد والتصوف السني ، وتوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم ( ٢٠٣٤٨ ب [ س ] .

( ٣٠٤ ) واختصه بكتاب الشهير في القضاء وآدابه وقواعده . [ خ ] .

من الصحابة كان أحذق منه وأدهى . وإنما بنوا ذلك على أن عمرًا لما غدر أبا موسى في قصة التحكيم صار له الذكر في الدهاء [ والفكر ] .

وقالوا : أنهما لما اجتماعا بأذرح من دومة الجندل (٣٠٥) ، وتفاوضا اتفاقا على أن يخلعا الرجلين (٣٠٦) . فقال عمرو لأبى موسى : اسبق بالقول . فتقدم فقال : إني

(٣٠٥) أذرح : قرية من أعمال الشراة تقع في منطقة بين أراضى شرقى الأردن والمملكة العربية السعودية في الأطراف الجنوبية من بادية الشام . [ خ ] .

(٣٠٦) من الحقائق ما إذا أسىء التعبير عنه وشابهه شوائب المغالطة يوهم غير الحقيقة ، فينشأ عن ذلك الاختلاف فى الحكم عليه . ومن ذلك حادثة التحكيم وقول المغالطين إن أبا موسى وعمرا اتفقا على خلع الرجلين ، فخلعهما أبو موسى ، واكتفى عمرو بخلع علىّ دون معاوية . وأصل المغالطة من تجاهل المغالطين أن معاوية لم يكن يومئذ خليفة، ولا هو ادعى الخلافة حتى يحتاج عمرو إلى خلعهما عنه . بل إن أبا موسى وعمرا اتفقا على أن يعهدا بأمر الخلافة على المسلمين إلى الموجودين على قيد الحياة من أعيان الصحابة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض . واتفاق الحكمين على ذلك لا يتناول معاوية لأنه لم يكن خليفة ، ولم يقاتل على الخلافة ، وإنما كان يطالب بإقامة الحد الشرعى على الذين اشتركوا فى قتل عثمان . فلما وقع التحكيم على إمامة المسلمين ، واتفق الحكماء على ترك النظر فيها إلى كبار الصحابة وأعيانهم تناول التحكيم شيئاً واحداً هو الإمامة . أما التصرف العملى فى إدارة البلاد التى تحت حكمه ، ومعاوية متصرف فى البلاد التى تحت حكمه فالتحكيم لم يقع فيه خداع ولا مكر ، ولم تتخلله بلاهة ولا غفلة . وكان يكون محلاً للمكر أو الغفلة لو أن عمرًا أعلن في نتيجة التحكيم أنه ولى معاوية إمارة المؤمنين وخلافة المسلمين ، وهذا ما لم يعلنه عمرو ، ولا ادعاه معاوية ، ولم يقل به أحد فى الثلاثة عشر قرناً الماضية ، وخلافة معاوية لم تبدأ إلا بعد الصلح مع الحسن بن على ، وقد تمت بمبايعة الحسن لمعاوية ، ومن ذلك اليوم فقط سُمى معاوية أمير المؤمنين . فعمرو لم يغالط أبا موسى ولم يخدعه ، لأنه لم يعط معاوية شيئاً جديداً ، ولم يقرر فى التحكيم غير الذى قرره أبو موسى ، ولم يخرج عما اتفقا عليه معا ، فبقيت العراق والحجاز وما يتبعهما تحت يد من كانت تحت يده من قبل ، وبقيت الشام وما يتبعها تحت يد من كانت تحت =



نظرت فخلعت عليا عن الأمر ، ولينظر المسلمون لأنفسهم ، كما خلعت سيفي هذا من عاتقي - وأخرجته من عنقه فوضعه في الأرض . وقام عمرو فوضع سيفه في الأرض ، وقال : إني نظرت فأثبت معاوية في الأمر (٣٠٧) ، كما أثبت سيفي

= يده من قبل ، وتعلقت الإمامة بما سيكون من اتفاق أعيان الصحابة عليها . وأى ذنب لعمره في أى شيء مما وقع ؟ إن البلاء لم تكن من أبى موسى ، ولكن ممن يريد أن يفهم الوقائع على غير ما وقعت عليه . فليفهما كل من شاء كما يشاء . أما هى ، فظاهرة واضحة لكل من يراها كما هى . [ خ ] .

(٣٠٧) أى أمر ؟ إن كان الاستمرار فى إدارة البلاد التى تحت يده ، فإن هذا الأمر ماضٍ علي معاوية وعلي معاً ، فكل منهما باق فى الحكم على ما تحت يده . وإن كان المراد بالأمر الإمامة العامة وإمارة المؤمنين فإن معاوية لم يكن إماماً - أى خليفة - حتى يثبته عمرو كما كان ، وقد أوضحنا هذه الحقيقة فى الفقرة السابقة ، وهذه هى نقطة المغالطة التى هزا بها مؤرخو الإفك المقتري فسخروا بجميع قرائهم وأوهموهم بأن هناك خليفتين أو أميرين للمؤمنين ، وأن الاتفاق بين الحكيمين كان على خلعهما معاً ، وأن أبا موسى خلع الخليفتين تنفيذاً للاتفاق ، وأن عمرا خلع أحدهما وأبقى الآخر خليفة خلافاً للاتفاق وهذا كله كذب وإفك وبهتان ، والذى فعله عمرو هو نفس الذى فعله أبو موسى لا يفترق عنه قط فى نقير ولا قطمير . وبقي أمر الإمامة والخلافة أو إمارة المؤمنين معلقاً على نظر أعيان الصحابة ليروا فيه رأيهم متى شاؤوا وكيف شاؤوا وإذا كانت هذه الخطوة الثانية لم تتم فما فى ذلك تقصير من أبى موسى ولا من عمرو ، فهما قد قاما بمهمتهما بحسب ما أدى إليه اجتهداهما واقتناعهما . ولو لم تكلفهما الطائفتان معاً بأداء هذه المهمة لما تعرضا لها ، ولا أبديا رأياً فيها . ولو كان موقف أبى موسى فى هذا الحادث التاريخي العظيم موقف بلاهة وفشل لكان ذلك سبة عليه فى التاريخ ، وأن الأجيال التى بعده فهمت موقفه على أنه من مفاخره التى كتب الله له بها النجاح والسداد ، حتى قال ذو الرمة الشاعر يخاطب حفيده بلال بن أبى بردة بن أبى موسى :

أبوك تلافى الدين والناس بعدما تشاءوا وبيت الدين منقطع الكسر

هذا في عاتقى . وتقلده : فأنكره أبو موسى ، فقال عمرو : كذلك اتفقنا . وتفرق  
الجمع على ذلك من الاختلاف .

\*\*\*

= فشد آصار الدين أيام أذرح ورد حروبا قد لقحن إلى عقر

[خ] .

(٣٠٨) قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى بعدما روى هذه القصة :

« فإنه حديث منكر ورفعه موضوع والله أعلم . إذ لو كان هذا معلوماً عند علي  
لم يوافق على تحكيم الحكّمين ، حتى لا يكون سبباً لإضلال الناس ، كما نطق به  
هذا الحديث . وآفة هذا الحديث هو زكريا بن يحيى ، وهو الكندي الحميري الأعمى .  
قال ابن معين ليس بشيء » البداية (٣٨٥ / ٧) . [م] .

### عاصمة

قال القاضى أبو بكر رحمته الله : هذا كله كذب صراح ، ما جرى منه حرف قط . وإنما هو شيء [ اخترعته ] المبتدعة ، ووضعته التاريخية للملوك ، فتوارثته أهل المجانة ، والجهارة بمعاصى الله والبدع ( ٣٠٩ ) .

( ٣٠٩ ) أن التاريخ الإسلامى لم يبدأ تدوينه إلا بعد زوال بنى أمية وقيام دول لا يسر رجالها التحدث بمفاخر ذلك الماضى ومحاسن أهله . فتولى تدوين تاريخ الإسلام ثلاث طوائف : طائفة كانت تنشد العيش والجدة من التقرب إلى مبغضى بنى أمية بما تكتبه وتؤلفه . وطائفة ظنت أن التدين لا يتم ، ولا يكون التقرب إلى الله ، إلا بتشويه سمعة أبى بكر وعمر وعثمان وبنى عبد شمس جميعا . وطائفة ثالثة من أهل الإنصاف والدين - كالطبرى وابن عساكر وابن الأثير وابن كثير - رأيت أن من الإنصاف أن تجمع أخبار الأخباريين من كل المذاهب والمشارب - كلوط بن يحيى الشيعى المحترق ، وسيف بن عمر العراقى المعتدل - ولعل بعضهم اضطر إلى ذلك إرضاء لجهات كان يشعر بقوتها ومكانتها . وقد أثبت أكثر هؤلاء أسماء رواة الأخبار التى أوردها ليكون الباحث على بصيرة من كل خبر بالبحث عن حال راويه . وقد وصلت إلينا هذه التركة لا على أنها هى تاريخنا ، بل على أنها مادة غزيرة للدرس والبحث يستخرج منها تاريخنا ، وهذا ممكن وميسور إذا تولاه من يلاحظ مواطن القوة والضعف فى هذه المراجع ، وله من الألمعية ما يستخلص به حقيقة ما وقع ويجردها عن الذى لم يقع ، مكثفياً بأصول الأخبار الصحيحة عن الزيادات الطارئة عليها . وإن الرجوع إلى كتب السنة ، وملاحظات أئمة الأمة ، مما يسهل هذه المهمة . وقد آن لنا أن نقوم بهذا الواجب الذى أبطلنا فيه كل الإبطاء ، وأول من استيقظ فى عصرنا للدسائس المدسوسة على تاريخ بنى أمية العلامة الهندى الكبير الشيخ شلبى النعمانى فى انتقاده لكتب جرجى زيدان ، ثم أخذ أهل الألمعية من المنصفين فى دراسة الحقائق فبدأت تظهر لهم وللناس منيرة مشرقة ، ولا يبعد - إذا استمر هذا الجهاد فى سبيل الحق - أن يتغير فهم المسلمين لتاريخهم ، ويدركوا أسرار ما وقع فى ماضيهم من معجزات . [ خ ] .

وإنما الذى روى الأئمة الثقات الأثبات أنهما لما اجتمعا للنظر فى الأمر - فى عصابة كريمة من الناس منهم ابن عمر ونحوه - عزل [ عمرو ] معاوية (٣١٠) .

ذكر الدار قطنى بسنده إلى حصين بن المنذر (٣١١) : لما عزل عمرو معاوية جاء (جاء حصين بن المنذر) فضرب فسطاطه قريباً من فسطاط معاوية ، فبلغ [ ثناه ] (٣١٢) معاوية ، فأرسل (إلى) فقال : إنه بلغنى عن هذا (أى عن عمرو) كذا وكذا (٣١٣) ، فذهب فانظر ما هذا الذى بلغنى عنه .

فأتيت فقلت : أخبرنى عن الأمر الذى وليت أنت وأبو موسى كيف صنعتما فيه؟ قال : قد قال الناس فى ذلك ما قالوا ، والله ما كان الأمر على ما قالوا (٣١٤) ، ولكن قلت لأبى موسى : ما ترى فى هذا الأمر ؟ قال : أرى أنه فى نفر الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض . قلت : فأين تجعلنى أنا ومعاوية ؟ فقال : إن يستع بكما فيكما معونة ، وإن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما . قال : فكانت هى التى قتل معاوية منها نفسه . فأتيت فأكبرته (أى فأتى حصين معاوية فأخبره) أن الذى بلغه عنه كما بلغه . فأرسل إلى أبى الأعور الذكوانى (٣١٥)

(٣١٠) أى بتقريره مع أبى موسى أن إمامة المسلمين يترك النظر فيها إلى أعيان الصحابة . [خ]

(٣١١) قال الدارقطنى : حدثنا إبراهيم بن همام ، حدثنا أبو يوسف الفلوسى وهو يعقوب بن عبد الرحمن بن جرير ، حدثنا الأسود بن شيبان ، عن عبد الله بن مضارب عن حصين بن المنذر (وحصين من خواص على الذين حاربوا معه) (خ) .

(٣١٢) أى عزله علياً ومعاوية وتفويضه الأمر إلى كبار الصحابة . [خ]

(٣١٣) أى أنهما لم يعزلا ، ولم يوليا ، ولكن تركا الأمر لأعيان الصحابة . [خ]

(٣١٤) وكتبها الشيخ . محب : نبأه (س) .

(٣١٥) هو أبو الأعور السلمى (وذكوان قبيلة من سليم) واسمه عمرو بن سفيان ، كان من كبار قواد معاوية . وفى حرب صفين طلب الأشتر أن يبارزه فترفع عن ذلك لأنه لم ير الأشتر من أنداده .

فبعثه في خيله ، فخرج يركض فرسه ويقول : أين عدو الله ، أين هذا الفاسق ؟

قال أبو يوسف (٣١٦) : أظنه قال : « إنما يريد حوباء نفسه » فخرج ( عمرو ) إلى فرس تحت فسطاطه فجال في ظهره عربائاً ، فخرج يركضه نحو فسطاط معاوية وهو يقول : « إن الضجور قد تحتلب العلبة ، يا معاوية إن الضجور قد تحتلب العلبة » (٣١٧) . فقال معاوية : [ أحسبه ] (٣١٨) ، ويريد الحالب فتدق أنفه ، وتكفأ إناءه » (٣١٩) .

قال الدارقطني - وذكر سنداً عدلاً (٣٢٠) [ وساق الحديث ] : ربيع عن أبي

(٣١٦) أي الفلوسى راوى هذا الخبر عن الأسود بن شيبان عن عبد الله بن مضارب عن حزين .

(٣١٧) الضجور : الناقة التى ترغو وتعربد عند الحلب . و « قد تحلب الضجور العلبة » مثل . ومعناه أن الناقة التى ترغو قد تحلب ما يملأ العلبة ، يضربونه للسيئ الخلق قد يصاب منه الرفق واللين ، وللبخيل قد يستخرج منه المال .

(٣١٨) فى نسخة الشيخ محب [ أجل !! ] [ س ] .

(٣١٩) ثم قال : ثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم ودعلج بن أحمد قالوا حدثنا محمد بن أحمد بن النضر ثنا معاوية بن عمر ثنا زائدة عن عبد الملك بن عمير عن . . . [س] .

(٣٢٠) أورد المؤلف هذا الخبر للدلالة على ورع عمرو (\*) ومحاسبته لنفسه وتذكيره بسيرة السلف .

(\*) قال النبى ﷺ فى الثناء على عمرو بن العاص رضى الله عنه : « أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص » وهو حديث حسن كما جاء فى الأحاديث الصحيحة ٦٤/٢ .

قال شيخنا محدث الديار الشامية فى المصدر السابق : وفى هذا الحديث منقبة عظيمة لعمر بن العاص رضى الله عنه ، أن شهد له النبى ﷺ : « لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة » متفق عليه . وقال تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

وسى هذا لا يجوز الطعن فى عمرو بن العاص رضى الله عنه كما يفعل بعض الكتاب المعاصرين ، وغيرهم من المخالفين - بسبب ما وقع من الخلاف بل القتال مع على رضى الله عنه ، لأن ذلك لا ينافى الإيمان ، فإنه لا يستلزم العصمة كما يخفى ، لا سيما إذا قيل : إن ذلك وقع منه بنوع من الاجتهاد وليس اتباعاً للهوى .

موسى أن عمرو بن العاص قال : « والله لئن كان أبو بكر وعمر تركا هذا المال وهو يحل لهما منه شيء لقد غبنا ونقص رأيهما . وإيم الله ما كان مغبونين ولا ناقصي الرأي . ولئن كانا امرأين يحرم عليهما هذا المال الذي أصبناه بعدهما لقد هلكنا . وإيم الله ما جاء الوهم إلا من قبلنا » ( ٣٢١ ) .

فهذا كان بدء الحديث ومنتهاه . فأعرضوا عن الغاوين ، وازجروا العاوين ، وعرجوا عن سبيل الناكثين ، إلى سنن المهتدين . وأمسكوا الألسنة عن السابقين إلى الدين . وإياكم أن تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة أصحاب رسول الله ﷺ ، فقد هلك من كان أصحاب النبي ﷺ خصمه . دعوا ما مضى ، فقد قضى الله فيه ما قضى . وخذوا لأنفسكم الجد فيما يلزمكم اعتقاداً وعملاً . ولا تسترسلوا بالستكم فيما لا يعينكم مع كل [ ما جن ] اتخذ الدين هملاً ، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً . ورحم الله الربيع بن خثيم ( ٣٢٢ ) فإنه لما قيل له : قتل الحسين ! قال : أقتلوه ؟ قالوا : نعم . فقال : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ( ٤٦ ) [ الزمر ] . ولم يزد على هذا أبداً . فهذا العقل والدين ، والكف عن أحوال المسلمين ، والتسليم لرب العالمين .



( ٣٢١ ) وأسقطها الشيخ محب من النص وجعلها في الهامش !! [ س ] .

( ٣٢٢ ) هو من تلاميذ عبد الله بن مسعود وأبى أيوب الأنصارى وعمرو بن ميمون ، وأخذ عنه الإمام الشعبي وإبراهيم النخعي وأبو بردة . قال له ابن مسعود : لو رآك النبي ﷺ لأحبك . توفي سنة ٦٤ [ خ ] .

تكملة : ب ، ج ز ومطبوعة الشيخ محب [ خثيم ] وهو خطأ والتصحيح من طبقات ابن خياط صفحة ١٤١ [ س ] .

## قاسمة

قال قيل : إنما يكون ذلك فى المعانى التى تشكل ، وأما هذه الأمور كلها فلا إشكال فيها ، لأن النبى ﷺ نص على استخلاف على بعده فقال « أنت منى بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدى » (٣٢٣) ، ( وقال ) : « اللهم (٣٢٤) وال

(٣٢٣) فى كتاب المغازى من صحيح البخارى ( ك ٦٤ ب ٧٨ ج ٥ ص ١٢٩ ) وفى فضائل الصحابة من صحيح مسلم ( ك ٤٤ ح ٣١ ج ٧ ص ١٢٠ ) من حديث سعد بن أبى وقاص أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف علياً ، فقال : أتخلفنى فى الصبيان والنساء ؟ قال : « ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدى » . وانظر المناقشة فى هذا الحديث بين السيد عبد الله بن الحسين السويدى سنة ١١٥٦ وبين الملا باشى على أكبر شيخ علماء الشيعة ومجتهديه فى زمن نادر شاه فى كتاب ( مؤتمر النجف ) (\*\*) ص ٢٥ - ٢٧ طبع السلفية [ خ ] .

(٣٢٤) أخرجه النسائى فى « خصائص على » وأحمد والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين . وله طرق أخرى كلها صحيحة ولكن ليس فى طريق من طرقه جميعها : « اللهم انصر من نصره واخذل من خذله » (١) [ م ] .

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى معرض كلامه على الحديث السابق : « .. وقد شبه النبى ﷺ أبا بكر بإبراهيم وعيسى ، وشبه عمر بنوح وإبراهيم عليهم جميعاً الصلاة والسلام - لما أشارا فى الأسرى ، وهذا أعظم من تشبيه على =

(\*\*) رجعت إلى كتاب « مؤتمر النجف » الذى أشار إليه محب الدين الخطيب ، فإذا به يذكر على لسان السويدى أن ابن الجوزى قال : إن هذا الحديث موضوع مع أنه رواه البخارى ومسلم ! وليس فى هذا الحديث نص على استخلاف على بعد الرسول ﷺ . قال الشيخ السويدى : لو دل هذا على الاستخلاف ، لا تقتضى أن ابن أم مكتوم خليفة بعد النبى ﷺ . لأنه استخلفه على المدينة ، واستخلف أيضاً غيره ، فلم خص على ﷺ بالخلافة دون غيره ، مع اشتراك الكل فى الاستخلاف ؟

وأيضاً لو كان هذا من باب الفضائل ، لما وجد على على نفسه وقال : « أتجعلنى مع النساء والأطفال والضعفة ؟ فقال النبى ﷺ تطلياً لنفسه : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ » (١) تقدم تخريجه (٤) .

من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله (٣٢٥) . فلم يبق بعد هذا خلاف لمعانده .

فتعدى عليه أبو بكر واقتعد فى غير موضعه .

ثم خلفه فى التعدى عمر .

ثم رجا أن يوفق عمر للرجوع إلى الحق ، فأبهم الحال وجعلها شورى قصرًا للخلاف ، للذى سمع من النبى ﷺ .

ثم تحيل ابن عوف حتى ردها عنه إلى عثمان .

ثم قتل عثمان لتسوره على الخلافة وعلى أحكام الشريعة (٣٢٦) ، وصار الأمر إلى على بالحق الإلهى النبوى ، فنازعه من عاقده ، وخالف عليه من بايعه ، ونقض عهده من شده .

وانتدب أهل الشام [ مع معاوية ] إلى الفسوق فى الدين ، بل الكفر (٣٢٧) .

= بهارون ؛ ولم يوجب ذلك أن يكونا بمنزلة أولئك الرسل . وتشبيهه الشئ بالشئ لمشابهته فى بعض الوجوه كثير فى الكتاب والسنة ، وكلام العرب ( مجموع الفتاوى ٤/١٩ باختصار ) . [ م ] .

(٣٢٥) فى مسند أحمد ( ٨٤/١ ، ٨٨ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٥٢ الطبعة الأولى رقم ٦٤١ ، ٦٧٠ ، ٩٥٠ ، ٩٦١ ، ١٣١ ، ١٣١٠ . وفى ٤ / ٢٨١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ الطبعة الأولى و ٥ / ٣٤٧ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠ ، ٤١٩ الطبعة الأولى ) وانظر تفسير الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب لهذا الحديث ، وسيأتى كلام المؤلف على الحديثين فى ص ٢٦٣ . [ خ ] .

(٣٢٦) كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا . وقد جاء فى هذا الكتاب ما يثبت كذبهم . [ م ] .

(٣٢٧) كل هذه الفقرات من هذيان مرتكبي « القاصمة » وشيعتهم . وقد أجاب المؤلف فى «العاصمة» التالية مدحضا سخافاتهم ، ولكن اتسع عليه ميدان القول ففاته الكلام على موقف أهل الشام من هذه الفتن التى وقعت فى الإسلام . وقد رأيت فى =



= ص ٩٢ قول ابن الكوا أحد زعماء الفتنة وهو يصف أشباهه في الأمصار الكبرى : « وأما أهل الأحداث من أهل الشام فأطوع الناس لمرشدهم ، وأعصاهم لمغويهم » . وإذا كان أهل الأحداث في الشام هكذا على ما شهد به زعيم من زعماء الفتنة ، فإن أهل العافية والإيمان منهم قد شهد لهم أمير المؤمنين علياً فيما نقله ابن كثير في البداية والنهاية ( ٢٠ / ٨ ) عن عبد الرزاق بن همام الصنعاني أحد الأئمة الأعلام الحفاظ ، عن شيخه معمر بن راشد البصري وهو أيضاً من الأعلام ، عن الزهري مدون السنة وشيخ الأئمة أن عبد الله بن صفوان الجمحي قال : قال رجل من صفين « اللهم العن أهل الشام » فقال له علي : « تسب أهل الشام ، فإن بها الأبدال ، فإن بها الأبدال ، فإن بها الأبدال » (\*) وروى هذا الحديث من وجه آخر مرفوعاً (\*) إلى النبي ﷺ . وروى أبو إدريس الخولاني وهو من أعلام حملة السنة والشرعة ومن شيوخ الحسن البصري وابن سيرين ومكحول وأضرابهم أن أبا الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « بينما أنا نائم رأيت الكتاب احتمل من تحت رأسي ، فظننت أنه مذهب به ، فأتبعته بصرى فعمد به إلى الشام . وإن الإيمان - حتى تقع الفتنة - بالشام » . (\*\*) وروى هذا الحديث من الصحابة غير أبي الدرداء أبو أمامة وعبد الله بن عمرو بن العاص .

(\*) حديث الأبدال لعلي ضعيف لانقطاعه ، فإن شريح بن عبيد الحمصي لم يدرك علياً .

وبمناسبة الكلام على الأبدال نسوق رأى شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى نظراً لخطورة الموضوع :

أما الأسماء الدائرة على السنة الكثيرين من النساك والعامّة مثل « الغوث » الذي بمكة ، و « الأوتاد الأربعة » ، و « الأقطاب السبعة » .

يريد حديثاً رواه شريح بن عبيد قال ذكر أهل الشام عند علي رضي الله عنه وقيل العنهم يا أمير المؤمنين ! قال : لا ! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول الأبدال يكونون بالشام ، وهم أربعون رجلاً ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً ، يستقى بهم الغيث ، وينتصر بهم على الأعداء ، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب ، وهو حديث ضعيف لانقطاعه ، فإن شريح هذا لم يدرك علياً .

(\*\*) رأيت في المشكاة نحوه بلفظ قال رسول الله ﷺ : « رأيت عموداً من نور ، خرج من تحت رأسي حتى استقر بالشام » رواه البيهقي في « دلائل النبوة » وسنده صحيح كما قال محقق المشكاة .

وروى أبو داود بإسناد صحيح قال رسول الله ﷺ : « ستفتح الشام ، فإذا خيرتم المنازل فيها ، فعليكم بمدينة يقال لها دمشق ، فإنها معقل المسلمين من الملاحم وفسطاطها ، منها أرض يقال لها : « الغوطة » وسنده صحيح كما قال محقق المشكاة : [ م ] .

= وللمقارنة بين أهل الشام والذين كانوا يحاربونهم نقل عن ابن كثير ( ٣٢٥ / ٧ )  
 خبر الأعمش عن عمرو بن مرة بن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأرقم قال :  
 خطبنا على يوم جمعة فقال: « نبئت أن بشرا قد طلع اليمن ، وإنى والله لأحسب أن  
 هؤلاء القوم سيظهرون عليكم ، وما يظهرون عليكم إلا بعصيانكم إمامكم وطاعتهم  
 إمامهم . وبخيانتكم أرضكم . وإصلاحهم قد بعثت فلاناً فخان وغدر وبعث فلاناً  
 فخان وغدر وبعث المال إلى معاوية . لو ائتمنت أحدكم على قدح لأخذ علاقته .  
 اللهم ستمتهم وسثموني ، وكرهتهم وكرهوني . اللهم فأرحهم منى وأرحني منهم » .  
 بهذا وصف على جيشه وطائفته وبعبكسه في الفضائل وصف أهل الشام الذين اضطروا  
 إلى أن يقفوا من طائفته موقف المحارب . وليس بعد وصف على لأهل الشام بالطاعة  
 والأمانة والإصلاح ، إلا الضرب بهذه القنبلة وجوه واصفهم بالكفر والفسوق في  
 الدين . [ خ ] .

و « الأبدال الأربعون » ، و « النجباء الثلاثمائة » فهذه أسماء ليست موجودة في  
 كتاب الله تعالى ، ولا هي أيضاً مأثورة عن النبي ﷺ بإسناد صحيح ، ولا ضعيف ،  
 يحمل عليه ألفاظ الأبدال .

أما الغوث والغياث ، فلا يستحقه إلا الله ، فهو غياث المستغيثين ، فلا يجوز  
 لأحد الاستغاثة بغيره ، لا بملك مقرب ، ولا نبي مرسل ( أى بعد موته أو في حياته  
 مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ) ومن زعم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي  
 يطلبون بها كشف الضر عنهم . . . إلى الغوث فهو كاذب ضال مشرك !! فقد كان  
 المشركون كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ  
 تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ وقال سبحانه : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ .

فكيف يكون المؤمنون يرفعون إليه حوائجهم بعده بوسائط من الحجاب ، وهو  
 القائل : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دُعَاةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي  
 وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

وليس من أولياء الله المتقين ، ولا عباد الله المخلصين الصالحين ولا أنبيائه المرسلين :  
 من كان غائب الجسد دائماً عن أبصار الناس . بل هذا من جنس قول القائلين أن علياً في

وهذه حقيقة مذهبهم (٣٢٨) ، أن الكل [ منهم ] (٣٢٩) ،

السحاب ، وأن محمد ابن الحنيفة فى جبال رضوى ، وأن محمد بن الحسن بسرداب سامرى ، وإن الحاكم بجبل مصر ، وأن الأبدال الأربعين بجبل لبنان ، فكل هذا ونحوه من قول أهل الإفك والبهتان . . [ الفتاوى ١١ / ٤٣٣ - ٤٤٣ باختصار ] .

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

روى فى الأبدال حديث أنهم أربعون رجلا ، وأنهم بالشام ، وهو فى المسند من حديث على رضي الله عنه ، وهو حديث منقطع ليس بثابت . ومعلوم أن عليا ومن معه من الصحابة ، كانوا أفضل من معاوية ومن معه بالشام ، فلا يكون أفضل الناس فى عسكر معاوية دون عسكر على ( الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » طبعة « المكتب الإسلامى » لصاحبه الأستاذ زهير الشاويش .

قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى فى تعليقه على « المسند » : إسناده ضعيف لانقطاعه . شريح بن عبيد الحضرمى الحمصى لم يدرك عليا ، بل لم يدرك إلا بعض متأخرى الوفاة من الصحابة .

وما أحسن ما قاله الإمام ابن تيمية أيضا :

وأما أهل العلم فكانوا يقولون عن « أهل الحديث » هم « الأبدال » أبدال الأنبياء ، وقائمون مقامهم حقيقة ، ليس من المعدمين الذين لا يعرف لهم حقيقة . كل منهم يقوم مقام الأنبياء فى القدر الذى ناب عنهم فيه : هذا فى العلم والمقال ، وهذا فى العبادة والحال . وهذا فى الأمرين جميعا . وكانوا يقولون : هم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة الظاهرون على الحق ، لأن الهدى ودين الحق الذى بعث الله به رسله معهم . وهو الذى وعد الله بظهوره على الدين كله . وكفى بالله شهيدا .

... إن الذين يعيرون أهل الحديث ويعدلون عن مذهبهم جهلة زنادقة منافقون

بلا ريب . ولهذا لما بلغ الإمام أحمد عن « أبى قتيلة » أنه ذكر عنده أهل الحديث بمكة ، فقال : قوم سوء ، فقام الإمام أحمد ، وهو ينفض ثوبه ، ويقول : زنديق ، زنديق ، زنديق ، ودخل بيته ( الفتاوى ٩٦ / ٩٧ ) .

(٣٢٨) أى حقيقة مذهب الرافضة وأعداء الصحابة . [ خ ] .

(٣٢٩) وفى طبعة الشيخ الخطيب [ عندهم ] !! ( س ) .

كفرة (٣٣٠) ، (٢٣١) لأن من مذهبهم . . . . .

(٣٣٠) يستثنون منهم - بعد عليٍّ وبعض آله - سلمان الفارسي وأبا ذر والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وأبا الهيثم بن التيهان وسهل بن حنيف وعبادة بن الصامت وأبا أيوب الأنصاري وخزيمة بن ثابت وأبا سعيد الخدري . وبعض الشيعة يرى أن الطيبين من أصحاب رسول الله ﷺ أقل عدداً من هؤلاء . [ خ ] .

(٣٣١) وما يحتج به الرافضة على ارتداد الصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ حديث ابن عباس عن النبي ﷺ : « أن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال » أى إلى جهنم .

« فأقول : أصحابي ، أصحابي » على صيغة القلة والتصغير ، لقلة عددهم .

« فيقول » أى الله سبحانه : « إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم » .

فأقول كما قال العبد الصالح - أى عيسى عليه السلام معترداً : ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ - إلى قوله - العزيرُ الحكيمُ ﴿ متفق عليه (١) .

وعام الآية : ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١١٧) إن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿

قال فى « أشعة اللمعات » فى الرد على الرافضة :

« قالوا : ليس المراد بهذا خواص الأصحاب ، لأننا نعلم - يقيناً - أنه لم يرتد أحد منهم بعد النبي ﷺ إلا قوم من جفاة العرب من أصحاب « مسيلمة الكذاب » و« الأسود العنسى » أو بعض مؤلفة القلوب الذين لم تكن لهم بصيرة بالدين ، ولا قوة فى الإيمان . . . » .

ولما كان كل من رأى النبي ﷺ لحظة (\*) يطلق عليه لفظ صاحب ، كان هذا الحديث بحق من لم يرسخ الإسلام فى نفسه ، وهو بحق هؤلاء الأصحاب !

مما سبق ندرك مبلغ افتراء الرافضة بالاحتجاج بهذا الحديث على ردة أكابر الصحابة الذين وردت فى الثناء عليهم الآيات والاحاديث الكثيرة التى رأينا بعضها فى أول هذا الكتاب وقد حضنا رسول الله ﷺ على التمسك بسته وستهم فى قوله : =

(١) رواه البخارى (١٦٩/٤) (ع) .

(\*) ومات على الإسلام كما قيده بذلك علماء الحديث (ع) .

= فى الحديث الصحيح : « عليكم بستى وستة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى  
عضوا عليها بالنواجذ » رواه أحمد وأبو داود ، والترمذى وابن ماجه .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « من كان مستنّاً ، فليستن بمن قد مات . أولئك  
أصحاب محمد صلى الله عليه وآله ، كانوا أفضل هذه الأمة ، وأقلها تكلفاً ، اختارهم الله لصحة  
نبيه ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم على أثرهم ، وتمسكوا بما  
استطعتم من أخلاقهم وسيرهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم .

ويقصد الرافضة من وراء الدعوة إلى ارتداد كبار الصحابة نفس الشريعة التى  
نقلوها إلينا ، وزرع الشك فى نفوسنا فى نقلهم ما داموا قد ارتدوا ، لذلك فهم  
يزعمون أن لهم قرآناً غير قرآننا ، ( راجع كتاب الكافى للكلينى طبعة إيران سنة  
١٣٧٨ ص ٥٤ ، ٥٧ ) وكتاب الكافى هذا هو كتاب موثوق لديهم يشبه كتاب  
البخارى عندنا ، وراجع كذلك كتاب : « فصل الخطاب فى إثبات تحريف كتاب رب  
الارباب » وهو محشو بالأكاذيب والأباطيل .

ومن أغراض الرافضة التى يقصدونها من وراء ادعاء ارتداد الصحابة العمل على  
فقدان الثقة فى الأجيال الإسلامية بسلفيهم وحرمانهم الاقتداء بالجيل المثالى الأول  
الذى تربى فى مدرسة محمد صلى الله عليه وآله ، فيصبحون هملاً لا تاريخ عظيم لهم ولا قدوة  
صالحة يقتدون بها .

وقد حقق الرافضة مآربهم ، ففسدوا فى تاريخنا الإسلامى ما يريدونه من تشويه  
تاريخ الصحابة وتضليل الناشئة مئات السنين . . مما رأينا فى هذا الكتاب نماذج من  
أكاذيبهم وأضاليهم ، وكيف رد عليها القاضى ابن العربى ، ومحج الدين الخطيب .  
ومما يؤسف له أن جميع هذه الردود ، ومثلها الكتاب العظيم : « منهاج السنة »  
لشيخ الإسلام ابن تيمية بقيت حبراً على ورق ولم تدخل مدارسنا ولم توضع بين  
أيدي المؤلفين والأساتذة والطلبة الذين مازالوا فى فتنه عمياء وفى ضلال مبين ، وقد  
حدثت كثيراً من هؤلاء المؤلفين والأساتذة عن كذب كثير مما يدرسون فكانوا يعتذرون  
بأنهم إنما استقوا معلوماتهم من تاريخ الطبرى . وقد جهلوا أن فى هذا المصدر قد  
اختلط الصواب والخطأ والصحيح والمكذوب مما لا يستطيع التمييز بينهما إلا : رخ =

التكفير بالذنوب (٣٣٢) . وكذلك تقول هذه الطائفة التى تسمى بالإمامية : إن كل عاص بكبيرة كافر (٣٣٣) ، على رسم القدرية (٣٣٤) ، ولا أعصى من الخلفاء المذكورين (٣٣٥) ومن ساعدهم على أمرهم ، وأصحاب محمد ﷺ أحرص الناس على دنيا (٣٣٦) ، وأقلهم .....

= العارف بتاريخ الرجال ومعرفة الثقة من الكاذب من الرواة وكل ذلك تكفلت ببيانه كتب الرجال أمثال ميزان الاعتدال ولسان الميزان وتهذيب التهذيب وغيرها . ومن مكائد الرافضة التى تخفى على الكثيرين أنهم يلجؤون إلى الكتب التى تفضح مؤامراتهم ، فيجمعونها من الأسواق ويحضون أتباعهم على حرقها ، فقد ذكر لى ثقة أن أحد الدجالين من المتطبين يصف لمرضاة وجوب إحراق « منهاج السنة » أو « العواصم من القواصم » والتبخر على نارهما طلباً للشفاء ، فيسارع المريض المغفل بشراء كتاب من هذين الكتابين ، ولو بأعلى الأسعار ، وحرقه كما وصف له المتطببون من الرافضة .

كل هذا يدعوننا إلى المسارعة لتصحيح تاريخنا وتنظيفه من التحريف والتضليل ، وهذا ما قصدناه من نشر هذا الكتاب بعد مراجعته ، وعرضناه فى الأسواق بسعر رخيص ليسهل على الجميع اقتناؤه [م] .

(٣٣٢) ومن مذهبهم أن علياً وأحد عشر من آل معصومين عن الخطأ ، وأنهم مصدر تشريع . ويقبلون التشريع الذى ينسب إليهم رواة يشترط فيهم التشيع والموالة ، وإن عرفهم الناس بما ينافى الصدق أو يناقض ما هو معلوم من الدين بالضرورة [ خ ] .

(٣٣٣) ومدلول الكبيرة عندهم غير مدلولها عند المسلمين . [ خ ] .  
(٣٣٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢/٢٤) : كان قدماء الشيعة متفقين على إثبات القدر والصفات . . وإنما شاع فيهم . " نادر من حين اتصلوا بالمعتزلة فى دولة بنى بويه [ خ ] .

(٣٣٥) وهم أبو بكر وعمر وعثمان . [ خ ] .  
(٣٣٦) قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى رداً على قول ابن المطهر الرافضى : « فبعضهم ضب الأمر لنفسه بغير حق ، وبايعة أكثر الناس طلباً للدنيا » .

وهذا إشارة إلى أبى بكر ، فإنه هو الذى بايعه أكثر الناس ، ومن المعلوم أن =

[ حماية ] (٣٣٧) على دين ، وأهدمهم لقاعدة وشريعة (٣٣٨) .

\*\*\*

= أبا بكر لم يطلب الأمر لنفسه لا بحق ولا بغير حق ، بل قال : قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين : إما عمر بن الخطاب ، وأما أبا عبيدة . فقال عمر : فوالله لأن أقدم فتضرب عنقي ، لا يقربني ذلك إلى إثم ، أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر . وهذا اللفظ في الصحيحين .

وقد روى عنه أيضاً أنه قال : « أقبلوني أقبلوني » فالمسلمون اختاروه وبايعوه لعلمهم بأنه خيرهم . . والمسلمون اختاروه كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح لعائشة : « ادعى لى أباك . . . الحديث » وقد ذكرناه كاملاً في موضع آخر .

ثم قال ابن تيمية : . . هب إنه طلبها وبايعه أكثر الناس ، فقولكم : إن ذلك طلب لدنيا كذب ظاهر . فإن أبا بكر رضي الله عنه لم يعطهم دنيا .

والذين بايعوه أزهّد الناس في الدنيا ، وهم الذين أثنى الله تعالى عليهم . وكان أبو بكر رضي الله عنه قد أنفق ماله في حياة الرسول ﷺ ، فلم يأخذ بدله ، وأوصى بأن يرد إلى بيت المال جرد قطيفة ، وبكر وأمة سوداء ونحو ذلك ( منهاج السنة باختصار ٢/ ٢٥ - ٤١ ) .

(٣٣٧) وفي نسخة الشيخ محب الدين الخطيب [ حمية ! ] [ س ] .

(٣٣٨) ومع ذلك يوجد فيمن ينتمى إلى الأزهر ، وإلى السنة ، من يوالى دار التقريب بين المذاهب التي تأسست في القاهرة بعد الحرب العالمية الثانية ، ويتسلى بصرف بعض عمره في الاختلاف إليها وتبادل التقية مع القائمين عليها [ خ ] .

## عاصمة

قال القاضي أبو بكر رحمته : يكفيك من شر سماعه ، فكيف التملل به .  
خمسائة عام عدّاً إلى يوم مقالي هذا - لا ينقص منها يوماً ولا يزيد يوماً - وهو مهل  
شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، وماذا يرجى بعد التمام إلا النقص ؟

ما رضيت النصارى واليهود فى أصحاب موسى وعيسى ما رضيت الروافض فى  
أصحاب محمد صلوات الله عليهم حين حكموا عليهم بأنهم قد اتفقوا على الكفر والباطل (٢٣٩) .  
فما يرجى من هؤلاء ، وما يستبقى منهم ؟ وقد قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ  
آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ  
دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [التور : ٥٥] ، وهذا قول صدق ،  
ووعد حق . وقد انقرض عصرهم ولا خليفة فيهم ولا تمكين ، ولا أمن ولا سكون ،  
إلا فى ظلم وتعدٍّ وغصب وهرج وتشيت وإثارة نائرة .

وقد أجمعت (٣٤١) الأمة على أن النبى صلوات الله عليهم ما نص على أحد يكون من

(٣٣٩) أخرج الحافظ ابن عساكر (١٦٥/٤) أن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى  
طالب قال لرجل من الرافضة : « والله لئن أمكننا الله منك لنقطعن أيديكم  
وأرجلكم ، ثم لا نقبل منك توبة » . فقال له رجل : لم لا تقبل منهم توبة ؟ قال :  
« نحن أعلم بهؤلاء منك . إن هؤلاء إن شأؤوا صدقوك ، وإن شأؤوا كذبوكم  
وزعموا أن ذلك يستقيم لهم فى ( التقية ) . وملك ! إن التقية هى باب رخصة  
للمسلم ، إذا اضطر إليها وخاف من ذى سلطان أعطاه غير ما فى نفسه يدرأ عن ذمة  
الله ، وليست باب فضل ، إنما الفضل فى القيام بأمر الله وقول الحق . وإيم الله ما  
بلغ من التقية أن يجعل بها لعبد من عباد الله أن يضل عباد الله » [ خ ] .

(٣٤١) ليس هناك إجماع . قال شارح العقيدة الطحاوية :

ثم اختلف أهل السنة فى خلافة أبى بكر الصديق رضي الله عنه هل كانت بالنص ،  
أو بالاختيار ؟ فذهب الحسن البصرى وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص =



= الخفى والإشارة ، ومنهم من قال بالنص الجلى . وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها ثبتت بالاختيار .

والدليل على إثباتها بالنص أخبار : من ذلك ما رواه أبو داود عن جابر رضي الله عنه ، أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال : « رأى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ ، ونيط عمر بأبى بكر ، ونيط عثمان بعمر » قال جابر : فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ ، قلنا : أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ ، وأما المنوط بعضهم ببعض ، فهم ولاة هذا الأمر الذى بعث الله به نبيه « وهو حديث صحيح كما قال محقق الطحاوية ص ٤٧٣ .

وقال النبى ﷺ : « اقتدوا باللذين من بعدي : أبى بكر وعمر » وسنده صحيح كما قال محقق الطحاوية ، وأحاديث تقديمه فى الصلاة مشهورة معروفة ، وهو يقول : « مروا أبا بكر يصلى بالناس » رواه البخاري ومسلم .  
( ونصرف النظر عن ذكر بقية النصوص ، فقد أثبتها القاضى ابن العربي رحمه الله فيما يأتى ) .

واحتج من قال : لم يستخلف بالخبر المأثور عن عبد الله بن عمر عن عمر رضي الله عنه ، أنه قال : « إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى ، يعنى أبا بكر ، وأن لا أستخلف ، فلم يستخلف من هو خير منى ، يعنى رسول الله ﷺ ، قال عبد الله ، فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مستخلف . وما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلف . والظاهر - والله أعلم - أن المراد أنه لم يستخلف بعهد مكتوب ، ولو كتب عهداً لكتبه لأبى بكر ، بل قد أراد كتابته ثم تركه ، وقال : « يابى الله والمسلمون إلا أبا بكر » ( رواه مسلم ) ، فكان هذا أبلغ من مجرد العهد . ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه ، فترك الكتابة اكتفاء بذلك .

ولم يقل أحد من الصحابة قط أن النبى ﷺ نص على غير أبى بكر ، لا على ، ولا العباس ، ولا غيرهما ، كما قال أهل البدع .

وروى ابن بطة بإسناده : أن عمر بن عبد العزيز بعث محمد بن الزبير الحنظلى =

بعده (٣٤٢) . وقد قال العباس لعلی - فيما روى عنه عبد الله ابنه - قال عبد الله بن عباس : خرج علي بن أبي طالب عليه السلام من عند رسول الله في وجعه الذي توفي فيه ، فقال الناس : يا أبا الحسن ، كيف أصبح رسول الله ﷺ قال : أصبح بحمد الله بارئاً . فأخذ بيده العباس بن عبد المطلب فقال له : أنت والله بعد ثلاث عبد العباس . وإنني [ والله ] لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجعه هذا ، إنني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت . اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن يكون هذا الأمر بعده ، فإن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا . فقال علي (٣٤٣) : إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا

= إلى الحسن ، فقال : هل كان النبي ﷺ استخلف أبا بكر ؟ فقال : أو فخانك صاحبك ؟ نعم ، والله الذي لا إله إلا هو استخلفه ! لو كان أنقى لله أن يتوثب عليها . ( باختصار ص ٤٧١ - ٤٧٥ ) [ م ] .

(٣٤٢) نقل الحافظ ابن عساكر (٤/١٦٦) عن الحافظ البيهقي حديث فضيل بن مرزوق أن الحسن المثني بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب سئل ف قيل له : ألم يقل رسول الله ﷺ : « من كنت مولاه فعلي مولاه » (١) ؟ فقال : « بلى ، ولكن والله لم يعن رسول الله ﷺ بذلك الإمارة والسلطان . ولو أراد ذلك لأفصح لهم به ، فإن رسول الله ﷺ كان أنصح للمسلمين . ولو كان الأمر كما قيل لقال : يا أيها الناس هذا ولي أمركم والقائم عليكم من بعدى ، فاسمعوا له وأطيعوا . والله لئن كان الله ورسوله اختاراً علياً لهذا الأمر وجعله القائم للمسلمين من بعده ثم ترك علياً أمر الله ورسوله ، لكان علياً أول من ترك أمر الله ورسوله » . ورواه البيهقي من طرق متعددة في بعضها زيادة وفي بعضها نقصان والمعنى واحد [ خ ] .

(٣٤٣) سبق الكلام في بحث مضى على بيعة علي لأبي بكر رضي الله عنه .  
ونقل فيما يلي كلاماً لطيفاً للإمام المازري نقله الحافظ في « الفتح » ٣٧٨/٧  
= بمسألة الرواية التي تقول بتأخر علي عن مبايعة أبي بكر :

(١) رواه أحمد (١/٨٤ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٥٢) ، والترمذي (٣٧١٣) ، وابن حبان (٢٢٠٢) والطبراني في الكبير (٣/١٩٩ ، ٤/٢٠٧) ، وانظر الصحيحة (١٧٥٠) . (ع) .

يعطيناها الناس بعده ، وإنى والله لا أسأله رسول الله ﷺ (٣٤٤) .

قال القاضي أبو بكر رحمته : رأى العباس عندى أصح ، وأقرب إلى الآخرة ،  
والتصريح [ بالتحقيق ] . وهذا يبطل قول مدعى الإشارة باستخلاف على ، فكيف  
أن يدعى فيه نص ؟!

فأما أبو بكر ، فقد جاءت امرأة [ إلى ] النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه . قالت  
له : فإن لم أجدك - كأنها تعنى الموت - قال : تجدين أبا بكر (٣٤٥) .

وقال النبي ﷺ لعمر وقد وقع بينه ( أى بين عمر ) وبين أبى بكر كلام ، [ فتمعر ]  
وجه النبي ﷺ (٣٤٦) ، حتى أشفق من ذلك أبو بكر ، وقال النبي ﷺ « هل أستم  
تاركو لى صاحبى ( مرتين ) . إني بعثت إليكم فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر :  
صدقت . ألا إني أبرأ إلى كل خليل من خلته » (٣٤٧) .

= « لعلى فى تخلفه مع ما اعتذر هو به - أى لأبى بكر - أنه يكفى فىبيعة  
الإمام أن يقع من أهل الحل والعقد ، ولا يجب الاستيعاب . ولا يلزم كل واحد أن  
يحضر عنده ، ويضع يده فى يده ، بل يكفى التزام طاعته والانقياد له بأن لا يخالفه .  
ولا يشق العصا عليه . وهذا كان حال على لم يقع منه إلا التأخر عن الحضور عند  
أبى بكر [م] .

(٣٤٤) رواه البخارى فى كتاب المغازى من صحيحه ( ك ٦٤ ب ٨٣ ج ٥ ص ١٤٠ ، ١٤١ ) .  
ونقله ابن كثير فى البداية والنهاية ( ٢٢٧/٥ ، ٢٥١ ) من حديث الزهرى عن عبد الله  
ابن مالك عن ابن عباس . ورواه الإمام أحمد فى مسنده ( ٢٦٣/١ ، ٣٢٥ رقم  
٢٣٧٤ ، ٢٩٩٩ ) .

(٣٤٥) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى ( ك ٦٢ ب ٥ ج ٤ ص ١٩١ ) من  
حديث جبير بن مطعم قال : أتت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه . قالت :  
أرأيت إن جئت ولم أجدك - كأنها تقول الموت - قال ﷺ : « إن لم تجدينى فأتى أبا  
بكر » [خ] .

(٣٤٦) تمعر وجهه : تغير ، وذهب ما كان فيه من النضارة ، وإشراق اللون . [ خ ] .  
(٣٤٧) فى كتاب مناقب الصحابة من صحيح البخارى ( ك ٦٢ ب ٥ ج ٤ ص ١٩٢ ) عن أبى =

وقال النبي ﷺ : « لو كنت متخذاً في الإسلام خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً . ولكن أخى ، وصاحبى » (٣٤٨) .

وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً . لا يبقين في المسجد خوذة إلا خوذة أبى بكر (٣٤٩) .

وقد قال النبي ﷺ : « بينما أنا نائم رأيتنى على قلب (٣٥٠) عليها دلو ، فنزعت منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابن أبى قحافة فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين » (٣٥١) وفى نزعه ضعف والله يغفر له ، ثم استحالت غرباً (٣٥٢) ، فأخذها ابن الخطاب ، فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر ، حتى ضرب الناس بعطن » (٣٥٣) .

وقد ثبت أن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، فرفج بهم :

= الدرداء مطولا . [ خ ] .

(٣٤٨) فى الباب المذكور من كتاب مناقب الصحابة فى صحيح البخارى ( ج ٤ ص ١٩١ ) من حديث عكرمة عن ابن عباس . [ خ ] .

(٣٤٩) فى هذه الجملة اضطراب ونقص . وانظر لهذا المعنى حديث أبى سعيد الخدرى فى ذلك الموضع من صحيح البخارى ( ج ٤ ص ١٩٠ - ١٩١ ) ، وحديث ابن عباس فى مسند أحمد ( ١ / ٢٧٠ رقم ٢٤٣٢ ) والبداية والنهاية ( ٥ / ٣٢٩ ، ٢٣٠ ) .

(٣٥٠) القلب : البئر غير المطوية [ خ ] .

(٣٥١) الذنوب : الدلو العظيمة إذا ملئت ماء . وابن أبى قحافة هو أبو بكر . [ خ ] .

(٣٥٢) أى ثم عظمت فصارت كالدلو الواسعة التى تتخذ من جلد الثور لكبرها . [ خ ] .

(٣٥٣) أى حتى اتخذ الناس محولها مبركا لإبلاهم لغزارة مائها ، والحديث فى ذلك الموضع من صحيح البخارى ( ج ٤ ص ١٩٣ ) من حديث سعيد بن المسيب عن أبى هريرة ، [ خ ] .

(\*) نظرنى فى البداية والنهاية فإذا نص الحديث : « ... لا يبقى فى المسجد باب إلا سد إلا باب أبى بكر وهكذا رواه البخارى وأحمد ... » باختصار .  
وعند مسلم : « ... لا يبقين فى المسجد خوذة إلا سدت إلا خوذة أبى بكر » . [ م ] .

فقال : « اثبت أحد ، فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان » ( ٣٥٤ ) .

وقال ﷺ : « لقد كان فيمن كان قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يكن فى أمتى منهم أحد فعمر » ( ٣٥٥ ) .

وقال النبى ﷺ لعائشة رضي الله عنها فى مرضه : « ادعى لى أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتاباً ، فإنى أخاف أن يتمنى متمنى ويقول : أنا أولى . ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » ( ٣٥٦ ) .

وقال ابن عباس : إن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنى أرى الليلة فى المنام ظلة تنطف السمن والعسل ، فأرى الناس يتكفون بأيديهم ، فالمستكثر والمستقل . وأرى سبياً واصلاً من السماء إلى الأرض فأراك أخذت به فعلوت ، ( ثم أخذ به رجل آخر فعلاً به ، ثم أخذ به رجل آخر فعلاً به ) ، ثم انقطع ، ثم وصل إليه فعلاً ( وذكر الحديث ) . ثم عبرها أبو بكر فقال : وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذى أنت عليه ، فأخذته فيعليك الله . ثم يأخذ به رجل آخر بعدك فيعلو به ، ثم يأخذ رجل آخر فيعلو به ، ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع به ثم يوصل [ له ] فيعلو به » ( ٣٥٧ ) .

( ٣٥٤ ) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح مسلم ( ك ٦٢ ب ٥ ج ٤ ص ١٩٧ ) من حديث قتادة عن أنس بن مالك [ خ ] .

( ٣٥٥ ) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى ( ك ٦٢ ب ٦ ج ٤ ص ٢٠٠ ) من حديث أبى سلمة عن أبى هريرة [ خ ] .

( ٣٥٦ ) فى مسند أحمد ( ٦ / ١٤٤ الطبعة الأولى ) من حديث الزهرى عن عروة بن الزبير عن عائشة ، وانظر المسند أيضاً ( ٦ / ٤٧ ، ١٠٦ ) وطبقات ابن سعد ( ٣ / ١ / ١٢٧ ) ومسند ( \* ) أبى داود الطيالسى : الحديث ١٥٠٨ . [ خ ] .

( ٣٥٧ ) فى كتاب التعبير من صحيح البخارى ( ك ٩١ ب ٤٧ ج ٨ ص ٨٣ ، ٨٤ ) من حديث عبد الله بن عباس ، وفى كتاب الرؤيا من صحيح مسلم ( ك ٤٧ ح ١٧ ج ٧ =

وصح أن النبي ﷺ قال ذات يوم : « من رأى منكم رؤيا ؟ فقال رجل : أنا رأيت كأن ميزانًا نزل من السماء ، فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت . ووزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر . ووزن عمر وعثمان فرجح عمر . ثم رفع الميزان . فرأينا الكراهية في وجه رسول الله ﷺ » ( ٣٥٨ ) ، ( ٣٥٩ ) .

وهذه الأحاديث جبال في البيان ، [ وحبال ] في التسبب إلى الحق لمن وفقه الله . ولو لم يكن معكم - أيها السنية - إلا قوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَتَّصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ ( ٣٦٠ ) [ التوبة : ٤٠ ] فجعلها ( ٣٦١ ) في نصيف وجعل أبا بكر في نصيف آخر وقام معه جميع الصحابة .

وإذا تبصرتم هذه الحقائق فليس يخفى منها حال الخلفاء في خلالهم وولايتهم وترتيبهم خصوصاً وعموماً . وقد قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ

= ( ص ٥٥ ، ٥٦ ) من حديث ابن عباس ، وفي مسند أحمد ( ٢٣٦ / ١ ) الطبعة الأولى رقم ( ٢١١٣ ) من حديث ابن عباس . [ خ ] .

( ٣٥٨ ) في كتاب السنة من سنن أبي داود ( ك ٣٩ ب ٨ ح ٤٦٣٤ ) من حديث أبي بكر . وفي كتاب الرؤيا من جامع الترمذي ( الباب ١٠ ) من حديث أبي بكر أيضاً . وانظر في مسند أحمد ( ٣٥٩ / ٥ ) الطبعة الأولى ( حديث أبي أمامة عن رجحان كفة أبي بكر بكفة فيها جميع الأمة ... إلخ [ خ ] .

( ٣٥٩ ) قال محقق الطحاوية هذا الحديث صحيح من طريقين ، وفي أحد الطريقين زيادة : « خلافة نبوة ، ثم يؤتى الله الملك من يشاء » فيها على بن زيد ، وهو ابن جدعان ، وفيه ضعف . [ م ] .

( ٣٦٠ ) إنه على الرغم من ثناء الله سبحانه على أبي بكر ﷺ في هذه الآية ، يؤولها بعض أعداء الإسلام ويحرفون معناها بأسلوب يضحك الشكلى ويرتفع عنه حتى المجانين لتكون ذمًا لا مدحًا لأبي بكر ﷺ فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ! [ م ] .

( ٣٦١ ) أي الأمة [ خ ] .

لَهُمْ وَلِيَدْلَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمَّا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴿ [النور : ٥٥] . وإذا لم ينفذ هذا الوعد في الخلفاء فلمن ينفذ ؟ وإذا لم يكن فيهم [ ففيمن ] يكون ؟ والدليل عليه انعقاد الإجماع أنه لم يتقدمهم في الفضيلة أحد إلى يومنا هذا ، [ وما ] بعدهم مختلف فيه ، وأولئك مقطوع بهم ، متيقن إمامتهم ، ثابت نفوذ وعد الله لهم . فإنهم ذبوا عن حوزة المسلمين ، وقاموا بسياسة الدين .

قال علماؤنا : ومن بعدهم تبع لهم من الأئمة الذين هم أركان الملة ، ودعائم الشريعة ، الناصحون لعباد الله ، الهادون من استرشد إلى الله . فأما من كان من الولاة الظلمة فضرره مقصور على الدنيا وأحكامها .

وأما حفاظ الدين فهم الأئمة العلماء الناصحون لدين الله ، وهم أربعة أصناف :  
الصف الأول : حفظوا أخبار رسول الله ﷺ ، وهم بمنزلة الخزان لأقوات المعاش .

الصف الثاني : علماء الأصول : ذبوا عن دين الله أهل العناد وأصحاب البدع ، فهم شجعان الإسلام ، وأبطاله المداعسون عنه في مآزق الضلال (٣٦٢) .

الصف الثالث : قوم ضبطوا أصول العبادات ، وقانون المعاملات ، وميزوا المحللات من المحرمات ، وأحكموا [ الجراح ] والديات ، وبينوا معاني الإيمان والندورات ، وفصلوا الأحكام في الدعاوى . فهم - في الدين - بمنزلة الوكلاء المتصرفين في الأموال .

الصف الرابع : تجردوا للخدمة ، ودأبوا على العبادة ، واعتزلوا الخلق . وهم - في الآخرة - كخواص الملك في الدنيا .

وقد أوضحنا في كتاب ( سراج المريدين ) في القسم الرابع من علوم القرآن أي المنازل أفضل من هؤلاء الأصناف ، وترتيب درجاتهم .

قال القاضي أبو بكر رحمته الله : وهذه كلها إشارات أو تصريحات أو دلالات أو

تنبيهات . ومجموع ذلك يدل على صحة ما جرى ، وتحقيق ما كان من العقلاء .

ونقول - بعد هذا البيان - على مقام آخر : لو كان هنالك نص على أبى بكر (٣٦٣) أو على على ، لم يكن بد من احتجاج على به ، أو يحتج له به غيره من المهاجرين والأنصار . فأما حديث غدير خم فلا حجة فيه ، لأنه إنما (٣٦٥) استخلفه فى حياته على المدينة كما استخلف موسى هارون فى حياته - عند سفره للمناجاة - على بنى إسرائيل . وقد اتفق الكل من إخوانهم اليهود [ قاطبة ] على أن موسى مات بعد هارون ، فأين الخلافة ؟

وأما قوله : « اللهم وال من والاه » (٣٦٦) فكلام صحيح ، ودعوة مجابة . وما يعلم أحد عاداه إلا الرافضة ، فإنهم أنزلوه فى غير منزلته ، ونسبوا إليه ما لا يليق بدرجته . والزيادة فى الحد نقصان من المحدود . ولو تعدى عليه أبو بكر ما كان المتعدى وحده ، بل جميع الصحابة - كما قلنا - لأنهم ساعدوه على الباطل . ولا تستغربوا هذا من قولهم ، فإنهم يقولون : إن النبى ﷺ كان مدارياً لهم ،

(٣٦٣) قال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية تعليقاً على الحديث السابق وقد صححه « ادعى لى أباك وأخاك أكتب لأبى بكر كتاباً لا يختلف عليه الناس من بعدى . . . » فأبى الله وعباده المؤمنون أن يتولى غير أبى بكر ، فالله هو ولاء قدرًا وشرعًا ، وأمر المؤمنين بولايته ، وهداهم إلى أن ولوه من غير أن يكون طلب ذلك لنفسه ( الفتاوى ) . ويمثل هذا الكلام تقريباً قال الإمام ابن حزم .

(٣٦٥) لعل فى هذه العبارة نقصا . فإن حديث غدير خم غير حديث استخلاف الرسول ﷺ لعلى ﷺ لما ذهب إلى تبوك .

(٣٦٦) سند صحيح ونرى تفصيل ذلك فى موضع آخر . قال ابن قتيبة فى « تأويل مختلف الحديث » : « يريد الرسول أن الولاية بينه وبين المؤمنين ، اللطف من الولاية بين المؤمنين بعضهم مع بعض ، فجعلها لعلى . . . » وقد جاءت آيات وأحاديث تفيد بأن الله ورسوله ولئ الذين آمنوا . [ م ] .



[وَمَمْتَحَنًا] (٣٦٧) بهم على نفاق وتقية . وأين أنت من قول النبي ﷺ حين سمع قول عائشة رضي الله عنها : مروا عمر فليصل بالناس : « إنكن لآتتن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس » وما قدمنا من تلك الأحاديث (٣٦٩) .

لقد اقتحموا عظيما ، ولقد افتروا كبيرا . وما جعلها عمر شورى إلا اقتداء بالنبي ﷺ وبأبي بكر ، إذ قال : « إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني ، وإن لم أستخلف فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف » (٣٧٠) . فما رد هذه الكلمات أحد . وقال : « أجعلها شورى في النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض » (٣٧١) . وقد رضي الله عن أكثر منهم ، ولكنهم كانوا خيار الرضا ، وشهد لهم بالأهلية للخلافة .

وأما قولهم تحيل ابن عوف حتى ردها لعثمان ، فلئن كانت حيلة ولم يكن سواها فلا ن الحول ليس إليه (٣٧٢) . وإذا كان عمل العباد حيلة أو كان القضاء بالحول فالحول

---

(٣٦٧) صحيح البخارى (ك ١٠ ب ٣٩ و ٤٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ج ١ ص ١٦١ - ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٧٤ ، ١٧٦) من حديث عائشة وأبي موسى الأشعري [خ] .

(٣٦٩) فى كتاب الإمارة من صحيح مسلم (ك ٣٣ ح ١١ و ١٢ ج ٦ ص ٤ - ٥) من حديث عروة بن الزبير عن ابن عمر ، ومن حديث سالم عن ابن عمر . وفى مسند أحمد (١/٤٢ رقم ٢٩٩) عن عروة عن ابن عمر ، و (١/٤٦ رقم ٣٢٢) عن حميد بن عبد الرحمن عن ابن عباس ، و (١/٤٧ رقم ٣٣٢) عن الزهرى عن سالم عن ابن عمر . [خ] .

(٣٧٠) من حديث عمرو بن ميمون المطول فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٨ ج ٤ ص ٢٠٤ - ٢٠٧) .

(٣٧١) بل إلى الله . وأن الله هو الموفق لآبن عوف وسائر إخوانه الصحابة حتى كانوا فى ذلك الموقف على ما أَرَادَهُ الله لهم من صفاء النية وإخلاص القصد والعمل لله وحده ، فكان اختيار خليفة عمر فى حادث الشورى مثلا أعلى للنفس الإنسانية عندما تكون فى أعلى مراتب النبلى ، والتجردا عن جميع خواطر الهوى .

(٣٧٢) سقطت .

والقوة لله . وقد علم كل أحد أنه لا يليها إلا واحد ، فاستبد عبد الرحمن بن عوف بالأمر - بعد أن أخرج نفسه - على أن يجتهد للمسلمين في الأسد والأشد ، فكان كما فعل ، وولاهما من استحقها ، ولم يكن غيره أولى منه بها ، حسبما بينا في « مراتب الخلافة » من ( أنوار الفجر ) ( ٣٧٣ ) ، وفي غيره من ( كتب ) الحديث .

وقتل عثمان ، فلم يبق على الأرض أحق بها من عليٍّ فجاءته على قدر ، في وقتها ومحلها وبين الله على يديه من الأحكام والعلوم ما شاء الله أن يبين . وقد قال عمر « لولا عليٌّ لهلك عمر » ( ٣٧٤ ) ، ( ٣٧٥ ) وظهر من فقهه وعلمه في قتال أهل القبلة - من استدعائهم ومناظرتهم ، وترك مبادرتهم ، والتقدم إليهم قبل نصب الحرب معهم ، وندائه : لا تبدؤوا بالحرب ، ولا يتبع حول ، ولا يجهز على جريح ، ولا تهاج امرأة ، [ ولم يغنم ] لهم مالا - وأمره بقبول شهاداتهم ، والصلاة خلفهم ، حتى قال أهل العلم : لولا ما جرى ما عرفنا حكم قتال أهل البغي .

وأما خروج طلحة والزبير فقد تقدم بيانه ( ٣٧٦ ) .

وأما تكفيرهم للخلق ، فهم الكفار . وقد بينا أحوال أهل الذنوب [ الذين ] ليس منهم ( عليها شر ) في غير ما كتاب ، وشرحناها في كل باب .

( ٣٧٣ ) هو التفسير الكبير لابن العربي في ثمانين مجلدا . [ خ ] .

( ٣٧٤ ) لم نجد هذا الحديث في الكتب المعتمدة التي استطعنا الاطلاع عليها ولعله لا يصح مع اعترافنا بفضل عليٍّ وعلمه [ م ] .

( ٣٧٥ ) هذا مع قول النبي ﷺ فيه : أول من يضافحه الحق عمر (١) وقوله ﷺ : « إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به (٢) » ، وقوله ﷺ : « لو كان من بعدى نبي لكان عمر » (٣) . [ خ ] .

( ٣٧٦ ) وأنه كان خروجًا للتفاهم والتعاون على إقامة الحدود الشرعية في مقتل أمير المؤمنين عثمان . [ م ] .

(١) رواه الحاكم (٨٤/٣) ، وابن ماجة (١٠٤) ، وانظر ( ميزان الاعتدال (٢٦٣١) (ع) .

(٢) رواه أحمد (١٦٥/٥) ، وأبو داود (٢٩٦٢) ، وابن ماجة (١٠٨) ، وابن أبي عاصم ( ٥٨١ / ٢ ) (ع) .

(٣) رواه الحاكم (٨٥/٣) ، والترمذی (٣٦٨٦) ، والطبرانی (٢٩٨/١٧) ، وانظر الصحيحة (٣٢٧) (ع) .

فإن قيل : فقد قال العباس فى علىّ ما رواه الأئمة أن العباس وعلىّ اختصما عند عمر فى شأن أوقاف رسول الله ﷺ ، فقال العباس لعمر : يا أمير المؤمنين ، اقض بينى وبين هذا الظالم الكاذب [ الغادر ] الأثم الخائن (٣٧٧) . فقال الرهط لعمر : يا أمير المؤمنين ، اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر . فقال عمر : أنشدكم الله الذى يأذنه تقوم السماء والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « لا نورث ، ما تركنا صدقة » يريد بذلك نفسه ؟ قالوا : قد قال ذلك . فأقبل على العباس وعلىّ فقال : أنشدكما الله ، هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قال ذلك ؟ قالوا : نعم . قال عمر : إن الله خص رسول الله ﷺ فى هذا الفىء لم يعطه أحداً غيره ، فعمل فيها رسول الله ﷺ حياته ، ثم توفى ، فقال أبو بكر : أنا ولى رسول الله ﷺ ، فقبضها ستين فى إمارته فعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ . وأنتما تزعمان أن أبا بكر ، كاذب غادر خائن (٣٧٨) ، والله ليعلم أنه لصادق بار راشد تابع للحق ... وذكر الحديث .

(٣٧٧) تقدم ذكر هذا التقاضى بين العباس وعلىّ عند أمير المؤمنين عمر من حديث مالك بن أوس بن الحدثان النصرى فى صحيح البخارى . قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ( ك ٥٧ ب ١ ج ٦ ص ١٢٥ ) : زاد شعيب ويونس : « فاستبّ على والعباس » وفى رواية عقيل عن ابن شهاب فى الفرائض : « اقض بينى وبين هذا الظالم . استبّا » وفى رواية جويرية « وبين هذا الكاذب الأثم الغادر الخائن » . قال الحافظ : ولم أر فى شىء من الطرق أنه صدر من علىّ فى حق العباس شىء ، بخلاف ما يفهم من قوله فى رواية عقيل « استبّا » . واستصوب المازرى صنيع من حذف هذه الألفاظ من هذا الحديث وقال : لعل بعض الرواة وهم فيها وإن كانت محفوظة ، فأجود ما تحمل عليه أن العباس قالها دلالة علىّ علىّ ، لأنه كان عنده بمنزلة الولد ، فأراد رده عما يعتقد أنه مخطئ فيه . [ خ ] .

(٣٧٨) قال الحافظ ابن حجر ( ١٢٥/٦ ) : وكان الزهرى يحدث به تارة فيصرح ، وتارة فيكنى ، وكذلك مالك ، وقد حذف ذلك فى رواية بشر بن عمر عنه عند الإسماعيلى وغيره ، وهو نظير ما سبق من قول العباس لعلىّ . [ خ ] .

قلنا : أما قول العباس لعلی فقول الأب للابن ، وذلك على الرأس محمول ، وفي سبيل المغفرة مبذول ، وبين الكبار والصغار - فكيف الآباء والأبناء - مغفور موصول . وأما قول عمر إنهما اعتقدا أن أبا بكر ظالم خائن غادر [ وكذلك اعتقدا فيه ] ، فإنما ذلك خبر عن الاختلاف في نازلة وقعت من الأحكام ، رأى فيها هذا رأياً ورأى فيها أولئك رأياً ، فحكم أبو بكر وعمر بما رأيا ، ولم ير العباس وعلى ذلك .

ولكن لما حكما سلما لحكمهما كما يسلم لحكم القاضي في المختلف فيه . وأما المحكوم عليه فرأى أنه قد وهم ، ولكن سكت وسلم .

فإن قيل : إنما يكون ذلك في أول الحال - والأمر لم يظهر - إذا كان الحكم باجتهاد ، وإنما كان هذا الحكم على منع فاطمة والعباس الميراث بقول النبي ﷺ « لا نورث ، ما تركناه ، صدقة » وعلمه أزواج النبي ﷺ وأصحابه العشرة وشهدوا به ، فبطل ما قلتموه .

قلنا : يحتمل أن يكون ذلك في أول الحال - والأمر لم يظهر بعد - فرأيا أن خبر الواحد في معارضة القرآن والأصول والحكم المشهور في الزمن لا يعمل به حتى يتقرر الأمر ، فلما تقرر سلما وانقادا ، بدليل ما قدمنا من الحديث الصحيح إلى آخره ، فلينظر فيه .

وهذا أيضا ليس بنص في المسألة لأن قوله : « لا نورث ، ما تركناه صدقة » يحتمل أن يكون : لا يصح ميراثنا ، ولا أنا أهل له ، لأنه ليس لى ملك ، ولا تلبست بشيء من الدنيا ينتقل إلى غيرى عنى . ويحتمل « لا نورث » حكم ، وقوله « ما تركناه صدقة » حكم آخر معين أخبر به أنه قد أنفذ الصدقة فيما كان بيده من سهمه المتصير إليه بتسوية الله له ، وكان [ من ] ذلك مخصوصاً بما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، وكان له سهمه مع المسلمين فيما غنموه بما أخذوه عنوة ويحتمل أن يكون « صدقة » منصوباً على أن يكون حالا من المتروك . وإلى هذا

أشار أصحاب أبي حنيفة ، وهو ضعيف وقد بيناه في موضعه . بيد أنه يأتيك [من] هذا أن المسألة مجرى الخلاف ، ومحل الاجتهاد (٣٨٠) ، وأنها ليست بنص من النبي ﷺ فتحتمل التصويب والتخطئة من المجتهدين . والله أعلم .

\* \* \*

---

(٣٨٠) ولعل فاطمة وعليًا والعباس عليهم السلام أخذوا بهذا الاجتهاد ، فهم مأجورون على كل حال . ولا شك أن عليًا إذا كان أخذ به ، فقد رجع عنه مادام لم ينفذه في خلافته . [م]

### قاصمة

ثم قتل على . قالت الرافضة : فعهد إلى الحسن ، فسلمها الحسن إلى معاوية ، فقبل له « مسودّ وجوه المؤمنين » (٣٨١) وفسقته جماعة من الرافضة ، وكفرته طائفة لأجل ذلك .

\*\*\*

(٣٨١) من عناصر إيمان الرافضة - بل العنصر الأول في إيمانهم - اعتقادهم بعصمة الحسن وأبيه وأخيه ، وتسعة من ذرية أخيه . ومن مقتضى عصمتهم - وفي طليعتهم الحسن بعد أبيه - أنهم لا يخطئون ، وأن ما صدر عنهم فهو حق ، والحق لا يتناقض . وأهم ما صدر عن الحسن بن علي بيعته لأمر المؤمنين معاوية ، وكان ينبغي لهم أن يدخلوا في هذه البيعة ، وأن يؤمنوا بأنها الحق لأنها من عمل المعصوم عندهم . لكن المشاهد من حالهم أنهم كافرون بها . ومخالفون فيها لإمامهم المعصوم . ولا يخلو هذا من أحد وجهين : فإما أنهم كاذبون في دعوى العصمة لأئمتهم الاثنى عشر ، فينهار دينهم من أساسه ، لأن عقيدة العصمة لهم هي أساسه ، ولا أساس له غيرها . وإما أن يكونوا معتقدين بعصمة الحسن ، وأن بيعته لمعاوية هي من عمل المعصوم ، لكنهم خارجون على الدين ، مخالفون للمعصوم فيما جنت إليه وأراد أن يلقي الله به ، ويتواصون بهذا الخروج علي الدين جيلا بعد جيل ، وطبقة بعد طبقة ، ليكون ثباتهم علي مخالفة الإمام المعصوم عن إصرار وعناد ومكابرة وكفر . ولا ندري أى الوجهين يطوّر بهم في مهاوى الهلكة أكثر مما يطوح بهم الوجه الآخر ، ولا ثالث لهما . فالذين قالوا منهم أن الحسن « مسود وجوه المؤمنين » لا يحمل كلامهم إلا على أنه « مسود وجوه المؤمنين بالطاغوت » أما المؤمنون بنبوّة جدّ الحسن ﷺ فيرون صلحه مع معاوية وبيعته له من أعلام النبوة ، لأنها حققت ما تنبأ به ﷺ في سبطه سيد شباب أهل الجنة من أنه سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين كما سيأتى بيانه . وكل الذين استبشروا بهذه النبوة وبهذا الصلح يعدون الحسن « مبيض وجوه المؤمنين » [ خ ] .

## عاصمة

قال القاضي أبو بكر رحمته الله : أما قول الرافضة أنه عهد إلى الحسن فباطل . ما عهد إلى أحله (٣٨٢) . ولكن البيعة للحسن منعقدة ، وهو أحق من معاوية ومن كثير [من] غيره . وكان خروجه لمثل ما خرج إليه أبوه من دعاء الفئة الباغية إلى الانقياد للحق والدخول في الطاعة . فآلت الوساطة إلى أن تخلى عن الأمر صيانة لحقن دماء الأمة (٣٨٣)

(٣٨٢) روى الإمام أحمد في مسنده (١/ ١٣٠ برقم ١٠٧٨) عن وكيع عن الأعمش عن سالم ابن أبي الجعد عن عبد الله بن سبع قال : سمعت علياً يقول ( وذكر أنه سيقتل ) قالوا : فاستخلف علينا . قال : لا ، ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله ﷺ . قالوا : فما تقول لربك إذا أتيت؟ قال : أقول : اللهم تركتني فيهم ما بدا لك ، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم ، فإن شئت أصلحتهم ، وإن شئت أفسدتهم . وروى أحمد مثله ( ١/ ١٥٦ برقم ١٣٣٩ ) عن أسود بن عامر عن الأعمش عن سلمة ابن كهيل عن عبد الله بن سبع . والخبران إسنادهما صحيح . ونقل الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ( ٥/ ٢٥٠ - ٢٥١ ) عن الإمام البيهقي من حديث حصين ابن عبد الرحمن عن الإمام الشعبي عن أبي وائل شقيق بن سلمة الأسدي أحد سادة التابعين أنه قيل لعلي : ألا تستخلف علينا ؟ قال : « ما استخلف رسول الله ﷺ فاستخلف ، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدى على خيرهم ، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم » . وهذا الحديث جيد الإسناد . ونقل ابن كثير أيضاً ( ٧/ ٣٢٣ ) عن الإمام البيهقي حديث حبيب بن أبي ثابت الكاهلي الكوفي عن ثعلبة ابن يزيد الحماني ( وهو من شيعة الكوفة وثقه النسائي ) أنه قيل لعلي : ألا تستخلف؟ فقال : « لا ، ولكن أترككم كما ترككم رسول الله ﷺ » . وانظر السنن الكبرى للبيهقي ٨ / ١٤٩ . [ خ ] .

(٣٨٣) وتأم الحديث : أنا محمد ، وأحمد والمقفى ، والحاشر ، ونبي التوبة ، ونبي الرحمة ، ونبي الملحمة . رواه الطيالسي وأحمد في المسند وغيرهما وسنده صحيح كما قال محقق الجامع الصغير وزيادته [ م ] .

وتصديقاً [ لوعده ] نبي الملحمة (٣٨٤) حيث قال على المنبر : « ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » (٣٨٥) . فنفذ الميعاد ، وصحت البيعة لمعاوية وذلك لتحقيق رجاء النبي ﷺ . فمعاوية خليفة ، وليس بملك .

فإن قيل : فقد روى عن سفينة أن النبي ﷺ قال : « الخلافة ثلاثون سنة ، ثم تعود ملكاً » فإذا عددنا من ولاية أبي بكر إلى تسليم الحسن كانت ثلاثين سنة لا تزيد ولا تنقص يوماً . قلنا :

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

(٣٨٤) حكاية الوساطة بين الحسن ومعاوية وصلحهما رواها الإمام البخارى فى كتاب الصلح من صحيحه ( ك ٥٣ ب ٩ ج ٣ ص ١٦٩ ) عن الإمام الحسن البصرى قال : استقبل - والله - الحسن بن علىّ معاوية بكتائب أمثال الجبال . فقال عمرو بن العاص : إني لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها فقال له معاوية - وكان والله خير الرجلين - : أى عمرو ، أن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لى بأمور الناس ، من لى بنسائهم ، ومن لى بضيعتهم ؟ فبعث إليه رجلين من قریش من بنى عبد شمس - عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كرز - فقال : اذهبإلى هذا الرجل ( أى إلى الحسن بن على ) فاعرضأ عليه ( أى ما يشاء ) ، وقولا له ( أى ما يرضيه ) ، واطلبإليه ( أى ما تريان فيه المصلحة فائتما مفوضان ) . فأتياه ، فدخلأ عليه ، فتكلما ، وقالأ له ، وطلبأ إليه . فقال لهما الحسن بن على : إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال ، وإن هذه الأمة قد عاثت فى دمائهم ( أى فيحتاج إرضأؤها فى دمائها إلى مال كثير ) قالأ : فإنه يعرض عليك كذا وكذا ، ويطلب إليك ، ويسألك . قال : فمن لى بهذا ؟ قالأ : نحن لك به فما سألهما شيئاً إلا قالأ : نحن لك به فصالحه . [ خ ] .

(٣٨٥) رواه البخارى مع الحديث السابق عن الحسن البصرى أنه سمعه من أبى بكره وأن أبأ بكره رأى النبي ﷺ وهو على المنبر والحسن بن على إلى جنبه فقال ذلك . ورواه البخارى أيضاً فى مناقب الحسن والحسين من كتاب فضائل الصحابة من صحيحه =



هذا الحديث (٣٨٧) فى ذكر الحسن بالبشارة والثناء عليه ، لجريان الصلح [ على ] يديه ، وتسليم الأمر لمعاوية ، عقد منه له (٣٨٨) .

وهذا (٣٨٩) حديث لا يصح (٣٩٠) . ولو صح فهو معارض بهذا الصلح المتفق

= ( ك ٦٢ ب ٢٢ ج ٤ ص ٢١٦ ) وانظر البداية والنهاية ( ١٧ / ٨ - ١٩ ) وابن عساكر ( ٢١١ / ٤ - ٢١٢ ) [ خ ] .

(٣٨٧) أى حديث « إن ابني هذا سيد » الذى رواه البخارى عن الحسن البصرى عن أبى بكر . [ خ ] .

(٣٨٨) أى عقد بيعة من الحسن لمعاوية ، وكان ذلك فى موضع يقال له « مسكن » على نهر دجيل فى ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، فسمى ذلك العام « عام الجماعة » لاجتماع المسلمين بعد الفرقة ، وتفرغهم للحروب الخارجية والفتوح ونشر دعوة الإسلام بعد أن عطل قتلة عثمان سيوف المسلمين عن هذه المهمة نحو خمس سنوات كان يستطيع المسلمون أن يسجلوا فيها أمجاداً لا يستطيع غيرهم مثلها فى خمسة قرون . ولله فى كل شيء حكمة . [ خ ] .

(٣٨٩) أى حديث سفينة . [ خ ] .

(٣٩٠) لأن رواه عن سفينة سعيد بن جهمان ، وقد اختلفوا فيه : قال بعضهم لا بأس به ، ووثقه بعضهم ، وقال فيه الإمام أبو حاتم « شيخ لا يحتج به » . وفى سنده حشر ابن نباتة الواسطي وثقه بعضهم ، وقال فيه النسائي « ليس بالقوى » . وعبد الله بن أحمد بن حنبل يروى هذا الخبر عن سويد الطحان قال فيه الحافظ ابن حجر فى تقريب التهذيب : « لين الحديث » وهذا الحديث المهلهل يعارضه ذلك الحديث الصحيح الصريح الفصيح فى كتاب الإمارة من صحيح مسلم ( ك ٣٣ ح ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ج ٦ ص ٣ ، ٤ ) عن جابر بن سمرة قال : دخلت مع أبى على النبى ﷺ فسمعتة يقول : « إن هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضى فيهم إنا عشر خليفة » قال : ثم تكلم بكلام خفى على ، فقلت أبى : ما قال ؟ قال : « كلهم من قریش » . وانظره فى كتاب الأحكام من صحيح البخارى ( ك ٩٣ ب ٥١ ج ٨ ص ١٢٥ - ١٢٧ ) وفى فتح الباري ( ١٣ / ١٦٢ وما بعدها ) وفى سنن أبى داود ( ك =

= ٣٥ ح ١) وفي جامع الترمذى (ك ٣١ ب ٤٦) وفي مسند الإمام أحمد (١/٣٩٨، ٤٠٦ برقم ٣٧٨١ و ٣٨٥٩) من حديث الشعبي عن مسروق بن الأجدع الهمداني الإمام القدوة قال : كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن، هل سألتُم رسول الله ﷺ : ما سألتني أحد منذ قدمت العراق قبلك . ثم قال : نعم ، ولقد سألنا رسول الله ﷺ فقال : « اثنا عشر ، كعدة نقيب بني إسرائيل <sup>(٥)</sup> » . والحديث في مجمع الزوائد (٥ / ١٩٠) . وفي مسند أحمد (٥ / ٨٦ و ٨٧ بثلاث روايات و ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ بثلاث روايات و ٩٢ بثلاث روايات و ٩٣ بروايتين و ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ بروايتين و ٩٧ بروايتين و ٩٨ بثلاث روايات، ٩٩ بثلاث روايات ، ١٠٠ ، ١٠١ بروايتين ، ١٠٦ بروايتين ، ١٠٧ بروايتين ، ١٠٨ ) وفي مسند أبي داود الطيالسي (ح ٩٦٧ ، ١٢٧٨) . [ خ ] .  
وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في « قاعدة » .

وهذا الحديث لا يعارض الصلح بين الحسن ومعاوية كما ادعى أبو بكر بن العربي، كما أنه لا يعارض حديث : ( أن هذا الأمر لا ينتضى حتى يمضى اثنا عشر خليفة ) كما ادعى محب الدين الخطيب فقد جاء في رواية أبي داود بلفظ : « خلافة النبوة ثلاثون عاماً » ومعنى هذا أن هناك خلفاء غيرهم على غير النبوة ولا مانع من تسميتهم بالخلفاء ، فقد قال الإمام ابن تيمية : « يجوز تسمية من بعد الخلفاء الراشدين خلفاء ، وإن كانوا ملوكاً ، ولم يكونوا خلفاء بدليل ما رواه البخاري ومسلم في « صحيحيهما » عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي ، وأنه لا نبي بعدى . وستكون خلفاء ، فتكثر ، قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : فوا بيعة الأول ، فالأول ، وأعطوهم =

(٥) أن حديث « الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون بعد ذلك ملكاً » صححه الحافظ في التريب ، وحسنه الترمذى ، وابن حبان وغيرهم .

وقلت : هو صحيح رواه أحمد (٢١٨١٦ ، ٢١٨٢٠ ، ١٨٢٥) ، والترمذى (٢٢٢٦) ، والطبراني في الكبير (٦٤٤٢) ، وابن حبان (٢٥٣٤) ، والبيهقي في الدلائل (٣٤٢/٦) ، وأبو داود (٤٦٣٥) ، وانظر الصحيحة (٤٥٩) ، وصحيح الجامع (٣٣٤١) ، وصححه الترمذى (١٨/٣) ، والنهاية لابن كثير مخفقي ص ١١ (ع) .

عليه ، فوجب الرجوع إليه (٣٩١) .

فإن قيل : ألم يكن فى الصحابة أقعد بالأمر من معاوية ؟

قلنا : كثير (٣٩٢) . ولكن معاوية اجتمعت فيه خصال : وهى أن عمر جمع له الشامات كلها وأفرده بها (٣٩٣) .

= حقهم ، فإن الله سائلهم عما استرعاهم » .

وكلمة « تكثر » تفيد الكثرة ، ولا يمكن حصرها بالخلفاء الراشدين الأربعة .

[م]

(٣٩١) أى إلى العقد من الحسن لمعاوية ، فهو متفق عليه ، وتناولته البشرى النبوية بالثناء والرضا . قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة ( ٢ / ٢٤٢ ) : وهذا الحديث يبين أن الإصلاح بين الطائفتين كان ممدوحا يحبه الله ورسوله ، وأن ما فعله الحسن من ذلك كان من أعظم فضائله ومناقبه التى أثنى بها عليه النبى ﷺ . ولو كان القتال واجبا أو مستحبا لم يثن النبى ﷺ بترك واجب أو مستحب . . إلخ [ خ ] .

(٣٩٢) كسعد بن أبى وقاص المجاهد الفاتح أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وعبد الله بن عمر ابن الخطاب عالم الصحابة الثابت على قدم المصطفى ﷺ فى جليل الأمور ودقيقها ، وغيرهما من هذه الطبقة وقريب منها ، وهؤلاء هم الذين ترك لهما الحكماء - أبو موسى وعمرو - أمر الإمامة بعد حرب صفين ليروا فيها رأيهم ، فلما رأوا اجتماع الأمة كلها على معاوية دخلوا كلهم فى إمامته وبإيعوه ، بعد أن كانوا معتزلين الفتنة من بعد عثمان ( انظر فتح البارى ١٣ / ٥٠ ) . ومعاوية نفسه يعرف للناس أقدارهم . فقد جاء فى البداية والنهاية ( ٨ / ١٣٤ ) عن ابن دريد عن أبى حاتم عن العتبى أن معاوية خطب فقال : « أيها الناس ، ما أنا بخيركم ، وإن منكم لمن هو خير منى : عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو وغيرهما من الأفاضل . ولكن عسى أن أكون أنفعكم ولاية ، وأنكأكم فى عدوكم وأدركم حلبا » ورواه ابن سعد عن محمد بن مصعب عن أبى بكر بن أبى مريم عن ثابت مولى معاوية أنه سمع معاوية يقول ذلك . [ خ ] .

(٣٩٣) فأصبحت تحت قيادته وبحسن سياسته أقوى قوة فى الإسلام ، وهى فى طليعة جيوش =

لما رأى من حسن سيرته (٣٩٤) ، وقيامه بحماية البيضة وسد الشغور (٣٩٥) ، وإصلاح الجند والظهور على العدو (٣٩٦) . . . . .

= الجهاد والفتوح الظافرة الداعية إلى الله بأخلاقها وسيرتها وحكمة قادتها وصدق إسلامهم . [ خ ] .

(٣٩٤) تقدم حديث الليث بن سعد إمام أهل مصر بسنده الوثيق إلى سعد بن أبي وقاص فاتح العراق وإيران ومبید دولة كسرى أنه ما رأى بعد عثمان أفضى بالحق من معاوية . وحديث عبد الرزاق الصنعاني بسنده إلى حبر الأمة ابن عباس أنه ما رأى رجلاً أخلق بالملك من معاوية . وفي قول شيخ الإسلام ابن تيمية : كانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سير الولاة ، وكان رعيته يحبونه ، وقد ثبت في صحيح مسلم ( ك ٣٣ ح ٦٥ ، ٦٦ ) قول النبي ﷺ « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، ويصلون عليكم وتصلون عليهم » . وفي الطبري ( ٦ / ١٨٨ ) رواية مجالد عن الشعبي أن قبيصة بن جابر الأسدي قال : ألا أخبركم من صحبت ؟ صحبت عمر بن الخطاب فما رأيت رجلاً أفقه فقها ولا أحسن مدراسة منه . ثم صحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت رجلاً أعطى للجزيل من غير مسألة منه ، ثم صحبت معاوية فما رأيت رجلاً أحب رفيقاً ولا أشبه سريرة بعلانية منه . [ خ ] .

(٣٩٥) وقد بلغ من همته وعظيم عنايته بذلك أن أرسل يهدد ملك الروم وهو في معمة القتال مع على في صفين - وقد بلغه أن ملك الروم اقترب من الحدود في جنود عظيمة ، فكتب إليه يقول : « والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك ، لأصطلحن أنا وابن عمي عليك ، ولأخرجنك من جميع بلادك ، ولأضيغن عليك الأرض بما رحبت » فخاف ملك الروم واتكف ( البداية والنهاية ٨ / ١١٩ ) [ خ ] .

(٣٩٦) في البر والبحر ، فكانت رايات الإسلام تخترق الآفاق بأيدي جنده ممثلة العزة التي أرادها الله لدينه ورسالة رسوله وللمؤمنين بهما . وكما أن فتح مصر ودخولها في الإسلام والعروبة من عمل عمرو بن العاص وحده ، فإن تأسيس الأسطول الإسلامي والفتوح البحرية الأولى من عمل معاوية وحده . وما ينبغي للمشتغل بتاريخ العروبة والإسلام أن يعلمه أن معاوية مفلطور على سجية السيادة والقيادة وصناعة الحكم ، =

وسياسة الخلق (٣٩٧) ، (٣٩٨) . وقد شهد له في صحيح ،

=أخرج ابن كثير في التاريخ (١٣٥/٨) عن هشيم عن العوام بن حوشب عن جبلة ابن سحيم أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : « ما رأيت أحداً أسود من معاوية » . قال جبلة بن سحيم : قلت ولا عمر ؟ قال : « كان عمر خيراً منه ، وكان معاوية أسود منه » . ورووا مثل هذه الكلمة في معاوية عن عبد الله بن عمرو بن الخطاب . وتقدم قول عبد الله بن عباس « ما رأيت رجلاً كان أخلق بالملك من معاوية » [خ] .

(٣٩٧) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (١٨٥/٣) : لم يكن من ملوك الإسلام ملك خيراً من معاوية ، ولا كان الناس في زمان ملك من الملوك خيراً منهم في زمن معاوية ، إذا نسبت أيامه إلى أيام من بعده . وإذا نسبت إلى أيام أبي بكر وعمر ظهر التفاضل . وقد زوى أبو بكر الأثرم - ورواه ابن بطة من طريقه - حدثنا محمد بن عمرو بن جبلة ، حدثنا محمد بن مروان ، عن يونس ، عن قتادة قال : لو أصبحتم في مثل عمل معاوية لقال أكثركم : هذا المهدي . وورى ابن بطة بإسناده الثابت من وجهين عن الأعمش عن مجاهد قال : لو أدركتم معاوية لقلت هذا المهدي . وروى الأثرم : حدثنا محمد بن حواش ، حدثنا أبو هريرة المكتب قال : كنا عند الأعمش فذكروا عمر بن عبد العزيز وعدله ، فقال الأعمش : فكيف لو أدركتم معاوية ؟ قالوا في حلمه ؟ قال : لا والله ، بل في عدله . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : أخبرنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة الثقفي ، عن أبي إسحاق السبيعي أنه ذكر معاوية فقال : لو أدركتموه أو أدركتم أيامه لقلت : كان المهدي . وهذه الشهادة من هؤلاء الأئمة الأعلام لأمير المؤمنين معاوية صدى استجابة الله عز وجل دعاء نبيه ﷺ لهذا الخليفة الصالح يوم قال ﷺ « اللهم اجعله هادياً ، مهدياً ، واهد به » (٥٥) وهو من أعلام النبوة . [خ] .

(٣٩٨) رواه الترمذي وحسنه ، وهو صحيح الإسناد كما في تحقيق مشكاة المصابيح . [م] .  
قال الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه « ما رأيت أحداً بعد عثمان أفضى =

(٥٥) يكفى معاوية رضي الله عنه أنه كان كاتب الوحي للنبي ﷺ وجاء في كتاب البداية والنهاية للحافظ ابن كثير . (١٣٣/٨)

= بحق من صاحب هذا الباب « يعنى معاوية .

وروى عن على بن أبى طالب قوله عنه بعد المصالحة التى جرت سنة ٤٠ هـ  
والتى أسفرت عن اعتراف على بحكمه فى الشام ، واعتراف معاوية بحكم على فى  
العراق : أيها الناس لا تكرهوا إمارة معاوية ، فإنكم لو فقدتموه رأيتم الرؤوس تندر  
عن كواهلها كأنها الحنظل .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : « ما رأيت رجلاً أخلص بالملك من معاوية . وقال  
الصحابى عمير بن سعد الأنصارى الأوسى ، وقد عزله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن  
حمص وولى معاوية رضي الله عنه : لا تذكروا معاوية إلا بخير ، فإنى سمعت رسول الله  
ﷺ يقول : « اللهم اهد به .. » وهذا من غام إنصاف عمير رضي الله عنه .

وقال الصحابى الجليل أبو الدرداء لأهل الشام : « ما رأيت أحداً أشبه صلاة  
بصلاة رسول الله ﷺ من معاوية » .

وقد روى ابن قتيبة عن عتبة بن مسعود قال : إنه لما مر بنا نعى معاوية قمنا فأتينا  
ابن عباس فوجدناه جالساً قد وضع له الخوان وعنده نفر ، فأخبرناه الخبر ، فقال يا  
غلام ! ارفع الخوان وسكن ساعة ثم قال : جبل تززع ثم مال كلعله . أما والله ما  
كان كمن كان قبله ، ولكن لن يكون بعده مثله ، وإن ابنه خير أهله .

وقال الأعمش للذين ذكروا عنده عمر بن عبد العزيز وعدله ، « كيف لو أدركتم  
معاوية ! » قالوا فى حلمه ؟! قال : لا والله بل فى عدله ، وقد مر معنى ذلك .

وقال قبيصة لجماعته : ألا أخبركم من صحبت ؟! صحبت عمر بن الخطاب ،  
فما رأيت رجلاً أفقه فقهاً ولا أحسن مدارس منه ثم صحبت طلحة فما رأيت رجلاً  
أعظم للجزيل من غير مسألة منه . ثم صحبت معاوية ، فما رأيت رجلاً أحب رفيقاً  
ولا أشبه سريرة بعلانية منه ( هذه الأقوال منقولة عن تاريخ الطبرى وعن البداية  
والنهاية ) .

وقال الإمام ابن تيمية فى منهاج السنة ( ١٨٩ / ٣ ) وكانت سيرة معاوية مع رعيته  
من خيار سيرة الولاة . وقد كانت رعيته يحبونه . وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى

ﷺ أنه قال : « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم . وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم » (١) .  
هذه بعض شهادات الصحابة والتابعين في معاوية رضي الله عنه وآراء بعض العلماء والمؤرخين . وقد رأينا ما قال بحقه النبي ﷺ ، فمن أبغضه فقد أنكر ما جاء في السنة عن رسول الله ﷺ في حقه وطعن في ثناء الصحابة والتابعين عليه .

روى الحافظ ابن عساكر عن الإمام أبي زرعة الرازي أنه قال له رجل : إني أبغض معاوية . فقال له : ولم ؟ قال : لأنه قاتل علياً . فقال له أبو زرعة ويحك ! إن رب معاوية رحيم ، وخصم معاوية خصم كريم ، فإيش دخولك أنت بينهما رضي الله عنهما .

وقبل أن ننهي الكلام على شهادات الصحابة والتابعين وآراء العلماء في معاوية ننقل رأياً طريفاً للمؤرخ العلامة ابن خلدون في اعتبار معاوية من الخلفاء الراشدين فقد قال :

إن دولة معاوية وأخباره كان ينبغي أن تلحق بدول الخلفاء الراشدين وأخبارهم فهو تاليهم في الفضل والعدالة والصحة ( تاريخ ابن خلدون ٢/٤٥٨ ) .

ونذكر جميع هذه الشهادات ، وقبلها الأحاديث النبوية في فضل معاوية ، مع اعترافنا يشهد الله بفضل علي ، وأنه أفضل منه والحق غالبه معه ، وكل كان مجتهداً . وقد جاء في الحديث الصحيح « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر » (٢) رواه البخاري ومسلم رحمهما الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث إلى معاوية ليكتب له ، فقال : إنه يأكل ، ثم بعث إليه ، فقال : إنه يأكل ، فقال رسول الله ﷺ : « لا أشبع الله بطنه » رواه أبو داود وسنده صحيح (٣) .

قد يستغل بعض الفرق هذا الحديث ليتخذوا منه مطعناً في معاوية رضي الله عنه ، =

(١) صحيح : وقد تقدم تخريجه .

(٢) صحيح : وتقدم تخريجه ( ع ) .

(٣) رواه مسلم في البر والصلة بـ ٢٥ برقم (٩٥) والبيهقي في دلائل النبوة ( ٢٤٣/٦ ) ، وانظر الصحيحة (٨٢) ( ع ) .

الحديث بالفقه (٣٩٩) ، وشهد بخلافته في حديث أم حرام أن ناساً من أمته يركبون

= وليس فيه ما يساعدهم على ذلك ، كيف وفيه أنه كان كاتب النبي ﷺ !؟ فالظاهر أن هذا الدعاء منه ﷺ غير مقصود ، بل هو مما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية كقوله ﷺ في بعض نسائه : تربت يمينك . ويمكن أن يكون ذلك منه ﷺ بباعث البشرية التي أفصح عنها هو نفسه ﷺ في أحاديث كثيرة متواترة منها حديث عائشة رضي الله عنها : « . . . أو ما علمت ما شارطت عليه ربي ؟ قلت اللهم إنما أنا بشر ، فأى المسلمين لعنته أو سببته ، فاجعله له زكاة وأجرًا » رواه مسلم ( رجع الأحاديث الصحيحة ٩٥/١ ) [ م ] .

(٣٩٩) في كتاب مناقب الصحابة من صحيح البخارى ( ك ٦٢ ب ٢٨ ج ٤ ص ٢١٩ ) حديث ابن أبي مليكة أن ابن عباس قيل له : « هل لك في أمير المؤمنين معاوية ، فإنه ما أوتر إلا بواحدة . فقال : إنه فقيه » . وفي كتاب المناقب من جامع الترمذى ( ك ٤٦ ب ٤٧ ) حديث عبد الرحمن بن أبي عميرة المزنى عن النبي ﷺ أنه قال لمعاوية « اللهم اجعله هادياً مهدياً واحداً به (\*) » . رواه الطبراني من طريق سعيد بن عبد العزيز التنوخي - وكان لأهل الشام كالإمام مالك لأهل المدينة - عن ربيعة بن يزيد الإيادي أحد الأئمة الأعلام عن عبد الرحمن بن أبي عميرة أن النبي ﷺ قال لمعاوية « اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب » . وأخرجه الإمام البخارى في التاريخ قال : قال لى أبو مسهر ( وذكره بالنعنة (\*\*\*) ) . وتقدم حديث عزل عمير بن سعد الأنصارى عن ولاية حمص في خلافة عمر وتوليته معاوية والشهادة له بأن النبي ﷺ دعا له بأن يهدى الله به . ورواه الإمام أحمد من حديث العرباض بن سارية السلمى . ورواه ابن جرير من حديث ابن مهدي . ورواه أسد بن موسى ويشر السرى وعبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح بإسناده . وزاد في رواية بشر بن السرى =

(\*) حسنه الترمذى وسنده صحيح كما قال محقق المشكاة . [ م ] تقدم تخريجه ( ع ) .

(\*\*) ومعنى ذلك عدم صحة هذا الحديث . [ م ] .

توضيح:

ليس معنى ذلك عدم صحة الحديث على الإطلاق !! فالصحيحان فيهما من ذلك شيء كثير . . . .  
وأيضاً هذه القاعدة من كتب مصطلح الحديث !! فمعلوم أن عننة الثقة تحمل على الاتصال ما لم يكن مدلساً .  
[ س ] .



ثبج البحر الأخضر ملوكًا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة ، وكان ذلك فى ولايته (٤٠٠) .

= «وأدخله الجنة» . ورواه ابن عدى وغيره عن ابن عباس . ورواه محمد بن سعد بسنده إلى مسلمة بن مخلد أحد فاتحى مصر وولاتها . ورواة هذا الدعاء النبوى معاوية من الصحابة أكثر من أن يحصوا . [ وانظر البداية والنهاية ٨ / ١٢٠ - ١٢١ . وانظر ترجمة معاوية فى حرف الميم من تاريخ دمشق لابن عساكر ] . ومن لم يصدق هذا الحديث فهو منكر لكل ما ثبت فى السنة من شريعة الإسلام . وفى الشيعة المبغضين لمعاوية اللاعنين له من يزعمون أنهم منتسبون إلى النبى ﷺ فهل تراهم يحقدون على جدهم ﷺ لرضاه عن معاوية واستعانت به ودعائه له ؟ « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » [ خ ] .

(٤٠٠) أم حرام بنت ملحان صحابية من الأنصار من أهل قباء ، كان النبى ﷺ إذا ذهب إلى قباء استراح عندها ، وهى خالة خادمه أنس بن مالك . روى البخارى فى كتاب الجهاد من صحيحه ( ك ٥٦ ب ٣ ج ٣ ص ٢٠١ ) ومسلم فى كتاب الإمارة ( ك ٣٣ ح ١٦٠ ) عن أنس أن النبى ﷺ نام عندها القيلولة ثم استيقظ وهو يضحك لأنه رأى ناسًا من أمته غزاة فى سبيل الله يركبون ثبج البحر - أى وسطه ومعظمه - ملوكًا على الأسرة . ثم وضع رأسه فنام واستيقظ وقد رأى مثل الرؤيا الأولى فقالت له أم حرام: ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال لها « أنت من الأولين » (١) . قال الحافظ ابن كثير (٢٢٩/٨) يعنى جيش معاوية حين غزا قبرص ففتحتها سنة ٢٧ أيام عثمان بن عفان (بقيادة معاوية ، عقب إنشائه الأسطول الإسلامى الأول فى التاريخ) . وكانت معهم أم حرام فى صحبة زوجها عبادة بن الصامت . ومعهم من الصحابة أبو الدرداء وأبو ذر وغيرهما . وماتت أم حرام فى سبيل الله وقبرها بقبرص إلى اليوم . قال ابن كثير: ثم كان أمير الجيش الثانى يزيد (\*\*) بن معاوية فى غزوة القسطنطينية . قال =

(١) صحيح : رواه البخارى (٢٩٢٤) ، وانظر النهاية لابن كثير تحقيقى ص ١١ ، ١٢ (ع) .  
(\*\*) وقد جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى عن أم حرام بشارة ليزيد بالجنة بالمغفرة : « أول جيش من أمى يركبون البحر أوجوا ، وأول جيش من أمى يغزون مدينة قيصر مغفور له » .

ويحتمل أن يكون مراتب في الولاية : خلافة ثم ملك (٤٠١) . فتكون ولاية الخلافة للأربعة ، وتكون ولاية الملك لابتداء معاوية (٤٠٢) . وقد قال الله في

= وهذا من أعظم دلائل النبوة .

(٤٠١) عن سعيد بن جهمان عن سفينة قال : قال رسول الله ﷺ : « خلافة النبوة ثلاثون سنة ، ثم يؤتى الله ملكه من يشاء » (١) . وقد حسن هذا الحديث . محقق مشكاة المصابيح . [ م ] .

(٤٠٢) الخلافة والملك والإمارة عناوين اصطلاحية تتكيف في التاريخ باعتبار مدلولهن العملى ، والعبرة دائماً بسيرة المرء وعمله . ومعاوية قد ولى الشام للخلافة الراشدة مدة عشرين سنة ، ثم اضطلع بمهمة الإسلام كلها عشرين سنة أخرى فى الوطن الإسلامى الأكبر بعد بيععة الحسن بن على له ، فكان فى الحالتين قوَّاماً بالعدل ، محسناً إلى الناس من كل الطبقات ، يكرم أهل المواهب ويساعدهم على تنمية مواهبهم ، ويسع بحلمه جهل الجاهلين فيعالج بذلك نقائصهم ، ويلتزم فى الجميع أحكام الشريعة المحمدية بحزم ورفق ومثابرة وإيمان . يؤمهم فى صلواتهم ، ويوجههم فى مجتمعهم ومرافقهم ، ويقودهم فى حروبهم ، وفى منهاج السنة ( ١٨٥ / ٣ ) قول الصحابى الجليل أبى الدرداء لأهل الشام « ما رأيت أحداً أشبه صلاة بصلاة رسول الله ﷺ من إمامكم هذا » يعنى معاوية . وقد رأيت قول الأعمش للذين ذكروا عنده عمر بن عبد العزيز وعدله : « كيف لو أدركتم معاوية ؟ » قالوا : فى حلمه ؟ قال : « لا والله ، بل فى عدله » . وقد بلغ من استقامته على جادة الإسلام أن قال فيه أمثال قتادة ومجاهد وأبى إسحاق السبيعى - وكلهم من الأئمة الأعلام : كان معاوية هو المهدي والذى يتتبع سيرة معاوية فى حكمه يرى أن حكومته فى الشام كانت حكومة مثالية فى العدل والتراحم والتآسى ، لم يخير بين الطيب والأطيب إلا اختار الأطيب على الطيب . فإذا كان هذا المسلك فى أربعين سنة يؤهل الأمير المسلم للخلافة على المسلمين وقد ارتضوه لذلك واغتبطوا به فهو خليفة ، ومن سماه ملكاً لا يستطيع أن يكابر فى أنه من أرحم ملوك الإسلام وأصلحهم . كنا أيام طلب =

= العلم فى القسطنطينية فى مجلس للطلبة يتناقشون فى موضوع سيرة معاوية وخلافته ، وكان ذلك فى أيام السلطان عبد الحميد . فوقف صديقى الشهيد السعيد عبد الكريم قاسم الخليل - وكان شيعياً - فقال : « أنتم تسمون سلطاننا خليفة ، وأنا أخوكم الشيعى أعلن أن يزيد بن معاوية كان بسيرته الطيبة أحق بالخلافة وأصدق عملاً بالشرع المحمدى من خليفتنا ، فكيف بأبيه معاوية » . على أن معاوية كان يقول عن نفسه - فيما رواه خيثمة عن هارون بن معروف عن ضمرة عن ابن شاذب : « أنا أول الملوك وآخر خليفة » . وتقدم حديث معمر عن الزهرى « أن معاوية عمل سنتين عمل عمر ما يخرم فيه » . وقد أشرنا هناك إلى اختلاف البيئة وتأثيرها فى أنظمة الحكم ، بل إن معاوية نفسه ذكر ذلك لعمر لما قدم عمر الشام وتلقاه معاوية فى موكب عظيم فاستنكر عمر ذلك ، واعتذر له معاوية بقوله : « أنا بأرض جواسيس العدو فيها كثيرة ، فيجب أن يظهر من عز السلطان ما يكون فيه عز للإسلام وأهله ونرهبهم به » . فقال عبد الرحمن بن عوف لعمر : « ما أحسن ما صدر عما أوردته فيه يا أمير المؤمنين » فقال عمر : من أجل ذلك جشمناه ما جشمناه » ( البداية والنهاية ٨ / ١٢٤ ، ١٢٥ ) . وسيرة عمر التى حاول معاوية أن يسير عليها سنتين كانت المثل الأعلى فى بيئته ، وكان يزيد يحدث نفسه بالتزامها . روى ابن أبي الدنيا عن أبى كريب محمد بن العلاء الهمداني الحافظ عن رشدين المصرى عن عمرو بن الحارث الأنصارى المصرى عن بكير بن الأشج المخزومى المدنى ثم المصرى أن معاوية قال ليزيد : كيف تراك فاعلا إن وليت ؟ قال : كنت والله يا أبه عاملاً فيهم عمل عمر بن الخطاب . فقال معاوية : سبحان الله يا بنى ، والله لقد جهدت على سيرة عثمان فما أطقتها ، فيكف بك وسيرة عمر ( ابن كثير ٨ / ٢٢٩ ) . والذين لا يعرفون سيرة معاوية يستغربون إذا قلت لهم : إنه كان من الزاهدين والصفوة الصالحين . وروى الإمام أحمد فى كتاب الزهد ( ص ١٧٢ طبع مكة ) عن أبى شبل محمد بن هارون عن حسن بن واقع عن ضمرة بن ربيعة القرشى عن علي بن أبى حملة عن أبيه قال : رأيت معاوية على المنبر بدمشق يخطب الناس وعليه ثوب مرقوع . وأخرج ابن كثير ( ٨ / ١٣٤ ) عن يونس بن ميسر الحميرى الزاهد ( وهو من شيوخ الإمام الأوزاعى ) =

داود وهو خير من معاوية (٤٠٣) - ﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ٢٥١] فجعل النبوة ملكاً . فلا تلتفتوا إلى أحاديث ضعف سندها [ومعناها] (٤٠٤) .

= قال : رأيت معاوية في سوق دمشق ، وهو مردف وراءه وصيفاً وعليه قميص مرقوع الجيب ، يسير في أسواق دمشق . وكان قواد معاوية وكبار أصحابه يستهدونه ملابسه للتبرك بها ، فكان إذا حضر أحدهم إلى المدينة وعليه هذه الملابس يعرفونها ويتغالون في اقتنائها . روى الدارقطني عن محمد بن يحيى بن غسان أن القائد الشهير الضحاك بن قيس الفهري قدم المدينة ، فأتى المسجد فصلى بين القبر والمنبر ، وعليه برد مرقع قد ارتدى به من كسوة معاوية ، فرآه أبو الحسن البراد فعرف أنه برد معاوية فساومه عليه وهو يظنه أعرايياً من عامة الناس ، حتى رضى أبو الحسن البراد أن يدفع له به ثلاثمائة دينار . فانطلق به الضحاك بن قيس إلى بيت حويطب بن عبد العزى فلبس رداءً آخر وأعطى أبا الحسن البراد ذلك البرد بلا ثمن وقال له « قبيح بالرجل أن يبيع عطافه ، فخذ فالبسه » فأخذه أبو الحسن فباعه فكان أول مال أصابه ( ابن عساكر ٧ / ص ٦ ) وقد أوردنا هذه الأمثلة ليعلم الناس أن الصورة الحقيقية لمعاوية تخالف الصورة الكاذبة التي كان أعداؤه يصورونه بها ، فمن شاء بعد هذا أن يسمى معاوية خليفة وأميراً للمؤمنين ، فإن سليمان بن مهران الأعمش - وهو من الأئمة الأعلام الحفاظ ، وكان يسمى « المصحف » لصدقه - كان يفضل معاوية على عمر بن عبد العزيز حتى في عدله . ومن لم يملأ معاوية عينه وأراد أن يضمن عليه بهذا اللقب ، فإن معاوية مضى إلى الله عز وجل بعدله وحلمه وجهاده وصالح عمله ، وكان وهو في دنياه لا يبالي أن يلقب بالخليفة أو الملك ، وأنه في آخرته لأكثر رهداً بما كان يزهد به في دنياه . [ خ ] .

(٤٠٣) أن داود في نبوته... كما يعرفها المسلمون في دينهم - تجعله خيراً من معاوية . وأما داود اليهود - كما يعرفه الناس من توراتهم الموجودة الآن في الأيدي - فإن معاوية خير منه . ومن شقاء اليهود ألا يعرفوا للقرآن والإسلام فضلهما عليهم في تنزيه أنبياء بني إسرائيل عما وصموا به في كتبهم . [ خ ] .

(٤٠٤) كتب الشيخ محب الدين : « منها » بدل : ( معناها ) . [ س ] .

ولو اقتضت الحال النظر فى الأمور لكان - والله أعلم - رأى آخر للجمهور ، ولكن انعقدت البيعة لمعاوية بالصفة التى شاءها الله ، على الوجه الذى وعد به رسول الله ﷺ مادحاً له ، راضياً عنه ، راجياً هدنة الحال فيه ، لقول النبى ﷺ : « ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » (٤٠٦) .

وقد تكلم العلماء فى إمامة المفضول مع وجود من هو أفضل منه ، فليست المسألة فى الحد الذى تجعله فيه العامة ، وقد بينها فى موضعها (٤٠٧) .

(٤٠٦) قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

فلما أثنى النبى ﷺ على الحسن بالإصلاح وترك القتال دل على أن الإصلاح بين تلك الطائفتين كان أحب إلى الله تعالى من فعله . فدل على أن القتال لم يكن مأموراً به ، ولو كان معاوية كافراً لم تكن تولية كافر وتسليم الأمر إليه مما يحبه الله ورسوله ، بل دل الحديث على أن معاوية وأصحابه كانوا مؤمنين ، كما كان الحسن وأصحابه مؤمنين ، وأن الذى فعله الحسن كان محموداً عند الله تعالى ، محبوباً مرضياً له ولرسوله .

وهذا كما ثبت عن النبى ﷺ فى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى أنه قال : « تمرق مارقة على حين فرقة من الناس ، فتقتلهم أولى الطائفتين بالحق » وفى لفظ : « فتقتلهم أديهما إلى الحق » فهذا الحديث الصحيح دليل على أن كلا الطائفتين المقتلتين - على وأصحابه ، ومعاوية وأصحابه - على حق ، وأن علياً وأصحابه كانوا أقرب إلى حق من معاوية وأصحابه ( الفتاوى ٤/ ٤٦٦ ، ٤٦٧ ) . [ م ] .

(٤٠٧) أى من مؤلفاته الأخرى . وهذه المسألة من مسائل الفقه الإسلامى المخصصة ، الميينة أحكامها على النصوص والسنن والأسس الشرعية التى قام الدين على مثلها فى باب جلب المصالح ودرء المفاسد وتقدير الضرورات بأقذارها . والقاضى أبو الحسن الماوردى لم يذكر فى الأحكام السلطانية ( ص ٥ ) مخالفاً فى جوار إمامة المفضول إلا الجاحظ ، وماذا يضر أئمة الدين إذا خالفهم الجاحظ ، وهل العباسيون الذين عرف الجاحظ بالتقرب إليهم فى حياتهم كانوا أفضل معاصريهم ؟ أما جمهور الفقهاء والمتكلمين فقالوا تجوز إمامة المفضول وصحة بيعته ، ولا يكون وجود الأفضا ناعاً =

فإن قيل : فقد قتل حجر بن عدى - وهو من الصحابة مشهور بالخير - صبراً أسيراً بقول زياد ، وبعثت إليه عائشة في أمره فوجدته قد فات بقتله . قلنا : [ قد ] علمنا قتل حجر كلنا ، واختلفنا : فقاتل يقول قتله ظلماً ، وقائل يقول قتله حقاً (٤٠٨) .

= من إمامة المفضول إذا لم يكن مقصراً عن شروط الإمامة ، كما يجوز - في ولاية القضاء - تقليد المفضول مع وجود الأفضل ، لأن زيادة الفضل مبالغة في الاختيار ، وليست معتبرة في شروط الاستحقاق . ونحيل القارئ على كتاب الإمامة والمفاضلة لأبي محمد بن حزم المدرج في الجزء الرابع من كتابه « الفصل » ولا سيما الفصل المعنود فيه لإمامة المفضول ( ص ١٦٣ - ١٦٧ من طبعة مصر سنة ١٣٢٠ ) . [خ] .

(٤٠٨) حجر بن عدى الكندى عده البخارى وآخرون من التابعين ، وعده البعض الآخر من الصحابة ، وكان من شيعة على في الجمل وصفين . وروى ابن سيرين أن زياداً - وهو أمير الكوفة - خطب خطبة أطلال فيها ، فنادى حجر بن عدى « الصلاة ! » فمضى زياد في خطبته ، فحصبه حجر وحصبه آخرون معه . فكتب زياد إلى معاوية يشكو بغى حجر على أميره في بيت الله ، وعد ذلك من الفساد في الأرض . فكتب معاوية إلى زياد أن سرح به إلى . . فلما جرى به إلى معاوية أمر بقتله . فالذين يرون أن معاوية قتله بحق يقولون : ما من حكومة في الدنيا تعاقب بأقل من ذلك من يحصب أميره وهو قائم يخطب على المنبر في المسجد الجامع مندفعاً بعاطفة الحزبية والتشيع والذين يعارضونهم يذكرون فضائل حجر ويقولون كان ينبغي لمعاوية أن لا يخرج عن سجيته من الحلم وسعة الصدر لمخالفه . ويجيبهم الآخرون بأن معاوية يملك الحلم وسعة الصدر عند البغى عليه في شخصه ، فأما البغى على الجماعة في شخص حاكمها وهو على منبر المسجد فهو ما لا يملك معاوية أن يتسامح فيه ، ولا سيما في مثل الكوفة التي أخرجت العدد من أهل الفتنة الذين بغوا على عثمان بسبب مثل هذا التسامح ، فكبدوا الأمة من دمايتها وسمعتها وسلامة قلوبها ومواقف جهادها تضحيات غالية كانت في غنى عنها لو أن هيئة الدولة حفظت بتأديب عدد قليل من أهل الرعونة والطيش في الوقت المناسب وكما كانت عائشة تود لو أن معاوية شمل حجراً بسعة صدره ، فإن عبد الله بن عمر كان يتمنى مثل ذلك . =

فإن قيل : الأصل قتله ظلماً إلا إذا ثبت عليه ما يوجب قتله . قلنا : الأصل أن قتل الإمام بالحق ، فمن ادعى أنه بالظلم فعليه الدليل . ولو كان ظلماً محضاً لما بقي بيت إلا لعن فيه معاوية . وهذه مدينة السلام دار خلافة بنى العباس - وبينهم وبين بنى أمية ما لا يخفى على الناس - مكتوب على أبواب مساجدها : « خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، ثم معاوية خال المؤمنين رضي الله عنهم » (٤٠٩) .

ولكن حجراً - فيما يقال ( رأى من زياد أموراً منكراً )<sup>(٤١٠)</sup> ، فحصبه ، وخلعه ، وأراد أن يقيم الخلق للفتنة ، فيجعله معاوية ممن سعى في الأرض فساداً .

وقد كلمته عائشة في أمره حين حج ، فقال لها : دعيني وحجراً حتى نلتقي عند الله . وأنتم معشر المسلمين أولى أن تدعوها حتى يقفا بين يدي الله مع صاحبهما العدل الأمين المصطفى المكين ، وأنتم<sup>(٤١١)</sup> ودخولكم حيث لا تشعرون ، فما لكم لا تسمعون<sup>(٤١٢)</sup> ؟

فإن قيل : قد دس على الحسن من سمه .

= والواقع أن معاوية كان فيه من حلم عثمان وسجاياه ، إلا أنه في مواقف الحكم كان يتبصر في عاقبة عثمان وما جر إليه تمادى الذين اجتروا عليه . [ خ ] .

(٤٠٩) المؤلف أقام في بغداد زمن الدولة العباسية كما ذكرنا في ترجمته ، فهو يعرف مساجدها معرفة مشاهدة وعيان . ومعاوية خال المؤمنين لأنه أخو أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان المشتهرة بكنتيتها ( أم حبيبة ) . [ خ ] .

(٤١٠) كان زياد في خلافة علي والياً من ولاته ، وكان حجير بن عدى من أولياء زياد وأنصاره . ولم يكن ينكر عليه شيئاً . فلما صار من ولاية معاوية صار ينكر عليه مدفوعاً بعاطفة التحزب والتشيع . وكان حجير يفعل مثل ذلك مع من تولى الكوفة لمعاوية قبل زياد ، فلمعاوية عذر إذا رأى أن حجيراً ممن سعى في الأرض فساداً [ خ ] .

(٤١١) كذا في جميع النسخ واقترح الشيخ ابن باديس أن يكون : وما أنتم [ س ] .

(٤١٢) ومن الانتقادات التي يوجهونها إلى معاوية رضي الله عنه لعن على رضي الله عنه على المنابر . =

قلنا : هذا محال من وجهين : أحدهما أنه ما كان ليتقى من الحسن بأساً وقد سلم الأمر . الثانى أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله فكيف تحملونه - بغير بينة - على أحد من خلقه فى زمان متباعد لم تثق فيه بنقل ناقل ، بين أيدي قوم ذوى أهواء ، وفى حال فتنة وعصبية ، ينسب كل واحد إلى صاحبه ما لا ينبغى ، فلا يقبل منها إلا الصافى ، ولا يسمع فيها إلا من العدل الصميم (٤١٣).

فإن قيل : فقد عهد إلى يزيد وليس بأهل (٤١٤)، (٤١٥). وجرى بينه وبين عبد الله

= قال المؤرخ عبد الوهاب النجار فى كتابه « الخلفاء الراشدون » ص ٤٣٨ ولم يذكر المصدر وذلك بعدما علم على نتيجة التحكيم :

« .. فكان إذا صلى صلاة الصبح يفتن فيقول : اللهم العن معاوية وعمرًا » .  
وبإزاء هذا الفتوت أقول : أن علياً رحمه الله قد سن لخصومه أن يقابلوه بمثل عمله ، ويتخذوا من لعنة نوعاً من العبادة فى أعقاب الصلوات ، فكان معاوية إذا خطب سب علياً .. وصار ذلك سنة فى بنى أمية إلى زمن عمر بن عبد العزيز .  
والعهدة فى هذا الخبر على الراوى الذى لا علم لنا بمبلغ صحته ، ولا نظته يصح والله أعلم [م] .

(٤١٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢/٢٢٥) فيما تزعمه الشيعة من أن معاوية سم الحسن : « لم يثبت ذلك ببينة شرعية ، ولا إقرار معتبر ، ولا نقل يجزم به .

وهذا مما لا يمكن العلم به ، فالقول به قول بلا علم » . قال : « وقد رأينا فى زماننا من يقال عنه سم ومات مسموماً من الأتراك وغيرهم . ويختلف الناس فى ذلك حتى فى نفس الموضع الذى مات فيه والقلعة التى مات فيها ، فتجد كلا منهم يحدث بالشىء بخلاف ما يحدث به الآخر » . وبعد أن ذكر ابن تيمية أن الحسن مات بالمدينة وأن معاوية كان بالشام ، ذكر للخبر احتمالات - على فرض صحته - منها أن الحسن كان مطلقاً لا يدوم مع امرأة ... إلخ . [خ] .

(٤١٤) إن كان مقياس الأهلية لذلك أن يبلغ مبلغ أبى بكر وعمر فى مجموع سجاياهما ، فهذا ما لم يبلغه فى تاريخ الإسلام ، ولا عمر بن عبد العزيز . وإن طمعنا بالمستحيل =



= وقد رنا إمكان ظهور أبى بكر آخر وعمر آخر فلن نتاح له بيئة كاليئة التى أتاحها الله لأبى بكر وعمر وإن كان مقياس الأهلية الاستقامة فى السيرة ، والقيام بحمة الشريعة ، والعمل بأحكامها ، والعدل فى الناس ، والنظر فى مصالحهم ، والجهاد فى عدوهم ، وتوسيع الآفاق لدعوتهم ، والرفق بأفرادهم وجماعاتهم ، فإن يزيد يوم تمحص أخباره ، ويقف الناس على حقيقة حاله كما كان فى حياته ، يتبين من ذلك أنه لم يكن دون كثيرين ممن تغنى التاريخ بمحامدهم ، وأجل الثناء عليهم . [ خ ] .

(٤١٥) تصدى فى العصر الحديث للدفاع عن يزيد أستاذ فى جامعة القاهرة هو الدكتور إبراهيم العدوى خريج جامعة ليفربول ، فيقول فى كتابه : ( الأمويون والبيزنطيون ) : ( البحر المتوسط بحيرة إسلامية ) ناقضاً بذلك الشائعات الكاذبة المتواترة التى سمت وتسم العقول البريئة .

» وبذل معاوية جهوداً عظيمة لإعداد القوات الإسلامية التى رغب فى إرسالها إلى القسطنطينية) فجعل على رأس هذه الحملة ابنه وولى عهده يزيد .

واستهدف معاوية من وراء ذلك إعطاء ابنه فرصة يعلى فيها من ذكره واسمه فى ميدان الجهاد ضد البيزنطيين ، وليرد بذلك على الأشخاص الذين أبدوا امتعاضهم المحاولات التى بذلها أبوه لأخذ البيعة له بالخلافة من بعده ، إذ صورت الدعايات المعادية لبنى أمية شخصية يزيد بحبها للمجون والخلاعة ، وعدم أهليتها لتصرف شؤون المسلمين .

ومن ثم كان ميدان القسطنطينية خير مجال يدحض فيه يزيد افتراءات منافسيه وأعدائه ويعلن عن مواهبه الحربية وما اتصف به من شجاعة وإقدام .

وعلى ضفاف البوسفور انضم يزيد إلى القوات ، وعبر مياه هذا المضيق إلى الشاطئ الأوربي وحقق لجنده سبقهم على أقرانهم من جند الإسلام فى مشاهدة القسطنطينية ، والوقوف أمامها ، يدقونها بالآلاتهم الحربية ويعملون على تخريبها أو إحداث ثغرات فيها .

وأظهر يزيد فى هذا الحصار من ضروب الشجاعة والبسالة ما أكسبه لقب :

ابن عمر وابن الزبير والحسين ما نصه عن وهب (٤١٦) بن جرير بن حازم عن أبيه وعن غيره : لما أجمع معاوية أن يبايع لابنه يزيد حج ، فقدم مكة في نحو ألف رجل . فلما دنا من المدينة خرج ابن عمر وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر . فلما قدم معاوية المدينة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه . ثم ذكر ابنه يزيد فقال : من أحق بهذا الأمر منه (٤١٧) . ثم ارتحل ، فقدم مكة ففضى طوافه ، ودخل منزله ،

= (فتى العرب) ودونت المراجع سيرته وأعماله في هذا النضال .

وأشاد الدكتور إبراهيم بمعاوية رضي الله عنه قال :

باستيلاء المسلمين على الشام ومصر ، فتحت صفحة جديدة في تاريخ البحر المتوسط دون سطورها الأولى معاوية بن أبي سفيان بمداد الجهاد وملاً بأخبار عظمة الاول في رسم سياسة المسلمين إزاء البحر المتوسط منذ زمن مبكر ، وحل المشكلة البحرية التي اعترضتهم . [ م ] .

(٤١٦) وكتبها الشيخ محب الخطيب [ ما قصه ( المؤرخون ) عن وهب ] !! [ س ] .

(٤١٧) شباب قريش المعاصرون ليزيد - ممن يحدثون أنفسهم بولاية الأمر لبعض الاعتبار التي يعرفونها لأنفسهم - كثيرون جداً ، حتى سعيد بن عثمان بن عفان ومن هم دون سعيد كانوا يطمعون بولاية الأمر بعد معاوية . ومبدأ الشورى في انتخاب الخليفة أفضل بكثير من مبدأ ولاية العهد . لكن معاوية كان يعلم بينه وبين نفسه أن فتح باب الشورى في انتخاب من يخلفه سيحدث في الأمة الإسلامية مجزرة لا ترقأ فيها الدماء إلا بفناء كل ذى أهلية في قريش لولاية شيء من أمور هذه الأمة . ومعاوية أحصف من أن يخفى عليه أن المزاي موزعة بين هؤلاء الشباب القرشيين ، فإذا امتاز أحدهم بشيء منها على أضرابه ولداته ، فإن فيهم من يمتاز عليه بشيء آخر منها . غير أن يزيد - مع مشاركته لبعضهم في بعض ما يمتازون به - يمتاز عليهم بأعظم ما تحتاج إليه الدولة ، أعنى القوة العسكرية التي تؤيده في تولى الخلافة ، فتكون قوة للإسلام ، كما تؤيده إذا أوقع الشيطان الفتنة على هذا الكرسي بين المتزاحمين عليه ، فيكون ما لا يجب كل مسلم أن يكون . ولو لم يكن ليزيد إلا أخواله من قضاة وأحلافهم من قبائل اليمن ، لكان منهم ما لا يجوز لبعيد النظر أن يسقطه من قائمة الحساب عندما =

فبعث إلى ابن عمر ، فتشهد وقال : أما بعد يا بن عمر ، فقد كنت تحدثني أنك لا تحب أن تبيت ليلة سوداء ليس عليك أمير . وإنني أحذرك أن تشق عصا المسلمين ، وأن تسعى في فساد ذات بينهم ) . فلما سكت تكلم ابن عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإنه قد كانت قبلك خلفاء لهم أبناء ليس ابنك بخير منهم ، فلم يروا في أبنائهم ما رأيت في ابنك ، ولكنهم اختاروا للمسلمين حيث علموا الخيار . وإنك تحذرنى أن أشق عصا المسلمين ، ولم أكن لأفعل ، وإنما أنا رجل من المسلمين ، فإذا اجتمعوا على أمر فإنما أنا واحد منهم « فخرج ابن عمر (٤١٨) .

وأرسل إلى عبد الرحمن بن أبي بكر ، فتشهد ثم أخذ في الكلام ، فقطع عليه كلامه ، فقال : « إنك والله لوددت أنا وكلناك في أمر ابنك إلى الله . وإنا والله لا

= يفكر في هذه الأمور . أضف إلى هذا ما قرره ابن خلدون عند كلامه على مسير الحسين إلى العراق للخروج على يزيد حيث قال في فصل « ولاية العهد » من مقدمة تاريخه : « وأما الشوكة ، فغلط يرحمه الله فيها ، لأن عصبية مضر كانت في قريش ، وعصبية قريش في عبد مناف ، وعصبية عبد مناف إنما كانت في بنى أمية ، تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس ولا ينكرونه ، وإنما نسى ذلك أول الإسلام لما شغل الناس من الذهول بالخوارق وأمر الوحى . . . حتى إذا انقطع أمر النبوة والخوارق المهولة تراجع الحكم بعض الشيء للعوائد ، فعادت العصبية كما كانت ولما كانت ، وأصبحت مضر أطوع لبنى أمية من سواهم (\*)» [ خ ] .

(٤١٨) هذا الخبر معارض بما فى كتاب المغازى من صحيح البخارى ( ك ٦٤ ب ٢٩ ج ٥ ص ٤٨ ) عن ابن عمر أن أخته أم المؤمنين حفصة نصحت له بأن يسرع بالذهاب للبيعة وقالت : « الحق ، فإنهم ينتظرونك ، وأخشى أن يكون فى احتباسك عنهم فرقة » [ خ ] .

وانظر ص ٦٦ .

(\*) أن هذه الحجة لابن خلدون متهافة ، فإن الإسلام فى عهد معاوية كان قويا عزيزا . ويظهر بطلانها استلام العباسيين الهاشمين للحكم أكثر من خمسة قرون ، بينما لم يستطع الأمويون الاحتفاظ به قرنا واحدا !! [م] .

نفعل . والله لتردن هذا الأمر شورى فى المسلمين أو لتفرنّها عليك جذعة (٤١٩) « ثم وثب فقام . فقال معاوية : « اللهم اكفنيه (٤٢٠) بما شئت » . ثم قال : « على رسلك أيها الرجل ، لا تشرفن لأهل الشام ، فإنى أخاف أن يسبقونى بنفسك ، حتى أخبر العشية أنك قد بايعت ، ثم كن بعد ذلك على ما بدا لك من أمرك » .

ثم أرسل إلى ابن الزبير فقال : « يا ابن الزبير ، إنما أنت ثعلب رواغ كلما خرج من جحر دخل فى آخر ، وإنك عمدت إلى هذين الرجلين فنفخت فى مناخرهما » . فقال ابن الزبير : « إن كنت قد مللت الإمارة فاعتزلها ، وهلم ابنك فلنبايعه . أرأيت إذا [ بايعت ] ابنك معك لأيكما نسمع ، لأيكما نطيع ؟ لا تجتمع البيعة لكما أبداً (٤٢١) ثم قام .

فخرج معاوية فصعد المنبر فقال : إنا وجدنا أحاديث الناس ذوات عوار . . زعموا أن ابن عمر وابن الزبير وابن أبى بكر لم يبايعوا يزيد ، قد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له .

فقال أهل الشام : لا والله ، لا نرضى حتى يبايعوا على رؤوس الأشهاد ، وإلا ضربنا أعناقهم .

فقال : سبحان الله ، ما أسرع الناس إلى قریش بالشر لا أسمع هذه المقالة من أحد بعد اليوم ، ثم نزل .

فقال الناس : بايعوا . ويقولون هم : لم نبايع . ويقول الناس : قد بايعتم .

(٤١٩) أى لتكشفن عليك الفتنة فى أشد حالاتها ، ويلاحظ أن الذين انتحلوا هذه الأقوال فى الاستطالة على معاوية لم يطعنوا فى كفاءة يزيد وأهليته لأنها آخر ما يرتابون فيه .

(٤٢٠) ب ، ج ، ذ : اكفنه . [ س ] .

(٤٢١) ابن الزبير أذكى من أن تفوته أن البيعة ليزيد بعد معاوية ، وليست لهما معاً فى حياة معاوية . والذين اخترعوا هذه الأخبار وأضافوها إلى وهب بن جرير بن حارم يكذبون كذباً مفضوحاً .

وروى وهب من طريق أخرى قال : خطب معاوية فذكر ابن عمر فقال : « والله ليبايعن أو لأقتلنه » . فخرج عبد الله بن عبد الله بن عمر إلى أبيه وسار إلى مكة ثلاثاً وأخبره (٤٢٢) ، فبكى ابن عمر ، فبلغ الخبر إلى عبد الله بن صفوان ، فدخل على ابن عمر فقال : أخطب هذا بكذا ؟ قال : نعم . قال : فما تريد ، أتريد قتاله ؟ قال : يا بن صفوان ، الصبر خير من ذلك . فقال ابن صفوان : والله [لئن] أراد ذلك لأقاتلنه (٤٢٣) . فقدم معاوية مكة فنزل ذا طوى ، وخرج إليه عبد الله بن صفوان فقال : أنت تزعم أنك تقتل ابن عمر إن لم يبايع لابنك ؟ قال : أنا أقتل ابن عمر ؟ إني والله لا أقتله .

وروى وهب من طريق ثالث (٤٢٤) قال : إن معاوية لما راح عن بطن مرَّ قاصداً إلى مكة قال لصاحب حرسه : لا تدع أحداً يسير معي إلا من حملته . فخرج يسير

(٤٢٢) هذا الخبر عن وهب بن جرير بن حازم يشعر بأن معاوية خطب هذه الخطبة وهو في المدينة قادماً إليها من دمشق قبل أن يصل إلى مكة ، وأن ابن عمر كان يومئذ في مكة فركب إليه ابنه حتى لقيه بمكة وأخبره بهذه الخطبة . وفي الخبر الذي قبل هذا - وهو مروى عن وهب بن جرير بن حازم أيضاً - التصريح بأن عمر كان بالمدينة عند وصول معاوية إليها من دمشق ، وأنه كان مع الأعيان الذين خرجوا لاستقباله . فالخبران متناقضان يكذب أحدهما الآخر مع أنهما عن راو واحد . ولا أدري من أين جاء بهما المؤلف ، ولم ينقلهما الطبري مع أنه يعتنى بأخبار وهب بن جرير لأنه ثقة ، ووهب مات سنة ٢٠٦ وأبوه مات سنة ١٧٠ بعد أن اختلط ، فبينهما وبين هذه الحوادث رواة آخرون ، وبينهما وبين الطبري وغيره من المؤرخين رواة كثيرون . واعتقد أن هذه الأخبار غير صحيحة لتناقضها ، ولو عرفنا رواتها إلى وهب وبعد وهب لعرفنا من أين جاء الكذب [ خ ] .

(٤٢٣) عبد الله بن صفوان حفيد أمية بن خلف الجمحي . قتل مع ابن الزبير سنة ٧٣ .  
(٤٢٤) وهذا الخبر أيضاً ليس عند الطبري ، وأظنه مصنوعاً في المصنع الذي خرج منه الخبران السابقان .

وحده ، حتى إذا كان وسط الأراك لقيه الحسين بن علي ، فوقف وقال : مرحباً وأهلاً بابن بنت رسول الله سيد شباب المسلمين . دابة لأبي عبد الله يركبها . فأتى ببرذون ، فتحول عليه . ثم طلع عبد الرحمن بن أبي بكر (٤٢٥) ، فقال مرحباً بابن شيخ قريش وسيدهم وابن صديق هذه الأمة . دابة لأبي محمد يركبها . فأتى ببرذون فركبه . ثم طلع ابن عمر فقال : مرحباً وأهلاً بصاحب رسول الله وابن الفاروق وسيد المسلمين ، ودعا له بدابة فركبها . ثم طلع ابن الزبير فقال : مرحباً وأهلاً بابن حوارى رسول الله وابن الصديق وابن عمه رسول الله ﷺ ، ودعا له بدابة فركبها . ثم أقبل يسير بينهم لا يسايره غيرهم حتى دخل مكة ، ثم كبانوا أول داخل وآخر خارج ليس فى الأرض صباح إلا لهم فيه حباء وكرامة ، ولا يعرض لهم بذكر شيء مما هو فيه حتى قضى نسكه وترحلت أثقاله وقرب مسيره إلى الشام وأنىخت رواحله ، فأقبل بعض القوم على بعض فقالوا : أيها القوم لا تخذعوا ، إنه والله ما صنع هذا لحبكم ولا لكرامتكم ولا صنعه إلا لما يريد ، فأعدوا له جواباً . وأقبلوا على الحسين فقالوا : أنت يا أبا عبد الله . قال : وفيكم شيخ قريش وسيدها ؟ [ وهو ] أحق بالكلام . فقالوا : أنت يا أبا محمد - لعبد الرحمن بن أبي بكر - فقال : لست هناك ، وفيكم صاحب رسول الله ﷺ وابن سيد المسلمين - يعنى ابن علي - فقالوا لابن عمر : أنت ! فقال : لست بصاحبكم ، ولكن ولوا (٤٢٦) الكلام ابن الزبير يكفكم . قالوا : أنت يا ابن الزبير . قال : نعم ، إن أعطيتمونى عهدكم ومواثيقكم أن لا تخالفونى كفيتكم الرجل . فقالوا فلك ذلك . فخرج الإذن ، فأذن لهم . فدخلوا .

---

(٤٢٥) نحن نعلم من الخبر الأول عن وهب نفسه أن عبد الرحمن بن أبي بكر كان فى المدينة ، وكان فى الذين استقبلوا معاوية عند وصوله إليها من دمشق ، فما الذى طار به إلى مكة حتى صار فى مستقبلى معاوية عند وصوله إليها ؟ حقاً إن الذين يكذبون على معاوية أغبياء لا يجيدون ولا صناعة الكذب .

(٤٢٦) وكتبها الشيخ محب الخطيب : أولوا . [ س ] .

فتكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : لقد علمتم سيرتى فيكم ، وصلى لأرحامكم ، وصفحى عنكم ، وحملى لما يكون منكم ، ويزيد ابن أمير المؤمنين أخوكم وابن عمكم وأحسن الناس لكم رأياً . وإنما أردت أن تقدموه باسم الخلافة وتكونوا أنتم الذين تنزعون وتؤمرون وتجيئون وتقسمون لا يدخل عليكم فى شىء من ذلك .

فسكت القوم . فقال : ألا تحيىونى ؟ فسكت القوم . فقال : ألا تحيىونى . فسكتوا . فأقبل على ابن الزبير فقال : هات يا ابن الزبير ، فإنك لعمري صاحب خطبة القوم . فقال : نعم يا أمير المؤمنين أخيرك بين ثلاث خصال أيها أخذت فهي لك رغبة . قال : لله أبوك ، اعرضهن . قال : إن شئت صنعت ما صنع رسول الله ﷺ ، وإن شئت صنعت ما صنع أبو بكر فهو خير هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ ، وإن شئت صنعت ما صنع عمر فهو خير هذه الأمة بعد أبى بكر . قال : لله أبوك ، ما صنعوا ؟ قال : قبض رسول الله ﷺ فلم يستخلف أحداً ، فارتضى المسلمون أبا بكر . فإن شئت أن تدع أمر هذه الأمة حتى يقضى الله فيه قضاءه فيختار المسلمون لأنفسهم . فقال : إليه ، ليس فيكم اليوم مثل أبى بكر ، وإنى لا آمن عليكم الاختلاف . قال : فاصنع كما صنع أبو بكر ، عهد إلى رجل من قاصبة قريش ليس من بنى أبيه فاستخلفه . قال : لله أبوك . الثالثة ؟ قال : تصنع ما صنع عمر ، جعل الأمر شورى فى ستة نفر من قريش ليس أحد منهم من ولد أبيه . قال : [هل] عندك غير هذا ؟ قال : لا . قال : فأنتم ؟ قالوا : ونحن أيضاً . قال : أما لا ، فإنى أحببت أن أتقدم إليكم ، إنه قد أعذر من أنذر ، وإنه قد كان يقوم القائم منكم إلى فيكذبنى على رؤوس الناس فأحتمل له ذلك . وإنى قائم بمقالة ، فإن صدقت فلى صدقى وإن كذبت فعلى كذبنى . وإنى أقسم بالله لكم لئن رد على إنسان منكم لا ترجع إليه كلمته حتى يسبق إلى رأسه . ثم دعا بصاحب حرسه فقال : أقم على كل رجل من هؤلاء رجلين من حرسك ، فإن ذهب رجل يرد على كلمة بصدق أو كذب فليضرباه بسييفيهما (٤٢٧) .

ثم خرج وخرجوا معه ، حتى رقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم ، لا يستبد بأمر دونهم ، ولا يقضى أمر إلا عن مشهورتهم . وإنهم قد ارتضوا وبايعوا ليزيد ابن أمير المؤمنين من بعده ، فبايعوا باسم الله . فضربوا على يده ، ثم جلس على راحلته وانصرف .

فلقيهم الناس فقالوا : زعمتم وزعتم ، فلما أرضيتم وحيبتم فعلتم . قالوا : إنا والله ما فعلنا . قال : فما منكم أن تردوا على الرجل إذ كذب ؟ ثم بايع أهل المدينة والناس : ثم خرج إلى الشام .

قال القاضي أبو بكر رحمته الله : لسا ننكر ، ولا [ تبلى ] بنا الجهالة ، ولا لنا في الحق حمية جاهلية ، ولا ننطوى على غل لأحد من أصحاب محمد رحمته الله ، بل نقول « ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم » إلا أننا نقول : إن معاوية ترك الأفضل في أن يجعلها شورى ، وألا يخص بها أحداً من قرابته فكيف ولدًا (٤٢٨) ، وإن يقتدى بما أشار به

---

= بحديث البخارى عن الموقف السليم لابن عمر فى هذا الحادث حتى يعلم الناس أن الحق فى واد وهؤلاء الرواة الكاذبين فى واد غيره .

(٤٢٨) قال الإمام ابن خلدون :

والذى دعا معاوية رحمته الله لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون سواه إنما هو مراعاة المصلحة فى اجتماع واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حيثئذ من بنى أمية ، إذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم ، وهم عصابة قريش وأهل الملة أجمع وأهل الغلب منهم . فآثره بذلك دون غيره من يظن أنه أولى بها .

وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصاً على الاتفاق واجتماع الأهواء الذى شأنه أهم عند الشارع ، وإن كان لا يظن بمعاوية غير هذا لعدالته . وصحبته مانعة من سوى ذلك وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه ، فليسوا مما يأخذهم فى الحق هودة .

وليس معاوية ممن تأخذه العزة فى قبول الحق ، فإنهم كلهم أجل من ذلك . =



عبد الله بن الزبير في الترك أو الفعل (٤٢٩) ، فعُدل إلى ولاية ابنه وعقد له البيعة وبايعه الناس ، وتخلف عنها من تخلف (٤٣٠) ، فانعقدت البيعة شرعا ، لأنها تنعقد بواحد وقيل باثنين .

فإن قيل : لمن فيه شروط الإمامة . قلنا : ليس السن [ في ] شروطها ، ولم يثبت أنه يقصر يزيد عنها .

( فإن ) قيل : كان منها العدالة والعلم ، ولم يكن يزيد عدلا ولا علما . قلنا : وبأى شيء نعلم عدم علمه أو عدم عدالته (٤٣١) ؟ ولو كان مسلوبهما لذكر ذلك

= وعدالته مانعة منه .

ثم قال : ابن خلدون بعد كلام طويل :

أفلا ترى إلى المأمون لما عهد إلى علي بن موسى بن جعفر الصادق ، وسماه الرضا ، كيف أنكرت العباسية ذلك ، ونقضوا بيعته وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي ، وظهر من الهرج والخلاف وانقطاع السبل وتعدد الثوار والخوارج ما كاد يصطلم الأمر حتى بادر المأمون من خراسان إلى بغداد ورد أمرهم لمعاهدة .. ( المقدمة : مبحث ولاية العهد باختصار ) [ م ] .

(٤٢٩) كان معاوية أعرف بابن الزبير من ابن الزبير بنفسه ، روى البلاذري في أنساب الأشراف ( ٤ « ٢ » : ٥٣ ، ٥٤ ) عن المدائني عن مسلمة بن علقمة عن خالد عن أبي قلابة أن معاوية قال لابن الزبير : « إن الشح والحرص لن يدعأك حتى يدخلاك مدخلا ضيقا ، فوددت أني حيثنك عندك فاستنقذك » . فلما حضر ابن الزبير قال : « هذا ما قال لي معاوية ، وددت أنه كان حيا » [ خ ] .

(٤٣٠) عدل عن الوجه الأفضل لما كان يتوجس من الفتن والمجازر إذا جعلها شورى ، وقد رأى القوة والطاعة والنظام والاستقرار في الجانب الذي فيه ابنه . [ خ ] .

(٤٣١) أما عن العدالة فقد شهد له محمد بن علي بن أبي طالب في مناقشته لابن مطيع عند قيام الثورة على يزيد في المدينة فقال عن يزيد : « ما رأيت منه ما تذكرون . وقد حضرته وأقمت عنده فأريته مواظبا على الصلاة ، متحريرا للخير ، يسأل عن الفقه ، ملازما للسنة » ( ابن كثير ٨ / ٢٣٣ ) . وأما عن العلم فما يلزم منه لمثله في مثل =

الثلاثة الفضلاء الذين أشاروا عليه [ بأن ] لا يفعل ، وإنما رموا إلى الأمر بعيب التحكم ، وأرادوا أن تكون شورى .

فإن قيل : كان هنالك من هو أحق منه عدالة وعلماً ، منهم مائة وربما ألف . قلنا : إمامة المفضول - كما قدمنا - مسألة خلاف بين العلماء ، [ على ] ذكر العلماء في موضعه .

وقد حسم البخارى الباب ، ونهج جادة الصواب ، فروى فى صحيحه ما يبطل جميع هذا المتقدم ، وهو أن معاوية خطب وابن عمر حاضر فى خطبته ، فيما رواه البخارى عن عكرمة بن خالد أن ابن عمر قال : دخلت على حفصة ونوساتها تنظف (٤٣٤) . قلت : قد كان من الأمر ما ترين ، فلم يجعل لى من الأمر شيء . فقالت : « إلحق ، فإنهم يتظرونك ، وأخشى أن يكون فى احتباسك عنهم فرقة » . فلم تدعه حتى ذهب . فلما تفرق الناس خطب معاوية فقال من كان يريد أن يتكلم فى هذا الأمر فليطلع لنا قرنه ، فلنحن أحق به منه ومن أبيه . قال حبيب بن مسلمة (٤٣٥) : فهلا أجبته ؟ قال عبد الله : فحللت حبوتى ، وهممت أن أقول : أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام ، فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم وتحمل عنى غير ذلك ، فذكرت ما أعد الله فى الجنان . فقال

= مركزه كان فيه موضع الرضا وفوق الرضا روى المدائنى أن ابن عباس وفد إلى معاوية بعد وفاة الحسن بن على ، فدخل يزيد على ابن عباس وجلس منه مجلس المعزى ، فلما نهض يزيد من عنده قال ابن عباس : إذا ذهب بنو حرب ذهب علماء الناس (ابن كثير ٨ / ٢٢٨) . [ خ ] .

(٤٣٤) أى وذوائبها تقطر ماء ، سمي الذوائب « نوسات » لأنها تنوس ، أى تتحرك . [ خ ] .  
(٤٣٥) حبيب بن مسلمة الفهرى مكي كان عند وفاة النبى ﷺ صبياً ، ثم التحق بالشام للجهاد ، فاشتهرت بطولته ، وبعد ففتح أرمينية ، ويقال : إنه كان قائد النجدة التى خرجت من الشام لإنقاذ عثمان من أيدي البغاة عليه ، فجاءها الخبر بشهادته وهى فى الطريق فعادت . [ خ ] .

حبيب : حفظت وعصمت .

وروى البخارى (٤٣٦) أن أهل المدينة لما خلعوا يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده وقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُنصب لكل غادر لواء يوم القيامة » وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله (٤٣٧) ، وإني لا أعلم غدرًا أعظم من أن نبايع رجلا على بيع الله ورسوله ثم ننصب له القتال . وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه ، ولا بايع فى هذا الأمر إلا كنت الفيصل بينى وبينه .

(٤٣٦) فى كتاب الفتن من صحيحه ( ك ٩٢ ب ٢١ ج ٨ ص ٩٩ ) [ خ ] .  
 (٤٣٧) وهذا الخبر المنير الذى يرويه البخارى فى صحيحه (١) يفضح الذين زوروا على وهب ابن جرير تلك الأخبار المتناقضة بأن ابن عمر وغيره لم يبايعوا ليزيد ، وأن معاوية أقام على رؤوسهم من يقطعها إذا كذبه فيما افتراه عليهم من أنهم بايعوا لابنه . فتبين الآن أنه لم يفتر عليهم ، وهذا ابن عمر يعلن فى أخرج المواقف - أى فى ثورة أهل المدينة على يزيد بتحريض ابن الزبير وداعيته ابن مطيع - أن فى عنقه كما فى أعناقهم بيعة شرعية لإمامهم على بيع الله ورسوله ، وأن من أعظم الغدر أن تبائع الأمة لإمامها ثم تنصب له القتال . ولم يكتف ابن عمر بذلك فى تلك الثورة على يزيد بل روى مسلم فى كتاب الإمارة من صحيحه ( ك ٣٣ ح ٥٨ ج ٦ ص ٢٢ ) أن ابن عمر جاء إلى ابن مطيع داعية ابن الزبير ومثير هذه الثورة فقال ابن مطيع : اطرحوا لأبى عبد الرحمن وسادة . فقال ابن عمر : إني لم آتكم لأجلس ، أتيتكم لأحدثكم سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من خلع يداً من طاعة ، لقي الله يوم القيامة لاجحة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » (٢) وكان لمحمد بن على بن أبى طالب (المعروف بابن الحنفية) مثل هذا الموقف من داعية الثورة ابن مطيع سيراه القارئ فى مكان آخر عند الكلام على سيرة يزيد . [ خ ] .

(١) رواه البخارى (٧٢/٩) ، وأحمد (٧٠/٢ ، ١١٢) ، والترمذى (٢١٩١) ، وابن ماجه (٢٨٧٢) ، (٢٨٧٣) والبيهقى (١٦٠/٨) (ع) .

(٢) رواه مسلم (١٤٧٨) ، وانظر الصحيحة (٩٨٤) (ع) .

فانظروا معشر المسلمين إلى ما روى البخارى فى الصحيح ، وإلى ما سبق ذكرنا له [ من ] رواية بعضهم أن عبد الله بن عمر لم يبايع ، وأن معاوية كذب وقال قد بايع ، وتقدم إلى حرسه يأمره بضرب عنقه إن كذبه . وهو قد قال فى رواية البخارى : « قد بايعناه على بيع الله ورسوله » وما بينهما من التعارض ، وخذوا لأنفسكم بالأرجح فى طلب السلامة ، والخلاص بين الصحابة والتابعين . فلا تكونوا ولم تشاهدوهم - وقد عصمكم الله من فتنهم - ممن دخل بلسانه فى دمائهم ، فيلغ فيها ولوغ الكلب بقية الدم على الأرض بعد رفع الفريسة بلحمها ، ولم يلحق الكلب منها إلا بقية دم سقط على الأرض .

وروى الثبث العدل عن عبد الرحمن بن مهدى ، عن سفيان ، عن محمد بن المنكدر قال : قال ابن عمر حين بويع يزيد « إن كان خيراً رضىنا ، وإن كان شراً صبرنا » .

وثبت عن حميد بن عبد الرحمن قال : دخلنا على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حين استخلف يزيد بن معاوية فقال : تقولون : إن يزيد بن معاوية ليس بخير أمة محمد ، لا أفقهها [ فيها ] فقهاً ، ولا أعظمها فيها شرفاً . وأنا أقول ذلك . ولكن والله لأن تجتمع أمة محمد أحب إلى من أن نفترق . رأيتم باباً دخل فيه أفة محمد ووسعهم ، أكان يعجز عن رجل واحد لو كان دخل فيه ؟ قلنا : لا . قال : رأيتم لو أن أمة محمد قال كل رجل منهم لا أريق دم أخى ولا آخذ ماله ، أكان هذا يسعهم ؟ قلنا : نعم . قال : فذلك ما أقول لكم . ثم قال : قال رسول الله ﷺ « لا يأتيك من الحياء إلا خير » (٤٣٨) .

(٤٣٨) أورده البخارى ومسلم بلفظ : « الحياء لا يأتي إلا بخير » وفى رواية « الحياء خير كله » .

[ م ] .

قلت : رواه البخارى (٨ / ٣٥) ، ومسلم فى الإيمان (٦٠) ، وأحمد (٤ / ٤٢٧) والطبرانى (٢٠٦ / ١٨) .

فهذه الأخبار الصحاح كلها تعطيك أن ابن عمر كان مسلماً في [ إمرة ] يزيد ، وأنه بايع وعقد له والتزم ما التزم الناس ، ودخل فيما دخل فيه المسلمون ، وحرّم على نفسه ومن إليه بعد ذلك أن يخرج على هذا أو ينقضه .

وظهر لك أن [ قول ] من قال : إن معاوية كذب في قوله : « بايع ابن عمر » ولم يبايع ، وأن ابن عمر وأصحابه سئلوا فقالوا « لم نبايع » فقد كذب . وقد صدق البخارى في روايته قول معاوية على المنبر « أن ابن عمر قد بايع » بإقرار ابن عمر بذلك وتسليمه له وتماديّه عليه .

فأى الفريقين أحق بالصدق إن كنتم تعلمون ؟ ألفريق الذى فيه البخارى ، أم الذى فيه غيره ؟

فخذوا لأنفسكم بالأحزم والأصح ، أو اسكتوا عن الكل ، والله يتولى توفيقكم وحفظكم .

و« صاحب » الذى كنى عنه حميد بن عبد الرحمن هو ابن عمر ، والله أعلم . وإن كان غيره فقد أجمع رجلاّن عظيمان على هذه المقالة وهى تعضد ما أصلناه لكم من أن ولاية الفضول نافذة وإن كان هنالك من هو أفضل منه إذا عقدت له . ولما فى حلها - أو طلب الأفضل - من استباحة ما لا يباح ، وتشيت الكلمة ، وتفريق أمر الأمة .

فإن قيل : كان يزيد خمّاراً . قلنا : لا يحل (٤٤٠) إلا بشاهدين ، فمن شهد بذلك عليه (٤٤١) ؟ بل شهد العدول بعدالته : فروى يحيى بن بكير عن الليث بن

(٤٤٠) وفى نسخة « حد » . [ س ] .

(٤٤١) أن معاوية - مع شديد حبه ليزيد ، لألمعيته واكتمال مواهبه - آثر أن ينشأ بعيداً عنه فى أحضان الفطرة ، وخشونة البداوة وشهامتها ، ليستكمل الصفات اللائقة بالمهمة التى تنتظر أمثاله ، فبعث به إلى أخية البادية عند أخواله من قضاة ، ليكون على مذهب أمة ميسون بنت بجدل يوم قالت :

لبيت تخفق الأرواح فيه أحب إلى من قصر منيف

سعد ، قال الليث : « توفي أمير المؤمنين (\*) يزيد في تاريخ كذا » فسماه الليث « أمير المؤمنين » بعد ذهاب ملكهم وانقراض دولتهم ، ولولا كونه عنده كذلك ما قال إلا « توفي يزيد » .

فإن قيل : ولو لم يكن ليزيد إلا قتله للحسين بن علي قلنا : يا أسفاً على

= وفي ذلك الوسط أمضى يزيد زمن صباه وصدر شبابه ، وما لبث أن انتقل أبوه إلى رحمة الله حتى تولى المركز الذي أراده الله له . فلما خلا الجو لابن الزبير بموت معاوية صار دعائه يذيعون في الحجاز الأكاذيب على يزيد وينسبون إليه ما لا يحل (\*) لهم . نقل الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٢٣٣/٨) أن عبد الله بن مطيع (داعية ابن الزبير) مشى في المدينة هو وأصحابه إلى محمد بن علي بن أبي طالب (المعروف بابن الحنفية) فأرادوه على خلع يزيد ، فأبى عليهم ، فقال ابن مطيع : إن يزيد يشرب الخمر ، ويترك الصلاة ، ويتعدى حكم الكتاب . فقال لهم : ما رأيت منه ما تذكرون ، وقد حضرته ، وأقمت عنده ، فرأيتُه مواظباً على الصلاة ، متحريراً للخير ، يسأل عن الفقه ، ملازماً للسنّة . قالوا : فإن ذلك كان منه تصنعاً لك . فقال : وما الذي خاف مني أو رجا حتى يظهر إلى الخشوع ؟ أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر ؟ فلو كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه ، وإن لم يكن أطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا . قالوا : إنه عندنا حق وإن لم تكن رأينا . فقال لهم : أبى الله ذلك على أهل الشهادة فقال : ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٨٦) [ الزخرف ] ، ولست من أمركم في شيء . قالوا : فلعلك تكره أن يتولى الأمر غيرك ، فنحن نوليكَ أمرنا . قال : ما أستحل القتال على ما تريدونني عليه تابعاً ولا متبوعاً . قالوا : فقد قاتلت مع أبيك . قال : جيئوني بمثل أبي أقاتل على مثل ما قاتل عليه . فقالوا : فمر ابنك أبا القاسم والقاسم بالقتال معنا . قال : لو أمرتهما قاتلت . قالوا : فقم معنا مقاماً تحض الناس فيه على القتال . قال : سبحان الله ، أمر الناس بما لا أفعله ولا أرضاه ؟ إذن ما نصحت لله في عباده . قالوا : إذن نكرهك . قال : إذن أمر الناس بتقوى الله ، وألا يرضوا المخلوق بسخط =

المصائب مرة، ويا أسفًا علي مصيبة الحسين ألف مرة. بوله يجرى على صدر النبي ﷺ

= الخالق ( وخرج إلى مكة ) .

(\*) إن الذين نسبوا ليزيد ما لا يحل لهم - الراضة للتوصل إلى التشكيك بالقرآن من وراء الطعن بمعاوية ومن عم الخلفاء الذين ولوه وأقروه على الحكم ، وهم نقلة القرآن وحفظته .

(\*) لقد كان يزيد غائبًا عن الشام حينما مات أبوه فلما وصل دمشق جدت له البيعة ، ثم جمع الناس في الجامع وخطب فيهم مما يدل على تقواه قائلًا بعد حمد الله والثناء عليه :

أيها الناس ! إن معاوية كان عبدًا من عبيد الله ، أنعم عليه ، ثم قبضه إليه ، وهو خير من بعده ودون من قبله !

ولا أركيه على الله عز وجل ، فإنه أعلم به . إن عفا عنه فبرحمته ، وإن عاقبه فبذنبه . وقد وليت الأمر من بعده ، ولست آسى على طلب ، ولا أعتذر من تفریط . وإذا أراد الله شيئًا كان .

إن معاوية كان يغزيكم البحر ، وإنى لست حاملاً أحدًا من المسلمين ( لعل مراده إلا بإذنه واختياره بدليل العبارة التي بعد هذه العبارة ) في البحر . وأن معاوية كان يشتكم بأرض الروم ، ولست مشتيًا أحدًا بأرض الروم . وإن معاوية كان يخرج لكم العطاء أثلاثًا ، وأنا أجمعه لكم كله .

قال الراوى فافترق الناس عنه وهم لا يفضلون عليه أحدًا ( البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤٣ ) .

ومن خطب يزيد الدالة على حصافة عقله وحسن بصيرته وتقواه :  
الحمد لله أحمدته وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله اصطفاه لوحيه واختاره لرسالته بكتاب فصله وفضله وأعزه وأكرمه ، ونصره وحفظه ، ضرب فيه الأمثال وحلل فيه الحلال وحرم الحرام وشرع فيه الدين أعذارًا وأنذاراً . لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل ، ويكون بلاغًا لقوم عابدين .

ودمه يراق على البوغاء ولا يحقن (٤٤٢) يا لله ويا للمسلمين . وإن أمثل ما روى فيه أن يزيد كتب إلى الوليد بن عتبة ينعي له معاوية ويأمره أن يأخذ له البيعة على أهل المدينة - وقد كانت تقدمت فدعا مروان فأخبره فقال له : أرسل إلى الحسين بن علي وابن الزبير ، فإن بايعوا وإلا فاضرب أعناقهم . قال : سبحان الله ، تقتل الحسين ابن علي وابن الزبير ؟ قال : [ هو ] ما أقول لك . فأرسل إليهما ، فاتاه ابن الزبير ، فنعى إليه معاوية وسأله البيعة ، فقال : ومثلى يبايع هنا ؟ ارق المنبر ، وأنا

= وأصيكم عباد الله بتقوى الله العظيم الذى ابتدأ الأمور بعلمه ، وإليه يصير معادها ، وانقطاع موتها وتصرم دارها . وأحذرکم الدنيا فإنها حلوة خضرة حفت بالشهوات وراقت بالقليل وأنبعت بالقانى ، وتحببت بالعاجل ، لا يدوم نعيمها ولا يؤمن فجيعةا ، أكالة غوالة غرارة ، ولا تبقى على حال . ولا يبقى لها حال ، لن تعد الدنيا إذا تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا بها وأن تكون كما قال الله عز وجل : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ إلى قوله مقتدراً نسأل الله ربنا وإلهنا وخالقنا مولانا أن يجعلنا وإياكم من فزع يومئذ آمنين . إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله . يقول الله : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة ( العقد الفريد ٢/ ٣٧٨ ) .

ومما روى عن معاوية أنه لما مات الحسن رضي الله عنه وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنه فى دمشق ، أمر ابنه أن يذهب فيعزيه به فذهب وجلس بين يديه . وأراد ابن عباس أن يرفع مجلسه فأبى وقال : إنما أجلس مجلس المعزى لا المهني ، ثم ذكر الحسن فقال : « رحم الله أبا محمد أوسع الرحمة وأفسحها ، وأعظم الله أجرك وأحسن عزاك وعوضك من مصابك ما هو خير لك ثواباً وخير عقبى فلم يسع ابن عباس بعد أن غادره يزيد إلا أن قال لجلسائه :

إذا ذهب بنو حرب ، ذهب علماء الناس ثم أنشد :

مغاضى عن العوراء لا ينطقونها وأصل وارثات الحلوم الأوائل



(أبايعك) (٤٤٣) مع الناس علانية . فوثب مروان وقال : اضرب عنقه ، فإنه صاحب فتنة وشبر فقال ( ابن الزبير ) : فإنك لهنالك يا بن الزرقاء ؟ واستبأ فقال الوليد : أخرجهما (٤٤٤) عنى ، وأرسل إلى الحسين ولم يكلمه بكلمة فى شىء ، وخرجا من عنده . وجعل الوليد عليهما الرصد . فلما دنا الصبح خرجا مسرعين إلى مكة فالتقيا بها . فقال له ابن الزبير : ما يمنعك من شيعتك وشيعة أبيك ؟ فوالله لو أن لى مثلهم لذهبت إليهم . فهذا ما صح (٤٤٥) .

(٤٤٣) كتبها الشيخ محب [ وأنا أبايع مع الناس ] ولا مبرر لذلك . [ س ] .  
(٤٤٤) فى ب ، د ، ز : أخرجاهما . وكتب الشيخ محب أخرجا . [ س ] .  
(٤٤٥) إنا وإن كنا نلوم ابن الزبير رضي الله عنه على ثورته ، وهو لا شك مجتهد لكننا نبرئه من خدعة الحسين بحضه على الخروج إلى العراق ليخلو له الجوى فى الحجاز . وقد روى الطبرى روايات أخرى تنفى هذه الخدعة عن هذا الصحابى . نذكر بعضها بإيجاز :  
ذكر الطبرى أن ابن الزبير قال للحسين حينما قال له من رغبه فى الخروج إلى العراق :

أما الملك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر ههنا ما خولف عليك إن شاء الله ( ج ٤ ص ٢٨٨ ) وفى إحداهما أن عبد الله بن مسلم والمدرى بن المشتعل سمعا ابن الزبير يسار الحسين بين الحجر والباب ، فيقول له : إن شئت أن ( ٢٨٩ ) . تقيم أقمت فوليت هذا الأمر ، فأزرناك وساعدناك ونصحنا لك فبايعناك . . .  
وقد روى ابن كثير رواية جاء فيها أن الحسين قال لابن الزبير أنتنى بيعة أربعين ألفاً يحلفون بالطلاق والعناق . فقال له أخرج إلى قوم قتلوا أباك وأخرجوا أخاك ؟ !  
البداية والنهاية ج ٨ ص ١٦١ .

ومما يؤيد براءة ابن الزبير من تغيير الحسين ليخلو له الجوى فى الحجاز ما رواه الإمام ابن كثير أن عبد الله بن مطيع - داعية ابن الزبير - لقيه فى مكة ، فقال له : فداؤك أمى وأبى . أمتعنا بك ولا تسر إلى العراق ، ولئن قتلك هؤلاء يتخذونا عبيداً (وخولا ! ) . البداية والنهاية ص ١٦١ - ١٦٣ . [ م ] .

وذكر المؤرخون أن كتب أهل الكوفة وردت على الحسين (٤٤٦) ، وأنه أرسل

(٤٤٦) أول من كتب إليه من شيوخ شيعته - على ما رواه مؤرخهم لوط بن يحيى - : سلمان ابن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر ، وأرسلوا كتابهم مع عبد الله بن سبيع الهمداني وعبد الله بن وال ، فبلغا حسيًا بمكة في عاشر رمضان سنة ٦٠ ، وبعد يومين سرحوا إليه قيس بن مسهر الصيداوى وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبى وعمارة السلولى بثلاث وخمسين صحيفة ، وبعد يومين آخرين سرحوا إليه ابن هانئ السبيعى وسعيد بن عبد الله الحنفى ( وفى الطبرى ٦ : ١٩٧ نصوص بعض رسائلهم وأسماء بعض أصحابها ) وهى تدور على أنهم لا يجتمعون مع أميرهم النعمان بن بشير فى جمعة ، ويدعون الحسين إليهم حتى إذا أقبل طردوا أميرهم وألقوه بالشام ، ويقولون فى بعضها : « أينعت الثمار ، فإذا شئت فأقدم على جند لك مجند » . فأرسل الحسين إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبى طالب ليرى إن كانوا مستوثقين مجتمعين ليقدم هو عليهم بعد ذلك . وضل مسلم ابن عقيل فى الطريق ومات من معه من العطش فكتب إلى الحسين يستعفيه من هذه المهمة ، فأجابه : خشيت ألا يكون حملك على الاستعفاء إلا الجبن ، فمضى مسلم حتى بلغ الكوفة ، وأعطاه البيعة للحسين اثنا عشر ألفاً منهم ، وشعر أمير الكوفة النعمان بن بشير بخركاتهم فخطب فيهم ينهاهم عن الفتنة والفرقة ، وقال لهم : إني لا أقاتل إلا من قاتلنى ، ولا آخذ بالظنة والتهمة ، فإن أبديتكم لى صفحتكم ونكتكم بيعتكم لأصربنكم بسيفى ما ثبت قائمه فى يدى . وعلم يزيد أن النعمان بن بشير حلیم ناسك لا يصلح فى مقاومة مثل هذه الحركة ، فكتب إلى عبيد الله بن زياد عامله على البصرة أنه قد ضم إليه الكوفة أيضاً ، وأمره أن يأتى الكوفة وأن يطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى يثقفه فيوثقه فيقتله أو ينفيه . فاستخلف عبيد الله أخاه على البصرة وأقبل إلى الكوفة فاتصل برؤسائها وقبض على أزمة الحال ، فما لبث مسلم ابن عقيل أن رأى مبايعيه الاثنى عشر ألفاً كالهباء ، ورأى نفسه وحيداً طريداً ، ثم قبض عليه وقتل . وكان الحسين قد جاءته قبل ذلك رسائل مسلم بن عقيل بأن اثنى عشر ألفاً بايعوه على الموت فخرج عقب موسم الحج يريد الكوفة ، ولم يشجعه

مسلم بن عقيل - ابن عمه - إليهم ليأخذ عليهم البيعة وينظر هو في اتباعه فنهاه ابن عباس وأعلمه أنهم خذلوا أباه وأخاه ، وأشار عليه ابن الزبير بالخروج فخرج ، فلم يبلغ الكوفة إلا ومسلم بن عقيل قد قتل وأسلمه من كان استدعاه . وكيفيك بهذا عظة لمن اتعظ . فتمادى واستمر غضباً للدين وقياماً بالحق . ولكنه رضي الله عنه لم يقبل نصيحة أعلم أهل زمانه ابن عباس ، وعدل عن رأى شيخ الصحابة ابن

على الخروج إلا ابن الزبير (\*) لأنه عرف أن أهل الحجاز لا يتابعونه ما دام الحسين معهم فصار الحسين أثقل خلق الله على ابن الزبير ( الطبرى ٦ / ١٩٦ ، ١٩٧ ) وانظر ٦ / ٢١٦ ، ٢١٧ . وأما المشفقون على الحسين من هذا الخروج المشؤوم فهم جميع أحبابه وذوى قرابته والناصحين له والمتحرين سنة الإسلام فى مثل هذا الموقف ، كل هؤلاء نهوه عن مسيره وحذروه من عواقبه ، وفى طلعتهم أخوه محمد ابن الحنفية ( الطبرى ٦ / ١٩٠ ، ١٩١ ) وابن عم أبيه حبر الأمة عبد الله بن العباس ( الطبرى ٦ / ٢١٦ ، ٢١٧ ) وابن عمه عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ( ٢ / ٢١٩ ) ، وقد بلغ الأمر بعبد الله بن جعفر أن حمل والى يزيد على مكة وهو عمرو بن سعيد بن العاص على أن يكتب للحسين كتاب الأمان ويمنيه فيه البر والصلة ويسأله الرجوع ، فأجابه والى مكة إلى كل ما طلب وقال له اكتب ما تشاء وأنا أختم على الكتاب ، فكتبه وختمه الوالى ، وبعث به إلى الحسين مع أخيه يحيى بن سعيد بن العاص ، وذهب عبد الله بن جعفر مع يحيى ، وجهدا بالحسين أن يثنيه عن السفر فأبى (وصورة كتاب الوالى فى تاريخ الطبرى ٦ / ٢١٩ - ٢٢٠) ، وليس فوق هؤلاء الناصحين أحد فى عقلهم وعلمهم ومكانتهم وإخلاصهم ، بل إن عبد الله بن مطيع داعية ابن الزبير كان من ناصحيه (\*\*) بعقل وإخلاص ( الطبرى ٦ / ١٩٦ ) وعمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى كان على هذا الرأى ( الطبرى ٦ / ٢١٥ - ٢١٦ ) والحارث ابن خالد بن العاص بن هشام لم ياله نصحاً ( ٦ / ٢١٦ ) وحتى الفرزدق الشاعر قال =

(\*) هذه تهمة ذكرنا بطلانها فيما سبق ! ولو أنها مذكورة فى تاريخ الطبرى . فإن فى هذا التاريخ ما يناقضها ، وقد كنا ذكرنا طريقة الطبرى فى التأليف . والمبرة فى التحقيق العلمى الحديث !

(\*\*) كيف يتفق قول الأستاذ الخطيب رحمه الله فيما مضى أن ابن الزبير كان بشجع الحسين رضي الله عنه على الخروج إلى العراق ، ثم يروح يقول هنا بأن داعيته ابن مطيع نصحه بعدم الخروج !!

عمر (٤٤٧)، (٤٤٨) .

= له : قلوبُ الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية ( الطبرى ٦ : ٢١٨ ) فلم يفد شيء من هذه الجهود فى تحويل الحسين عن هذا السفر الذى كان مشوؤماً عليه ، وعلى الإسلام ، وعلى الأمة الإسلامية إلى هذا اليوم وإلى قيام الساعة ، وكل هذا بجناية شيعة الذين حرصوه بجهل وغرور ورغبة فى الفتنة والفرقة والشر ، ثم خذلوه بجبن ونذالة وخيانة وغدر . ولم يكتف ورثتهم بما فعل أسلافهم فعكفوا على تشويه التاريخ وتحريف الحقائق ورد الأمور على أذارها . [ خ ] .

(٤٤٧) فى إثاره العافية ، وحرصه على وحدة المسلمين وتفرغهم لنشر الدعوة والفتوح .

(٤٤٨) نذكر فيما يلى ضراعات كبار الصحابة والمفكرين للحسين بلزوم رجوعه :

لقد روى الطبرى أن الحسين لما خرج من مكة اعترضه رسل الوالى عمر بن سعيد بقيادة أخيه يحيى ، فقالوا له : أين تذهب وطلبوا منه الانصراف فأبى فتدافع الفريقان وتضاربوا بالسياط وامتنع الحسين منهم ، ثم مضى فناداه يحيى :

يا حسين ؟ اتق الله ولا تخرج من الجماعة وتفرق هذه الأمة !!

فأجابه بالآية : ﴿ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ٤١] ثم مضى .

وقد روى الطبرى كذلك أن عبد الله بن جعفر لما علم بخروج الحسين من مكة أرسل إليه كتابا مع ابنه عون ومحمد يقول فيه :

إنى أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر فى كتابى فإننى مشفق عليك من الوجه الذى توجه إليه أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك . إن هلك اليوم طفئ نور الأرض ، فإنك علم المهتدين ورجل المؤمنين ، فلا تعجل بالسير فإننى فى أثر الكتاب .

ولقد روى ابن كثير ( ص ٢٩١ ، ٢٩٢ ) أن عبد الله بن عمر لما سمع بخروج الحسين إلى العراق ، وكان هو فى مكة لحق به على مسيرة ثلاث ليال ، فقال له : أين تريد ؟

= قال : العراق . وهذه كتبهم ويعتهم . فقال له ابن عمر :

=إني محدثك حديثاً أن جبريل أتى النبي ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة ،  
فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا . وإنك بضعة من رسول الله وما نالها أحد منكم أبداً !  
وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم .

فأبى أن يرجع ، فاعتنقه وقال له :

أستودعك الله من قتيل !

كذلك روى أن أبا سعيد الخدري جاء إلى الحسين وقال له :

إني لك ناصح ، وإنني عليك مشفق . لقد بلغني أنه قد كاتبك قوم من شيعتكم  
بالكوفة يدعونك إلى الخروج إليهم ، فلا تخرج ! فإني سمعت أباك يقول بالكوفة :  
والله لقد مللتهم وأبغضتهم وملوني وأبغضوني وما يكون منهم وفاء قط . ومن  
فاز منهم فاز بالسهم الأخيبي . والله ما لهم نيات ولا عزم على أمر ولا صبر على  
السيف . ( البداية والنهاية ج / ص ١٦٠ ) .

وقال الإمام ابن كثير : وكتب يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن عباس يطلب منه  
أن يكف الحسين وقال له : « أحسبه قد جاءه رجل من الشرق فمنوه بالخلافة ،  
وعندك منهم خبر وتجربة ، فإن كان قد فعل ، فقد قطع راسخ القرابة ، وأنت كبير  
أهل بيتك ، والمنظور إليه ، فامنعه عن الفرقة » .

ودخل ابن عباس علي الحسين فكلمه طويلاً وقال :

أشذك الله أن تهلك غداً بحال مضیعة ، لا تأت العراق ، وإن كنت لا بد  
فاعلا ، فأقم حتى ينقضى الموسم تلقى الناس وتعلم ما يصدرون ثم ترى رأيك .  
فأبى ! ( البداية والنهاية ص ١٦١ - ١٦٣ ) .

وروى الطبري أيضاً أن أحد بنى عكرمة لقيه وهو نازل في بطن القصبية ، فسأله  
أين تريد فحدثه فقال له : إني ينشدك الله ما انصرفت ! فوالله لا تقدم إلا على  
الأسنة وحد السيوف ، فلو كان الذين بعثوا إليك كفوك مؤونة القتال ووطؤوا لك  
الأشياء ، فقدمت عليهم كان ذلك رأياً فقال - أی الحسين - له : يا عبد الله إنه ليس  
يخفى عليّ ما رأى ! ولكن الله لا يغلب على أمره . ثم ارتحل ثم إن الحسين استمر  
في سيزه بعد أن وصله خبر مقتل مسلم وتفرق الناس عنه أيضاً . =

=وروى الطبرى أن مسلم بن عقيل بعد أن أثختته الحجارة التى رشق بها فاستسلم فأخذوا سيفه ، فقال : هذا أول الغدر . ويكى ، وكان بقربة عمرو بن عبيد الله بن عباس فقال له : من يطلب مثل الذى تطلب إذا نزل به الذى نزل بك لا ييكى !

فقال له : والله ما لنفسى أبكى ! ولا لها من القتل أرثى . ولكن أبكى لأهلى المقبلين ، أبكى الحسين وآل الحسين !! ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال له : يا عبد الله ! والله ستعجز عن أمانى ، فهل عندك خبر تستطيع أن تبعث من عندك رجلا على لسانى يبلغ حسيئا ، فأنى لا أراه قد خرج إليكم هو وأهل بيته ، فيقول له إن مسلماً أسير ولا يمسى حتى يقتل ، فارجع بأهلك وبيتك ، ولا يغرك أهل الكوفة ، فإنهم أصحاب أبيك ! والذى كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل ، وقد كذبونى وكذبوك ، وليس للكذاب رأى ! فوعده بأن يفعل .

ثم أرسل شخصاً يخبره خبر مسلم ورسالته ، فلقى الحسين وأخبره فقال له : كل ما حم نازل وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا ثم استمر فى رحلته وكان فى إمكانه أن يعود ( ج ٤ ص ٢٧٨ - ٢٨١ ) .

وقد روى الطبرى ( ج ٤ ص ٢٩٢ - ٢٩٤ ) أن الحسين لما تيقن من مقتل مسلم وتيقن من خذلان أهل العراق له ، قال لمن معه من غير أسرته ، ولم انضم إليه فى طريقه : ( لقد خذلنا شيعتنا !! فمن أحب منكم الانصراف فليصرف . ففترق أكثر الناس ، ولم يبق معه إلا أبنائه وأقرباؤه وبعض المخلصين من أوليائه ، ولم يكن يزيد مجموعهم على المائة ) .

ويروى المسعودى أن عبيد الله بن زياد قال لقاتل الحسين : إنه كان خير الناس أمأ وأباً ، وخير عباد الله ، فلم قتله ؟! ثم أمر بضرب عنقه ( مروج الذهب ج ٣ ص ١٤١ ) .

وروى الطبرى كتاب يزيد إلى عبيد الله بن زياد يوصيه فى الحسين إنك لم تعد أن كنت كما أحب عملت عمل الحازم ، وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش . وقد بلغنى أن الحسين توجه إلى العراق فضع المناظر والمسالح واحترس على الظن وخذ

على التهمة ولا تقتل إلا من قاتلك : ( الطبرى ج ٤ ص ٢٨٢ - ٢٨٦ ) .

ولقد روى ابن كثير أن مروان بن الحكم كتب إلى عبيد الله بن زياد حينما خرج الحسين إلى العراق : أن الحسين قد توجه إليك ، وهو ابن فاطمة وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وتالله ما أحد مسلم أحب إلينا من الحسين ، فأياك أن تهيج على نفسك ما لا يسده شيء ولا تنساه العامة ولا تدع ذكره آخر الدهر .  
وقد أوصى معاوية نفسه ولاته وابنه يزيد بالحسين .  
حزن يزيد لاستشهاد الحسين ومعاملته لأهل بيته .

يروى أن يزيد دمعت عيناه لما حمل إليه رأس الحسين وقال لحامله : لقد كنت أَرْضَى من طاعتكم بدون قتل الحسين . لعن الله ابن عبيد الله . أما والله لو أنى صاحبه لعفوت عنه ، فرحم الله الحسين .

أما والله يا حسين لو أنا صاحبك ما قتلتك ثم دعا بعلى الصغير بن الحسين ونسائه ، فأدخلوه عليه وعنده أشراف الشام . فقال لعلى : أبوك الذى قطع رحمتي وجهل حقى ، ونازعنى سلطانى ، فصنع الله به ما قد رأيت .  
ثم أمر بإزالة الهمة في داره وأمر لهم بما يصلحهم ، وكان لا يتغدى ولا يتعشى إلا على معه . ثم أمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم ويسيرهم إلى المدينة مع أناس صالحين .

ولما أرادوا الخروج دعا علياً فودعه وقال له :

لعن الله ابن مرجانة ! أما والله لو أنى صاحبه ما سألنى خصلة إلا أعطيتها إياه ولدفعت عنه الختف بكل ما استطعت ، ولو بذلت بعض ولدى ، ولكن الله قضى ما رأيت ، فكاأبني ، وإنه إلى كل حاجة تكون لك .

ويروى ابن قتيبة أنه لما أدخلوا عليه رأس الحسين وأهله بكى حتى كادت نفسه تفيض . ويكى معه أهل الشام حتى علت أصواتهم .

يروى المسعودى أن ابن زياد قال لقائل الحسين : إنه كان خير الناس أمّا وأبّا ، وخير عباد الله ، فلم تقتله ؟ ثم أمر بضرب عنقه ( مروج الذهب ج ٣ / ١٤١ ) وذكر

الطبرى أنه لما دخل على ابن زياد عشاء آل الحسين ، أمر لهم بمنزلة وأجرى عليهم رزقاً ، وأمر لهم بنفقة وكسوة ثم سيرهم إلى يزيد .

قال الأستاذ دروزة ( ٣٨٤ / ٨ ) : هذا - يجعل الروايات الواردة في حسن معاملة عبيد الله بن زياد ، ثم يزيد لابن الحسين الصغير وبناته ونسائه واستيلاء يزيد لقتله ، وبكائه عليه ومشاركة أهله نساء ورجالا في ذلك ، أصح من تلك التي تذكر قسوتها وجفاءها إزاءهم ، ولا سيما أنه لم يكن هناك قتال شديد يثير نقمة وانفعالا يمتد أثرهما إلى النساء والأطفال . وكان ما وقع على غير إرادتهم بل وعلى مضض منهم .

ولعل من الدلائل على ذلك ما رواه الطبرى وابن قتيبة معاً من استمرار الصلوات الحسنة ، والمكاتبات بين يزيد وعلى بن الحسين ، وما كان من موقف هذا أبان ثورة المدينة حيث رووا أنه لا على ولا إقاربه اشتركوا في هذه الحركة وأن يزيد وصى قائد جيشه وأمره بأن يدنسى مجلسه وأن يبلغه أنه وصل إليه كتابه ، وأن هؤلاء الخبيثاء شغلوه عنه ، وأن القائد رحب به وأجلسه على السرير وبلغه رسالة يزيد ( تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٣٧٩ والإمامة والسياسة ج ١ ص ٢٠٠ ) .

فأين هذه المعاملة الحسنة من افتراء المقتربين بسبى أهل البيت وحملهم على الجمال بلا أقتاب بعد استشهاد الحسين ؟! فهذا من الكذب الواضح ، ما استحلت أمة محمد ﷺ سبى هاشمية ، وإنما قاتلوا الحسين خوفاً منه ومن أن يزيل عنهم الملك . فلما استشهد فرغ الأمر وبعث باله إلى المدينة . ولكن جهل الرافضة إليه المنتهى . ولا ريب أن قتل الحسين من أعظم الذنوب ، وفاعله والراضى به مستحق للعذاب لكن ليس قتله بأعظم من قتل أبيه ، ولا قتل زوج أخته عمر ، وقتل زوج خالته عثمان .

والغريب أن هؤلاء المنافقين والمغرضين من أهل الكوفة الذين دعوا الحسين لتوليته هم الذين خذلوه وتخلوا عن نصرته ، وتسببوا بقتله ثم خرجوا ليكون عليه .

طعن آل البيت بالشيعية :

قال مؤلف التحفة الاثنى عشرية : نقل علامة الشيعة في هذا العصر الشيخ هبة



الدين الشهرستاني ما رواه الجاحظ عن خزيمة الأسدي قال : دخلت الكوفة فصادفت منصوراً على بن الحسين بالذرية عن كربلاء إلى عبيد الله بن زياد ، ورأيت نساء الكوفة يومئذ قياماً يندبن متهتكات الجيوب ، وسمعت على بن الحسين ، وهو يقول بصوت ضئيل :

« يا أهل الكوفة ! إنكم تبكون علينا ، فمن قتلنا غيركم ؟ ! » .

ورأيت زينب بنت علي رضي الله عنها فلم أر - والله - خضرة أنطق منها بيئاً قالت : يا أهل الكوفة ، يا أهل الخثر والخذل فلا رفأت القبرة ، ولا هدأت الرقة إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم . ألا هل فيكم إلا الصلف والشنف ، وخلق الدماء وغمز الأعداء .

وهل أنتم إلا كمرعى على دمنة ، أو كفضة على ملحودة ؟

ألا ساء ما قدمت أنفسكم . أن سخط الله عليكم ، وفي العذاب أنتم خالدون . أتبكون ؟! إى والله فابكوا . وإنكم والله أحرياء بالبكاء ، فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً فقد فزتم بمعارها وشارها ، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً !!

هل يزيد مسؤول عن مقتل الحسين ؟

وقال المؤرخ دروزة أيضاً : مما سبق ندرك « أنه ليس هناك ما يبرر نسبة قتل الحسين إلى يزيد ، فهو لم يأمر بقتاله ، فضلاً عن قتله ، وكل ما أمر به أن يحاط به ولا يقاتل إلا إذا قاتل ، ومثل هذا القول يصح بالنسبة لعبيد الله بن زياد ، فكل ما أمر به أن يحاط به ولا يقاتل إلا إذا قاتل ، وأن يؤتى به إليه ليضع يده فى يده ، أو يبايع يزيد صاحب البيعة الشرعية بل أن هذا ليصح قوله بالنسبة لأمرأ القواصم التي جرى بينها وبين الحسين وجماعته قتال ، فإنهم ظلوا ملتزمين ما أمروا به ، بل كانوا يرغبون أشد الرغبة في أن يعاقبهم الله من الابتلاء بقتاله ، فضلاً عن قتله ، ويذلون جهودهم فى إقناعه بالتزول على حكم ابن زياد ومبايعه يزيد ، فإذا كان الحسين أبى أن يستسلم ليدخل فيما دخل فيه المسلمون وقاوم بالقوة ، فمقابلته وقاتله صار من الوجهة الشرعية والوجهة السياسية سائغاً ( الأستاذ دروزة ج ٨ / ٣٨٣ - ٣٨٤ ) قد يقول قائل : ألم يكن من الواجب على يزيد وبالتالي على ابن زياد أن يقبل من =

=الحسين قبول أحد شروطه الثلاثة العادلة التي عرضها عليه وهى أن يترك ليعود من حيث أتى ، أو يذهب إلى يزيد ، أو يرسل إلى الثغور . يذكر بعضهم أن هذه الشروط والمطالب من الحسين عليه السلام ليس لها أساس من الصحة . فقد روى الطبرى رواية عن سمعان : قال : إنى صحبت الحسين عليه السلام فخرجت معه من المدينة إلى مكة ، ومن مكة إلى العراق ، ولم أفارقه حتى قتل وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا فى الطريق ، ولا فى العراق ولا فى عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها . ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس ، وما يزعمون من أن يضع يده بيد يزيد بن معاوية ولا أن يسير إلى ثغر من ثغور المسلمين ، ولكنه قال : دعونى فلاذهب فى الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس ( المسعودى ص ٣١٣ ) .

وهذا الطلب من الحسين لا يمكن قبوله لمن أوتى أقل نصيب من السياسة والتفكير خيفة أن يقوم الحسين بتحريض شيعته فى الأمصار فتندلع الثورات والفتن . ونرى لو أن عبيد الله بن زياد وصحبه حاصروا الحسين عليه السلام وجماعته وأحاطوهم بصنوف العناية والرعاية ، وقدموا لهم ما يشتهون ، وتركوا أمر الصلح للأيام ريثما تهدأ نائرة الحسين لكان خيراً . وكل ذلك كان ممكناً ما داموا قلة لا يزيدون على مائة ، فلا يقاتلونهم ، ولو قاتلوا على أن تنزع منهم أسلحتهم بمختلف الأساليب ولكن أمر الله كان قدراً مقدوراً . وإنا لله وإنا إليه راجعون .

نسأل الله سبحانه أن يهدى هؤلاء الذين يجددون ذكرى هذه الكارثة من عام إلى آخر وما يهلكون إلا أنفسهم فى الدنيا قبل الآخرة وهم لا يشعرون ، وخاصة وأن الأمويين قد زالوا . ولكن قبح الله اليهودية والشعوبية فإنهما لا تزالان تعيثان فساداً فى النفوس لتحارب الإسلام والمسلمين باسم نصره آل البيت كذباً وزوراً .

وختاماً لهذا الموضوع الخطير نقول كما قال المؤرخ المحقق عزة دروزة (٣٨٦/٨) بعدما نقل بعض ما ذكرناه فى هذا البحث : ونشهد الله على أننا لم نكتب ما كتبناه عن هوى أو بغض للحسين عليه السلام وآل

بيته وعلى أننا نكن لهم أشد الاحترام والمحبة لصلتهم الشريفة برسول الله ﷺ ولكننا كمؤرخين لا يسعنا أن نكتب غير ذلك ، إذا أردنا أن نلتزم المنطق والإنصاف والحق ؛ لأن الروايات التي تطمئن بها النفس لا تسمح بغيره .

ولم نفرد بهذه النتائج التي استنتجناها من الروايات . فهناك كثيرون غيرنا . يشاركوننا فيها ، بل وإنه لشاركونا فيها كل منصف متجرد عن الهوى من المسلمين على اختلاف طوائفهم .

ونورد هنا قولين في ذلك أحدهما للإمام المصلح العظيم ابن تيمية ، والثاني للمؤرخ المحقق الشيخ محمد الخضرى رحمهما الله .

وقد أورد الإمام ابن تيمية خبر ما تلقاه الحسين من نصائح كثيرة بعدم الخروج والتحذير من العواقب ثم قال :

إنه لم يكن في الخروج مصلحة لا في دين ولا في دنيا . وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يحصل لو قعد في بلده . فإن ما قصده من تحصيل الخير ودفع الشر لم يحصل منه شيء بل زاد الشر بخروجه وقتله ، ونقص الخير بذلك ، وصار سبباً لشر عظيم ، وكان قتل الحسين مما أوجب الفتى ( انظر المنتقى من منهاج السنة ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ ) .

أما الشيخ الخضرى فإنه عقب على حادث قتل الحسين قائلا :

وعلى الجملة فإن الحسين أخطأ خطأ عظيماً في خروجه هذا الذى جر على الأمة وبال الفرقة والاختلاف وزعزع عماد ألفتها إلى يومنا هذا .

وقد أكثر الناس من الكتابة فى هذه الحادثة لا يريدون بذلك إلا أن تشتعل النيران فى القلوب ، فيشتد تباعدها . وغاية ما فى الأمر أن الرجل طلب أمراً لم يتهىأ له ، ولم يعد له عدته ، فحيل بينه وبين ما يشتهى وقتل دونه . وقبل ذلك قتل أبوه فلم يجد من أقلام الكاتبين من يشع أمر قتله ، ويزيدون نار العداوة تأجيحاً .

والحسين قد خالف يزيد ، وقد بايعه الناس ، ولم يظهر عنه ذلك الجور ولا العسف عند إظهار الخلاف حتى يكون فى الخروج مصلحة للأمة ( محاضرات الخضرى تاريخ الأمم الإسلامية ٢ / ٢٣٥ ) . ( م ) .

وطلب الابتداء فى الانتهاء ، والاستقامة [ من أهل ] الاعوجاج ، ونضارة الشيبة فى هشيم المشيخة . ليس حوله مثله ، ولا له من الأنصار من يرفع حقه ، ولا من يذل نفسه دونه ، فأردنا أن نطهر الأرض من خمر يزيد (٤٥٠) فأرقنا دم الحسين ، فجاءتنا مصيبة لا يجبرها سرور الدهر (٤٥١) .

وما خرج إليه أحد إلا بتأويل ، ولا قاتلوه إلا بما سمعوا من جده المهيم على الرسل ، المخبر بفساد الحال ، والمحذر [ عن ] الدخول فى الفتن . وأقواله فى ذلك كثيرة : منها [ ما روى مسلم عن زياد بن علاقة عن عرفة بن شريح ] قوله ﷺ (٤٥٢) « إنه ستكون هنات وهنات ، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهى جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان (٤٥٣) » . فما خرج الناس إلا بهذا وأمثاله . ولو أن

(٤٥٠) بزعم مثيرى الفتنة الذين يشهدون بغير ما علموا .

(٤٥١) لا أدرى سبباً معقولاً لتضخيم هذه المصيبة على الرغم من فدايتها بعد زوال الأمويين وملكتهم ؟! فهى مهما كان من أمرها لا تعد شيئاً مذكوراً بجانب المصيبة باستشهاد الخلفاء عمر وعثمان وعلى ؓ فلماذا لا يقيمون عليهم - إذا كانوا مخلصين للإسلام - كل عام مأتماً وعويلاً . بعرفهم فى تجديد المصيبة وإحياء ذكراها ؟!

ولا أدرى أيضاً كيف يصح إقامة مثل هذه المآتم ، وقد جاء النهى فى أحاديث كثيرة عن الصياح وشق الجيوب ولطم الخدود وغير ذلك من العادات الجاهلية ! ولكن لعن الله السياسة المتهافئة كيف تضلل أصحابها وتسبب لهم العذاب فى الدنيا قبل الآخرة قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِنُونَ أَنْهُمْ يُحْسِنُونَ صَنَعًا ۝ ﴾ .

(٤٥٢) من حديث عرفة بن زكريا فى كتاب الإمامة : صحيح مسلم : باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع ( ك ٣٣ ح ٥٩ ج ٦ ص ٢٢ ) .

(٤٥٣) الحسين ؓ كان مجتهداً فإن أصاب فله أجران ، وأن أخطأ فله أجر وكان يجدر ببنى أمية أن يحترموا سلامة نيته ونبالة قصده ويحيطوه بأنواع الرعاية والعناية على الرغم من محاربته لهم ، فإنه لا خطر منه ما دامت جماعته قلة ، وذلك ريثما يتم الاتفاق ويتهى معه إلى سلم . ولكن تسرعهم سبب لهم وللعالم الإسلامى النكبات . =

عظيمها وابن عظيمها وشريفها وابن شريفها الحسين يسعه بيته أو ضيعته أو إبله - ولو جاء الخلق يطلبونه ليقوم بالحق وفي جملتهم ابن عباس وابن عمر لم يلتفت إليهم - وحضره ما أنذر به النبي ﷺ وما قال في أخيه (٤٥٤) ، ورأى أنها [ قد ] خرجت عن أخيه ومعه جيوش الأرض وكبار الخلق يطلبونه ، فكيف ترجع إليه بأوباش الكوفة ، وكبار الصحابة ينهونه وينأون عنه ؟ [ و ] ما أدري في هذا إلا التسليم لقضاء الله ، والحزن على ابن بنت رسول الله ﷺ بقية الدهر . ولولا معرفة أشياخ [ الصحابة ] وأعيان الأمة بأنه أمر صرفه الله عن أهل البيت ، وحال من الفتنة لا ينبغي لأحد أن يدخلها ما أسلموه أبداً .

وهذا أحمد بن حنبل - على نقشفه وعظيم منزلته في الدين وورعه - قد أدخل عن يزيد بن معاوية في ( كتاب الزهد ) أنه كان يقول في خطبته : « إذا مرض أحدكم مرضاً فأشفى ثم تماثل ، فليُنظر إلى أفضل عمل عنده فليلزمه ، وليُنظر إلى أسوأ عمل عنده فليدعه » وهذا يدل على عظيم منزلته عنده حتى يدخله في جملة الزهار من الصحابة والتابعين الذين يقتدى بقولهم ويرعوى من وعظهم . ونعم ، ما أدخله إلا في جملة الصحابة (٤٥٥) ، قبل أن يخرج إلى ذكر التابعين (٤٥٦) . فأين

---

= فإننا لله وإنا إليه راجعون والحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة كما جاء في حديث رواه البخاري [ م ] .

(٤٥٤) « ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » . [ خ ] .  
قلت : تقدم تخريجه ( ع ) .

(٤٥٥) يزيد بن معاوية ليس بصحابي وقد ولد عام ٥٢ هـ كما جاء في ( الأعلام ) .  
وجاء فيه أيضاً : « في زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح مسلم بن زياد بخاري وخوارزم .. وإليه ينسب « نهر يزيد » في دمشق . وكان نهراً صغيراً ، فوسعه فنسب إليه . وقال مكحول : كان يزيد مهندساً » . [ م ] .  
(٤٥٦) وخلاصة القول في يزيد بن معاوية اختلف الناس فيه - كما قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ( ثلاث فرق ) : طرفان ووسط .

هذا من ذكر المؤرخين له فى الخمر وأنواع الفجور ، ألا تستحيون ؟! وإذا سلبهم الله المروءة والحياء ، ألا ترعون أنتم وتزджرون ، وتقتدون بالأحبار والرهبان من فضلاء الأمة ، وترفضون الملحدة والمجان من المنتمين إلى الملة « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » والحمد لله رب العالمين .

وانظروا إلى ابن الزبير بعد ذلك وما دخل فيه من البيعة له بمكة والأرض كلها عليه . وانظروا إلى ابن عباس وعقله وإقباله على أمر نفسه وانظروا إلى ابن عمر وسنه وتسليمه للدنيا ونبذه لها . ولو كان للقيام وجه لكان أولى بذلك ابن عباس ، فإن ولدى أخيه عبيد الله قد ذكر أنهما قتلا ظلماً (٤٥٧) . ولكن رأى بعقله أن دم

= ( فأحد الطرفين ) قالوا : إنه كان كافراً منافقاً .

وهذا القول سهل على الرافضة الذين يكفرون أبا بكر ، وعمر ، وعثمان فتكفير يزيد أسهل !!

( والطرف الثانى ) يظنون أنه كان رجلاً صالحاً وإمام عدل . وأنه كان من الصحابة الذين ولدوا على عهد الرسول ﷺ ، وحمله على يديه وبرك عليه . وهذا قول بعض الضلال .

( والقول الثالث ) أنه كان ملكاً من ملوك المسلمين ، له حسنات وسيئات ، ولم يولد إلا فى خلافة عثمان ، ولم يكن كافراً ، ولكن جرى بسببه ما جرى وهذا قول أهل العقل والعلم والسنة والجماعة .

ثم افترقوا ( ثلاث فرق ) ، فرقة لعنته ، وفرقة أحبته ، وفرقة لا تسبه ولا تحبه! وهذا المنصوص عن الإمام أحمد ، وعليه المقتصدون من أصحابه وغيرهم .

وقد استدلل القائلون بالمغفرة له بحديث ثبت فى صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « أول جيش يغزو المصنطينية مغفور له » وأول جيش غزاها كان أميره يزيد ( الفتاوى ٤ / ٤٨١ - ٤٨٣ باختصار ) [ م ] .

(٤٥٧) كان ذلك سنة ٤٠ فى اليمن آخر ولاية عبيد الله بن عباس عليها لعلى ، فأرسل معاوية إلى الحجاز واليمن بسر بن أبى أرطاة فأخذ له البيعة على أهل الحجاز ، ثم توجه بسر إلى اليمن فلما علم عبيد الله بمجيئه هرب إلى الكوفة وترك ابنه فى =

عثمان لم يخلص إليه ، فكيف بدم ولدى عبيد الله ! وإن الأمر راهق (٤٥٨) ، قد خرجا عنه حفظاً للأصل وهو اجتماع أمر الأمة وحقن دماؤها وائتلاف كلمتها ، ودع الأمر يتولاه أسود مجدّع حسبما أمر به صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه (٤٥٩) . وكل منهم عظيم القدر مجتهد ، وفيما دخل فيه مصيب مأجور ، ولله [ فيهم ] حكم [ فى الدنيا ] قد أنفذه ، وحكم فى الآخرة قد أحكمه وفرغ منه . فاقدرُوا هذه الأمور مقاديرها ، وانظروا بما قابلها ابن عباس وابن عمر فقابلوها ، ولا تكونوا من السفهاء الذين يرسلون ألسنتهم وأقلامهم بما لا فائدة لهم فيه ، ولا يغنى من الله ولا من دنياهم شيئاً عنهم .

وانظروا إلى الأئمة الأخيار وفقهاء الأمصار ، هل أقبلوا على هذه الخرافات وتكلموا فى مثل هذه الحماقات ؟ بل علموا أنها عصيات جاهلية ، وحمية باطلة ، لا تفيد إلا قطع الجبل بين الخلق وتشتيت الشمل واختلاف الأهواء - وقد كان ما كان ، وقال الأخباريون ما قالوا - فإما سكوت ، وإما اقتداء بأهل العلم ، وطرح لسخافات المؤرخين والأدباء . والله يكمل علينا وعليكم النعمة برحمته .

\*\*\*

= اليمن فقتلهما بسر فيما يقال . [ خ ] .

(٤٥٨) أى تداخل حقه فى باطله [ خ ] .

(٤٥٩) فى كتاب الإمارة من صحيح مسلم من حديث أبى ذر ( ك ٣٣ ح ٣٦ ج ٦ ص ١٤ ) .

[ خ ] .

## نكتة

وعجَبًا [ لاستكثار ] الناس ولاية بنى أمية ، وأول من عقد لهم الولاية رسول الله ﷺ ، فإنه ولى يوم الفتح عتاب بن أسيد بن أبى العاص بن أمية فى مكة - حرم الله وخير بلاده - وهو فتى السن قد أبقل أو لم يبقل . واستكتب معاوية بن أبى سفيان أميئًا على وحيه . ثم ولى أبو بكر يزيد بن أبى سفيان - أخاه - الشام . وما زالوا بعد ذلك يتنقلون فى سبيل المجد ، ويترقون فى درج العز ، حتى أنهتهم الأيام إلى منازل الكرام .

وقد روى الناس أحاديث فيهم لا أصل لها ، منها حديث رؤية النبى ﷺ بنى أمية يزون على منبره كالقردة ، فعز ذلك عليه ، فأعطى ليلة القدر خير من ألف شهر يملكها بنو أمية [ بعده ] . ولو كان هذا صحيحًا ما استفتح الحال بولايتهم ، ولا مكن لهم فى الأرض بأفضل بقاعها وهى مكة . وهذا أصل يجب أن تشدَّ عليه اليد .

فإن قيل : أحدث معاوية فى الإسلام الحكم بالباطل ، والقضاء بما لا يحل من استلحاق زياد . قلنا : قد بينا فى غير موضع أن استلحاق زياد إنما كان لأشياء صحيحة ، وعمل مستقيم نبينه بعد ذكر [ أمثل ] ما ادعى فيه المدعون من الانحراف عن الاستقامة ، إذ لا سبيل إلى تحصيل باطلهم ، لأن خرق الباطل لا يرقع ، ولسانه أعظم منه فكيف به لا يقطع ؟!

قالوا: كان زياد ينتسب إلى عبيد الثقفى من سمية جارية الحارث بن كلدة (٤٦٠)،

(٤٦٠) روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة زياد من تاريخ دمشق (٤٠٩/٥) عن عوانة بن الحكم الكلبي ( أكبر شيوخ المدائني ) أن سمية أم زياد كانت لداهقان من دهاقين الفرس ، فاشتكى وجع البطن وخاف أن يكون أصيب بداء الاستسقاء ، فدعا الحارث ابن كلدة الثقفى طبيب العرب - وقد كان قدم على كسرى - فعالج الدهقان فبرأ ، =



واشترى ( زياد ) عبيداً أباه بألف درهم فأعتقه (٤٦١) . قال أبو عثمان النهدي : فكتنا نخبطه . واستعمله عمر على بعض صدقات البصرة ، وقيل : بل كتب لأبي موسى (٤٦٢) ، فلما لم يقطع الشهادة مع اليهود على المغيرة جلداه وعزله وقال له : ما عزلتك لخزية ، ولكني كرهت أن أحمل على الناس فضل عقلك . ورووا أن عمر أرسله إلى اليمن في إصلاح فساد فرجع وخطب خطبة لم يسمع مثلاً ، فقال عمرو ابن العاص : « أما والله لو كان هذا الغلام قرشياً لساق الناس بعصاه » ، فقال أبو

= فوهب له سمية ، فولدت له أبا بكرة واسمه مسروح أو نفيح فلم يقر به . ثم ولدت نافعاً فلم يقر به ، فلما نزل أبو بكرة إلى النبي ﷺ قال الحارث بن كلدة لنافع : إن أخاك مسروحاً عبد وأنت ابني . فأقر به يومئذ . وزوجها الحارث غلاماً له يقال له عبيد فولدت زيادا على فراشه ، وكان أبو سفيان سار إلى الطائف فنزل على رجل يقال له : أبو مريم السلولى ( قال : فأتاه أبو مريم بسمية فوقع بها فولدت زيادا) . [خ] .

(٤٦١) في ترجمة زياد من تاريخ ابن عساكر ( ٤٠٦/٥ ، ٤٠٧ ) خبر يرويه زهرة بن معبد ومحمد بن عمرو عن وفاة زياد وهو فتى على أمير المؤمنين عمر من قبل أبي موسى الأشعري في يوم جلوسه قال : فلما نظر إليه عمر رأى له هيئة حسنة وعليه ثياب بيض من كتان قال له : ما هذه الثياب ؟ فأخبره . فقال : كم أئمانها ؟ فأخبره بشيء يسير ، وصدقه . فقال له : كم عطاؤك ؟ فقال : ألفان . فقال ما صنعت في أول عطاء خرج ؟ فقال : اشتريت به والدتي فأعتقتها ، واشتريت بالثاني ربيبي عبيداً فأعتقته ، فقال عمر : وفقت . وسأله عن الفرائض والسنن والقرآن فوجده عالماً بالقرآن وأحكامه وفرائضه . فرد إلى أبي موسى ، وأمر أمراء البصرة أن يتبعوا رأيه . [خ] .

(٤٦٢) نقل الحافظ ابن عساكر عن الحافظ أبي نعيم أن زيادا كتب لأبي موسى الأشعري ، ثم لعبد الله بن عامر بن كريز ، ثم للمغيرة بن شعبة ، ثم لعبد الله بن عباس كتب لهؤلاء كلهم على البصرة . وكان أمير المؤمنين علياً أراد أن يولي البصرة فأشار زياد عليه أن يوليها عبد الله بن عباس ووعدته بأن يشير عليه ويعينه . [ خ ] .

سفيان : والله إننى لأعرف الذى وضعه فى رحم أمه ، فقال له على : ومن ؟ قال : أنا . قال : مهلا يا أبا سفيان . فقال أبو سفيان أبياتاً من الشعر :

أما والله لولا خوف شخص (٤٦٣) يرانى يا على من الأعادى  
لأظهر أمره صخر بن حرب ولم تكن المقالة عن زياد  
وقد طالت مخاتلتى ثقيفاً وتركى فيهم ثمر الفؤاد  
فذلك الذى حمل معاوية .

واستعمله على على فارس ، وحمى ، وجبى ، وفتح ، وأصلح .

وكتابه معاوية يروم إفساده ، فوجه ( زياد ) بكتابه إلي على بشعر ، فكتب إليه على : « إننى وليتك : ما وليتك وأنت أهل لذلك عندى . ولن يدرك ما تريد بما أنت فيه إلا بالصبر واليقين . وإنما كانت من أبى سفيان فلتة [ ومن ] عمر ، لا تستحق بها نسباً ولا ميراثاً . وإن معاوية يأتى المؤمن من بين يديه ومن خلفه » . فلما قرأ زياد الكتاب قال : « شهد لى أبو حسن ورب الكعبة » . فذلك الذى جراً زياداً ومعاوية بما صنعا . ثم ادعاه معاوية سنة أربع وأربعين ، وزوج معاوية ابنته من ابنه محمد . وبلغ الخبر أبا بكره - أخاه لأمه - فألى يميناً ألا يكلمه أبداً ، وقال : « هذا زنى أمه ، وانتفى من أبيه . والله ما رأيت سمية أبا سفيان قط ، وكيف يفعل بأم حبيبة (٤٦٤) : أيراها فيهلك حرمة رسول الله ، وإن حجبته فضحته » . فقال زياد : جزى الله أبا بكره خيراً ، فإنه لم يدع النصيحة فى حال . وتكلم فيه الشعراء ، ورووا عن سعيد بن المسيب أنه قال : أول قضاء كان فى الإسلام بالباطل استلحاق زياد .

قال القاضى أبو بكر رحمته الله : قد بينا فى غير موضع هذا الخبر ، وتكلمنا عليه بما

(٤٦٣) يعنى عمر . [ خ ] .

(٤٦٤) هى أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبى سفيان وأخت معاوية . [ خ ] .

يغنى عن إعادته ، ولكن لا بد فى هذه الحالة من بيان المقصود منه فنقول :

كل ما ذكرتم لا ننفيه ولا نثبت له لأنه لا يحتاج إليه . والذى ندره حقاً ونقطع عليه علماً أن زياداً من الصحابة بالمولد والرؤية (٤٦٥) ، لا بالتفقه والمعرفة . وأما أبوه فما علمنا له أبا قبل دعوى معاوية على التحقيق (٤٦٦) ، وإنما هى أقوال غائرة من المؤرخين . وأما شراؤه له فمراعاة للحضانة ، فإنه حضنه عند [ أمه ] إذ دخل عليه (فيه شبهة) ، بالحضانة إليه إن كان ذلك .

وأما قولهم : إن أبا عثمان ( النهدي ) غبطه بذلك ، فهو بعيد على أبى عثمان ، فإنه ليس فى أن يبتاع أحد حاضنه أو أباه فيعتقه من المزية بحيث يغبطه عليه أبو عثمان وأمثاله ؛ لأن هذه مرتبة يدركها الغنى والفقر والشريف والوضيع ، ولو بذل من المال ما يعظم قدره ، فيدري به قدر مروءته فى إهانة الكثير العظيم ، فى صلة الولي الحميم . وإنما ساقوا هذه الحكاية ليجعلوا له أباً ، ويكون بمنزلة من انتفى من أبيه .  
وأما استعمال عمر له فصحيح ، وناهيك بذلك تزكية وشرقاً ودينًا .

وأما قولهم : إن عمر عزله ؛ لأنه لم يشهد بباطل [ فباطل ] ، بل روى أنه لما شهد أصحابه الثلاثة (٤٦٧) وعمر يقول للمغيرة : ذهب ربعك ، ذهب نصفك ، ذهب ثلاثة أرباعك ، فلما جاء زياد قال له : إنى أراك صبيح الوجه ، وإنى لأرجو أن لا يفضح الله على يديك رجلاً من أصحاب محمد ﷺ .

(٤٦٥) ترجم له الحافظ ابن حجر فى ( الإصابة ) والحافظ أبو عمر بن عبد البر فى ( الاستيعاب ) ونقل فى مولده أنه ولد عام الفتح ، وقيل عام الهجرة ، وقيل يوم بدر . قال ابن حجر : وجزم ابن عساكر بأنه أدرك النبى ﷺ ولم يره . [ خ ] .  
(٤٦٦) من الثابت أن الحارث بن كلدة اعترف بأبوته لتافع أخى زياد لأمه فصار يقال له نافع ابن الحارث بن كلدة . ولا يعرف التاريخ أن عبيداً الثقفى أو الحارث بن كلدة اعترفا . بزياد . [ خ ] .

(٤٦٧) أصحابه الثلاثة فى الشهادة على المغيرة أخواه لأمه : نافع ، ونافع الذى ينسب إلى الحارث بن كلدة ، والثالث شبل بن معبد .

وأما خطبته التي ذكروا أنه عجب منها عمرو ، فما كان عنده فضل علم ولا فصاحة يفوق بها عمرا فمن فوقه أو دونه . وقد أدخل له الشيخ المفترى (٤٦٨) خطباً ليست في الحد المذكور .

وأما قولهم: إن أبا سفيان اعترف به ، وقال شعراً فيه ، فلا يرتاب ذو تحصيل في أن أبا سفيان لو اعترف به في حياة عمر لم يخف شيئاً ، لأن الحال لم يكن تخلو من أحد قسمين : إما أن يرى عمر لإطته به (٤٦٩) كما روى عنه في غيره فيمضي ذلك ، أو يرد ذلك فلا يلزم أبا سفيان شيء باقتراف ما كان في الجاهلية . فذكرهم هذه الحكاية المخترعة الباردة المتهافنة الخارجة عن حد الدين والتحصيل لا معنى لها (٤٧٠) .

وأما تولية عليٍّ له فتزكية .

وأما بعث معاوية إليه ليكون معه فصحيح في الجملة . وأما تفصيل ما كتب معاوية ، أو كتب زياد به إلى علي ، أو جابو به عليٌّ زياداً ، فهذا كله مصنوع .

وأما قول علي : « إنما كانت من أبي سفيان فلتة ( زمن عمر ) لا تستحق بها نسباً » فلو صح لكان ذلك شهادة ، كما روى عن زياد ، ولم يكن ذلك بمبطل لما فعل معاوية ، لأنها مسألة اجتهد بين العلماء : فرأى علي شيئاً ، ورأى معاوية وغيره ، غيره .

(وأما نكتة الكلام) وهو القول في استلحاق معاوية زياداً وأخذ الناس عليه في ذلك ، فأى أخذ عليه فيه إن كان سمع ذلك من أبيه ؟ وأى عار على أبي سفيان في أن يليط بنفسه ولد زنا كان في الجاهلية . فمعلوم أن سمية لم تكن لأبي سفيان ، كما لم تكن وليدة زمعة لعتبة ، ولكن كان لعتبة منازع تعين القضاء له ، ولم يكن

---

(٤٦٨) لعله يريد الجاحظ ، وأعظم خطبه التي أوردها له في (البيان والتبيين) خطبته التي تسمى (البترء) وهي في أوائل الجزء الثاني .

(٤٦٩) أى إلحاقة وإلصاقه .

(٤٧٠) كذا في جميع النسخ ، وكتبها الشيخ محب الدين [ له ] س .

لمعاوية منازع في زياد .

اللهم إن هاهنا نكتة اختلف العلماء فيها ، وهى أن الأخ إذا استلحق أخاً يقول هو ابن أبى ولم يكن له منازع بل كان وحده ، فقال مالك : يرث ولا يثبت النسب . وقال الشافعى - فى آخرين - يثبت النسب ويأخذ المال ، هذا إذا كان المقر به غير معروف النسب . واحتج الشافعى بقول النبى ﷺ « هو لك يا عبد بن زمعة ، الولد للفراش وللعاهر الحجر » (٤٧١) « ففضى بكونه للفراش وبإثبات النسب . قلنا: هذا جهل عظيم ، وذلك أن قوله : إن النبى ﷺ قضى بكونه للفراش صحيح ، وأما قوله بثبوت النسب فباطل ، لأن عبداً ادعى سبين : أحدهما الأخوة ، والثانى ولادة الفراش . فلو قال النبى ﷺ : هو أخوك ، الولد للفراش . لكان إثباتاً للحكم وذكراً للعلة . بيد أن النبى ﷺ عدل عن الأخوة ولم يتعرض لها ، وأعرض عن النسب ولم يصرح به ، وإنما [ هو ] فى الصحيح فى لفظ « هو أخوك » وفى آخر « هو لك » ، معناه فأنت أعلم به . وقد مهدنا ذلك فى مسائل الخلاف (٤٧٢) .

فالحارث بن كلدة لم يدع زياداً ولا كان إليه منسوباً ، وإنما كان ابن أمتة ولد على فراشه - أى فى داره - فكل من ادعاه فهو له ، إلا أن يعارضه من هو أولى به منه ، فلم يكن على معاوية فى ذلك مغمز ، بل فعل فيه الحق على مذهب مالك .

فإن قيل : فلم أنكر عليه الصحابة ؟

قلنا : لأنها مسألة اجتهد فمن رأى أن النسب لا يلحق بالوارث الواخذ أنكر ذلك وعظمه .

فإن قيل : ولم لعنوه ، وكانوا يحتجون بقول النبى ﷺ : « ملعون من انتسب لغير أبيه ، أو انتمى إلى غير مواليه » ؟ (٤٧٣) .

(٤٧١) رواه البخارى ومسلم .

(٤٧٢) روى نحوه البخارى ومسلم وغيره .

(٤٧٣) . وأهم ذلك - عندهم - تسببه فى قتل حجر بن عدى ، وقد مضى الكلام عليه .

قلنا : إنما لعنه من لعنه لوجهين : أحدهما لأنه أثبت نسبه من هذا الطريق ، ومن لم ير لعنه لهذا لعنه لغيره . وكان زياد أهلاً أن يلعن - عندهم - لما أحدث بعد استلحاق معاوية (٤٧٤) .

فإن قيل : جعل النبي ﷺ للزنا حرمة ، ورتب عليها حكماً حين قال : «احتجبي منه يا سودة» (٤٧٥) ، وهذا يدل على أن الزنا يتعلق به من حرمة الوطاء ما يتعلق بالنكاح الصحيح . هكذا قال الكوفيون . ومالك في رواية ابن القاسم يساعدهم على المسألة ولا يساعدهم على دليلها من هذا الوجه ، وقد بينها في كتاب النكاح . وقال الشافعي : العذر في أمر النبي ﷺ لسودة بالاحتجاب مع ثبوت نسبه من زمعة وصحة أخوته لها بدعوي عبد أن ذلك تعظيم لحرمة أزواج النبي ﷺ ؛ لأنهن لم يكن كأحد من النساء في شرفهن وفضلهن .

قلنا : لو كان أخاها بنسب ثابت صحيح كما قلتم ، ويكون قول النبي ﷺ «الولد للفراش» تحقيقاً للنسب ، لما منع النبي ﷺ سودة منه ، كما لم يمنع عائشة من الرجل الذي قالت هو أخي من الرضاعة ، وإنما قال «انظرون من إخوانكن» (١) .

(٤٧٤) مؤلف من مؤلفاته يقع في عشرين مجلداً يعتبر في حكم المفقود . [ س ] .  
(٤٧٥) في كتاب الأقضية من (موطأ مالك) ب ٢١ ص ٧٤٠ عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت : كان عتبة بن أبي وقاص عهد إلى أخيه سعد بن أبي وقاص أن ابن وليدة زمعة مني (جاريته) ، فاقبضه إليك . قالت : فلما كان عام الفتح أخذه سعد وقال : ابن أخي ، قد كان عهد إلى فيه . فقام إليه عبد بن زمعة فقال : أخي ، وابن وليدة أبي ، ولد على فراشه فتساوقا إلى رسول الله ﷺ ، فقال سعد : يا رسول الله ، ابن أخي ، قد كان عهد إلى فيه . وقال عبد بن زمعة : أخي ، وابن وليدة أبي ، ولد على فراشه . فقال ﷺ «هولك يا عبد بن زمعة» . ثم قال ﷺ «الولد للفراش ، وللعاهر الحجر» . ثم قال لسودة بنت زمعة «احتجبي منه» لما رأى من شبهه بعتبة بن أبي وقاص . قالت : فما رأها حتى لقي الله عز وجل . وأخرجه البخاري (ك ٣٤ ب ٣) ومسلم (ك ١٧ ب ١٠ ح ٣٦) . [ خ ] .

وأما ما روى عن سعيد بن المسيب ، فأخبر عن مذهبه في أن هذا الاستلحاق ليس بصحيح ، وكذلك رأى غيره من الصحابة والتابعين . وقد صارت المسألة إلى الخلاف بين الأمة وفقهاء الأمصار ، فخرجت من حد الانتقاد إلى حد الاعتقاد . وقد صرح مالك في كتاب الإسلام وهو ( الموطأ ) بنسبه فقال في دولة بني العباس « زياد ابن أبي سفيان » ، ولم يقل كما يقول المخاذل « زياد ابن أبيه » ، هذا على أنه لا يرى النسب يثبت بقول واحد . ولكن في ذلك فقه بديع لم يتفطن له أحد ، وهو أنها لما كانت مسألة خلاف ، ونفذ الحكم فيها بأحد الوجهين ، لم يكن لها رجوع فإن حكم القاضي في مسائل الخلاف بأحد القولين يمضيها ويرفع الخلاف فيها ، والله أعلم .

وأما روايتهم أن عمر قال « كرهت أن أحمل فضل عقلك على الناس » فهذه زيادة ليس لها أصل ، من ناقص عقل . وأى عقل كان لزياد يزيد به على الناس في أيام عمر (٤٧٦) ، و [ غلام ] كل واحد من الصحابة كان أعقل من زياد وأعلم منه ، ولهذا كل من كمل عقله أكثر من الآخر فهو أولى أن يختلط مع الناس . ويقولون : [ إنه ] كان داهية ، وهي كلمة واهية . الدهاء والأرب هو المعرفة بالمعاني ، والاستدلال على العواقب بالمبادئ . وكل أحد من الصحابة والتابعين فوق زياد . وتلك الروايات التي يروى المؤرخون - من كذبهم - في حيل الحرب والفتك بالناس ، كل أحد اليوم يقدر على مثلها وأكثر منها ، والحيلة إنما تكون بديعة وتروى إذا وافقت الدين ، وأما كل حكاية تخالف الدين فليس في روايتها [ ولا في روايتها ] خير ولا عقل . وكل الناس كما قدمنا - ونخذ من ولاية بنى أمية خاصة - أعقل من زياد وأفصح منه . فلا تلتفتوا إلى ما روى من الأباطيل .



(٤٧٦) لأنه كان لما دخل على عمر في السابعة عشرة من عمره على ما نقله البخارى في تاريخه الأوسط عن يونس بن حبيب عن آل زياد . [ خ ] .

## نكتة

[ الولايات ] والعزلات لها معان وحقائق لا يعلمها كثير من الناس . لقد علمتم أن رسول الله ﷺ مات عن زهاء اثني عشر ألفاً من الصحابة معلومين . منهم ألفان أو نحوهما مشاهير في الجلالة ، ولى منهم أبو بكر سعداً وأبا عبيدة ويزيد وخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ونفراً غيرهم فوقهم ، وولى أنس بن مالك ابن عشرين سنة على البحرين اقتداء بالنبي ﷺ في عتاب (٤٧٧) . ومتى كان استوفى المشيخة حتى يأخذ الشبان . وولى عمر أيضاً كذلك ، وبادر بعزل خالد . وذلك كله لفقه عظيم ومعارف بديعة بيانها في موضعها من كتب الإمامة والسياسة من الأصول ، فخذوا في فن غير هذا ، فليس هذا الباب ، مما تلوكة أشدق أهل الآداب .

وأما ما روى عن معاوية أنه استدعى شهوداً فشهد السلولى وسواه (٤٧٨) فُسل من الحق ، ما روى عن السلولى ، فإنه لم يكن قط . وأسعد بإسقاط ما روى في القصة سعيد أو سعد . وأما كلام أبي بكر - أخيه لأمه فيه فغير ضائر له ، لأن ذلك رأى أبي بكر واجتهاد . وأما قولهم فيها عن أبي بكر أنه زنى أمه ، فلو كان ذلك صحيحاً لم يضر أمه ما جرى في الجاهلية في الدين ، فإن الله عفا عن [ أمر ] الجاهلية كلها بالإسلام ، وأسقط الإثم والعار منه ، فلا يذكره إلا جاهل به .

(٤٧٧) عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ( انظر ص ١٨١ ) . [ خ ] .  
(٤٧٨) السلولى مالك بن ربيعة أبو مريم ، وكان ذلك سنة ٤٤ ، وكان معه في الشهادة زياد ابن أسماء الحرمازى والمنذر بن الزبير - فيما ذكر المدائني بأسانيده - وجويرية بنت أبي سفيان والمصور بن قدامة الباهلى وابن أبي نصر الثقفى وزيد بن نفيل الأزدي وشعبة بن العلقم المازنى ورجل من بنى عمرو بن شيان ورجل من بنى المصطلق ، شهدوا كلهم على أبي سفيان أن زياداً ابنه ، إلا المنذر فشهد أنه سمع علياً يقول : أشهد أن أبا سفيان قال ذلك . فخطب معاوية فاستلحق زياداً ، وتكلم زياد فقال : إن كان ما شهد به الشهود حقاً فالحمد لله ، وإن كان باطلاً فقد جعلتهم بينى وبين الله . [خ] .



قال القاضى أبو بكر رضي الله عنه : والناس إذا لم يجدوا عيبا لأحد وغلبهم الحسد عليه وعداوتهم له أحدثوا له عيوباً . فاقبلوا الوصية ، ولا تلتفتوا إلا إلى ما صح من الأخبار ، واجتنبوا - كما ذكرت لكم - أهل التواريخ ، فإنهم ذكروا عن السلف أخباراً صحيحة يسيرة ليتوسلوا بذلك إلى رواية الأباطيل ، فيقذفوا - كما قدمنا - فى قلوب الناس ما لا يرضاه الله تعالى ، وليحتقروا السلف ويهونوا الدين ، وهو أعز من ذلك ، وهم أكرم منا ، فرضى الله عن جميعهم .

ومن نظر إلى أفعال الصحابة تبين منها بطلان هذه الهتوك التى يختلقها أهل التواريخ فيدسونها فى قلوب الضعفاء ، وهذا زياد لما أحسن المنية استخلف سمرة بن جندب من كبار الصحابة فقبل خلافته ، وكيف يظن به - على منزلته - أنه يقبل ولاية ظالم لغير رشدة ، وهو على ما هو عليه من الصحبة ، وذلك من غير إكراء ولا تقية؟ إن هذا لهو الدليل المبين . فمع من تحبون أن تكونوا : مع سمرة بن جندب ، أو مع المسعودى والمبرد وابن قتيبة ونظرائهم (٤٧٩) ؟ وهذا غاية فى البيان .




---

(٤٧٩) حكم القاضى أبو بكر على ابن قتيبة هذا الحكم القاسى وهو يظن أن كتاب ( الإمامة والسياسة ) من تأليفه كما سيأتى . وكتاب الإمامة والسياسة فيه أمور وقعت بعد موت ابن قتيبة ، فدل ذلك على أنه مدسوس عليه من خبيث صاحب هوى . ولو عرف المؤلف هذه الحقيقة لوضع الجاحظ فى موضع ابن قتيبة . [ خ ] .

### قاصمة

كانت الجاهلية مبنية على العصبية ، متعاملة بينها بالحمية . فلما جاء الإسلام بالحق ، وأظهر الله منته على الخلق ، قال الله سبحانه : ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِيَعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران : ١٠٣] . وقال لنبية : ﴿لَوْ أَنْفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال : ٦٣] فكانت بركة النبي ﷺ تجمعهم ، وتجمع شملهم ، وتصلح قلوبهم ، وتمحو ضغائنهم .

واستأثر الله برسوله ﷺ ، ونفرت النفوس ، وتماسكت الظواهر منجزة ، ما دام الميزان قائما . فلما رفع الميزان - كما تقدم ذكره في الحديث - أخذ الله القلوب عن الألفة ، ونشر جناحا من التقاطع ، حتى سوى جناحين بقتل عثمان ، فطار في الآفاق ، واتصل الهرج إلى يوم المساق . وصارت الخلائق عزيزين (٤٨١) ، وفي واد من العصبية يهيمون : فمنهم بكرية ، وعمرية ، وعثمانية ، وعلوية ، وعباسية - كل تزعم أن الحق معها وفي صاحبها ، والباقي ظلوم غشوم مقتر من الخير عديم . وليس ذلك بمذهب ، ولا فيه مقالة ، وإنما هي حماقات وجهالات ، أو دسائس للضلالات ، حتى تضمحل الشريعة ، وتهزأ الملحدة من الملة ، ويلهو بهم الشيطان ويلعب ، وقد سار بهم في غير مسير ولا مذهب .

قالت البكرية ، أبو بكر نص عليه رسول الله ﷺ في الصلاة ، ورضيته الأمة للدنيا ، وكان عند النبي ﷺ بتلك المنزلة العليا ، والمحبة الخالصة . وولى فعدل ، واختار فأجاد . إلا أنه أوهم في عمر فإنه أمره غليظ ، وفظاظته غلبت . وذكروا معائب . وأما عثمان فلم يخف ما عمل وكذلك على . وأما العباس فغير مذكور .

وقالت العمرية : أما أبو بكر ففاضل ضعيف ، وعمر إمام عدل قوى بمدح النبي ﷺ له في حديث الرؤيا والدلو والعبرى كما تقدم . وأما عثمان فخرج عن الطريق :

ما اختار واليا ، ولا كف أقاربه ؛ ولا اتبع سنن من كان قبله . وأما على فجرى على الدماء . لقد سمعت فى مجالس أن ابن جريج (٤٨٣) كان يقدم عمر على أبى بكر وسمعت الطرطوشى يقول : لو قال أحد بتقديم عمر لتبعته .

وقالت العثمانية : عثمان له السوابق المتقدمة ، والفضائل والفواضل فى الذات والمال ، وقتل مظلوما .

وقالت العلوية : على ابن عمه وصهره وأبو سبطى النبى ﷺ وولد النبى ﷺ حضانة .

وقالت العباسية : هو أبو النبى ﷺ وأولاهم بالتقديم بعده . وطولوا فى ذلك من الكلام ما لا معنى لذكره لدناءته (٤٨٥) . ورووا أحاديث لا يحل لنا أن نذكرها لعظيم الافتراء فيها ودناءة رواتها .

وأكثر الملحدة على التعلق بأهل البيت (٤٨٦) ، وتقدمة على جميع الخلق ، حتى إن الرافضة انقسمت إلى عشرين فرقة أعظمهم بأساً من يقول : إن علياً هو الله . والغرابية يقولون : إنه رسول الله لكن جبريل عدل بالرسالة عنه إلى محمد حميةً منه معه . . فى كفر بارد لا تسخنه إلا حرارة السيف ، فأما دفء المناظرة فلا يؤثر فيه .

\* \* \*

(٤٨٣) عبد الملك بن عبد العزيز المكي أحد الأعلام توفى سنة ١٥٠ . [ خ ] .

(٤٨٥) وأكثر ذلك كان فى زمن دولتهم . [ خ ] .

(٤٨٦) يتخذونهم ذريعة ، ويطعنون فى كثير من أفاضلهم ، ويعرضون بمثل الإمام زيد . ثم إنهم يخالفون صريح شريعة جد أهل البيت بدعوى العصمة والتأليه الفعلى لبعض أفرادهم . [ خ ] .

## عاصمة

إنما ذكرت لكم هذا لتحذروا من الخلق ، وخاصة من المفسرين ، والمؤرخين ، وأهل الآداب ، فإنهم أهل جهالة (٤٨٧) بحرمت الدين ، أو على بدعه مصريين ، فلا تبالوا بما رووا ، ولا تقبلوا رواية إلا عن أئمة الحديث ، ولا تسمعوا المؤرخ كلاما إلا للطبرى (٤٨٨) ، (٤٨٩) ، وغير ذلك هو الموت الأحمر ، والداء الأكبر ، فإنهم ينشئون أحاديث استحغار الصحابة والسلف (٤٩٠) ، والاستخفاف بهم ، واختراع

(٤٨٧) يقصد بذلك المفسرين الجاهلين بعلم الحديث ، ما دام أن الرسول يشرح القرآن . وخير التفاسير : تفسير الإمام ابن كثير . [ م ] .

(٤٨٨) لعل القاضي ابن العربي قصد من كلامه أن تاريخ الطبرى ذكر حوادثه مسندة إلى رجالها ، وفيهم الصادق وفيهم الكاذب . ويستطيع المؤرخ العالم بالرجال تمييز الحق من الباطل . أما غير العالم بعلم الأسانيد ، فيضل ضلالا بعيداً بقراءته لتاريخ الطبرى ، فيكون مثله مثل حاطب ليل يحمل الأفعى وهو لا يدري وفى ذلك هلاكه وضلاله .

وقد ناقشنا بعض أساتذة التاريخ فى بعض الجامعات العربية وذكرت لهم خطأ ما كتبوا ، فكان يؤيدون كلامهم بأنهم إنما كان مصدرهم تاريخ الطبرى . [ م ] .  
(٤٨٩) ومع ذلك فالطبرى ذكر مصادر أخباره وسمى روايتها لتكون من أمرهم على بينة ، وقال فى آخر مقدمة كتابه : فما يكن فى كتابى هذا من خبر يستكره قارئه من أجل أنه لم يعرف له وجهها فى الصحة فليعلم أنه لم يؤت فى ذلك من قبلنا ، وإنما أتى من قبل بعض ناقله إلينا . [ خ ] .

(٤٩٠) ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله تعالى : ( من عادى لى ولينا فقد آذنته بالحرب ) .

قال ﷺ : « لا تسبوا أصحابى ، فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » مخرج من الصحيحين .

ففى هذا الحديث وأمثاله بيان حالة من جعلهم غرضاً بعد رسول الله ﷺ =

الاسترسال في الأقوال والأفعال عنهم ، وخروج مقاصدهم عن الدين إلى الدنيا ، وعن الحق إلى الهوى . فإذا قاطعتم أهل الباطل واقتصرتم على رواية العدول ، سلمتم من هذه الحبال ، ولم تطووا كشحا على هذه الغوائل . ومن أشد شيء على

= وسبهم وافترى عليهم وعابهم وكفرهم واجترأ عليهم .

وفي الحديث : « حب الأنصار من الإيمان وبغضهم من النفاق » (١) .

ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضاً . ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئاً .

فمن طعن فيهم أو سبهم ، فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين ، لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم وإضمار الحقد عليهم وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم . وما ذكره الرسول ﷺ فمن ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم ، ولأنهم أرضى الوسائل من المأثور والوسائط من المنقول والطعن في الوسائط طعن في الأصل والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول . وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته .

وقد نص النبي ﷺ في حديث العرياض بن سارية حيث قال : « عليكم بستي

وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور » (٢) (الحديث) .

وقال تعالى : ﴿ ثَانِيَ أَفْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ الآية . لا خلاف أيضاً أن ذلك

في أبي بكر رضي الله عنه شهدت له الربوبية بالصحة وبشره بالسكينة وحلاه بثاني اثنين كما

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ( من يكون أفضل من ثاني اثنين الله ثالثهما ) وقال

تعالى : ( والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ) قال جعفر الصادق : لا

خلاف أن الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ والذي صدق به أبو بكر رضي الله عنه وأى

منقبة أبلغ من ذلك فيهم رضي الله عنهم جميعاً . [ م ] .

(١) بلفظ « آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار » متفق عليه .

(٢) صحيح رواه أحمد (١٢٦/٤ ، ١٢٧) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) ، والدارمي (٤٤/١) ، والحاكم

(١/٩٦ ، ٩٧ ، ٣٨٠/٣ ، ٣٨٠/١٠) ، والبيهقي (١٠/١١٤) ، والطبراني (١٨/٢٤٧ ، ٢٤٨) . وصححه الألباني .

الناس جاهل عاقل (٤٩١)، أو مبتدع محتال . فأما الجاهل فهو ابن قتيبة ، فلم يبق ولم يذر للصحابة رسماً فى كتاب ( الإمامة والسياسة ) إن صح عنهم جميع ما فيه (٤٩٢) وكالمبرد فى كتابه الأدبى (٤٩٣) . وأين عقله من عقل ثعلب الإمام المتقدم فى أماليه ، فإنه ساقها بطريقة أدبية سائلة من الطعن على أفاضل الأمة وأما المبتدع المحتال فالمسعودى ، فإنه يأتى بها متاخمة الإلحاد فيما روى من ذلك ، وأما البدعة فلا شك فيه (٤٩٤) . فإذا صتمت أسماعكم وأبصاركم عن مطالعة الباطل ، ولم تسمعوا فى

(٤٩١) هكذا فى الأصل ، ولعل الصحيح : « غافل » . ومثل المسعودى فى الدس على التاريخ مدفوعاً بالتشيع الممقوت الأصفهاني فى كتابه الأغاني فإنه ينسب إلى يزيد شرب الخمر وعشق اليهود وأنه مات بين العاشقات فعلى الأصفهاني ما يستحق على افتراءه وكذبه . [ م ] .

(٤٩٢) لم يصح عنه شيء مما فيه . ولو صحت نسبة هذا الكتاب للإمام الحجة الثبت أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة لكان كما قال عنه ابن العربى ، لأن كتاب الإمامة والسياسة مشحون بالجهل والغباوة والركة والكذب والتزوير . ولما نشرت لابن قتيبة كتاب ( الميسر والقдах ) قبل أكثر من ربع قرن ، وصدرته بترجمة حافلة له ، وسميت مؤلفاته ، وذكرت ( فى ص ٢٦ ، ٢٧ ) مآخذ العلماء على كتاب الإمامة والسياسة ، وأزيد الآن على ما ذكرته فى ( الميسر والقдах ) أن مؤلف الإمامة والسياسة يروى كثيراً عن اثنين من كبار علماء مصر وابن قتيبة لم يدخل مصر ولا أخذ عن هذين العالمين ، فدل ذلك كله على أن الكتاب مدسوس عليه . [ خ ] .

(٤٩٣) المبرد ينزع إلى شيء من رأى الخوارج ، وله فيهم هوى . وأن أمانته فى اللغة والأدب لا تغطى على ضعفه فى علم الرواية والإسناد .

(٤٩٤) على بن الحسين المسعودى يعده الشيعة من شيوخهم وكبارهم ، ويذكر له المامقانى فى تنقيح المقال ( ٢٨٢/٢ ، ٢٨٣ ) مؤلفات فى الوصاية وعصمة الإمام وغير ذلك مما يكشف عن عصبية والتزامه غير سبيل أهل السنة المحمدية . ومن طبيعة التشيع والتحزب والتعصب البعد بصاحبه عن الاعتدال والإنصاف [ خ ] .

خليفة ممن ينسب إليه ما لا يليق ويذكر ( عنه ) ما لا يجوز نقله ، كتتم على منهج السلف سائرين ، وعن سبيل الباطل ناكبين .

فهذا مالك رضي الله عنه قد احتج بقضاء عبد الملك بن مروان في موطنه ، وأبرزه في جملة قواعد الشريعة (٤٩٥) .

وقال في روايته : « عن زياد بن أبي سفيان » ، فنسبه إليه وقد علم قصته ، ولو كان عنده ما يقول العوام حقاً لما رضى أن ينسبه ولا ذكره في كتابه الذي أسسه للإسلام (٤٩٦) ، وقد جمع ذلك كله في أيام بني العباس والدولة لهم والحكم بأيديهم

(\*) لوإذا كان أبو حامد الغزالي على جلالته في العلوم الشرعية والعقلية لم يتجاوز له العلماء عن ضعفه في علوم الإسناد فأحرى ألا يتجاوزوا عن مثل ذلك للمبرد . وعلى كل حال فكل خبر مما مضى أو سيأتى - في أمنا أو في أى أمة غيرها - يحتمل الصدق والكذب حتى يثبت صدقة أو كذبه على محك الاختبار والبحث العلمى . [ م ] .

(\*\*) ليس هذا الكلام على إطلاقه ، فإن للغزالي عشرات رهية في كثير مما ذهب إليه في العقليات وغيرها ومن أراد التحقيق فليراجع كتاب « تلبس إبليس » للإمام ابن الجوزي وفتاوى شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رحمهما الله . [ م ] .

(٤٩٥) من ذلك ما جاء فى ( باب المستكرهه من النساء ) بكتاب الأقضية من الموطأ ( ص ٧٣٤ ) : حدثنى مالك عن ابن شهاب أن عبد الملك بن مروان قضى فى امرأة أصيبت مستكرهه بصداقها على من فعل ذلك بها . وفى كتاب المكاتب من الموطأ ( ص ٧٨٨ ) قضاء آخر لعبد الملك . وفى كتاب العقول من الموطأ ( ص ٨٧٢ ) قضاء له أيضا . أما أبوه مروان بن الحكم فأقضيته وفتاواه كثيرة فى الموطأ . . وغيره من كتب السنة المتداولة فى أيدي أئمة المسلمين يعملون بها . وانظر لورع مروان وابنه عبد الملك حديث مالك عن ابن أبي عبة فى كتاب النكاح من الموطأ ( ص ٥٤٠ ) . [ خ ] .

(٤٩٦) وعامر بن شراحيل الشعبى كان من أئمة المسلمين كذلك ، بل إن مالكا كان يراه إماماً له . وقد روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة زياد من تاريخ دمشق ( ٤٠٦ / ٥ ) أن الشعبى قال : أنت زياداً قضية فى رجل مات وترك عمة وخالة فقال : « لأقضى »

فما غيروا عليه ولا أنكروا ذلك عنه لفضل علومهم ومعرفتهم بأن مسألة زياد مسألة قد اختلف الناس فيها فمنهم من جوزها ومنهم من منعها ، فلم يكن لاعتراضهم إليها سبيل .

وكذلك أعجبهم - حين قرأ الخليفة على مالك الموطأ - ذكر عبد الملك بن مروان فيه وإذكاره بقضائه ، لأنه إذا احتج العلماء بقضائه فسيحتج بقضائه أيضاً مثله ، وإذا طعن فيه طعن فيه بمثله (٤٩٧) .

وأخرج البخارى (٤٩٨) عن عبد الله بن دينار قال : شهدت ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان كتب : إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله ، ما استطعت . وإن بنى قد أقروا بمثل ذلك . وهذا المأمون كان يقول بخلق القرآن ، وكذلك الواثق ، وأظهروا بدعتهم ، وصارت مسألة معلومة إذا ابتدع القاضى أو الإمام هل تصح ولايته وتنفذ أحكامه أم

---

= بينكم بقضاء سمعته من عمر بن الخطاب « وذلك أنه جعل العمة بمنزلة الأخ والحالة بمنزلة الأخت . [ خ ] .

(٤٩٧) وعن روى عن عبد الملك بن مروان البخارى فى كتابه ( الأدب المفرد ) روى عن عبد الملك الإمام الزهرى وعروة بن الزبير ، وخالد بن معدان من فقهاء التابعين وعبادهم ، ورجاء بن حيوة أحد الأعلام . قال نافع مولى ابن عمر : لقد رأيت المدينة وما فيها شاب أشد تشميراً ولا أفتة ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك بن مروان . وروى الأعمش عن أبى الزناد أن فقهاء المدينة كانوا أربعة : سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وقيصة بن ذؤيب وعبد الملك بن مروان قبل أن يدخل الإمارة . وقال الشعبى : ما جالست أحداً إلا وجدت لى الفضل عليه ، إلا عبد الملك بن مروان فإنى ما ذاكرته حديثاً إلا زادنى منه ، ولا شعراً إلا زادنى فيه ( البداية والنهاية ٩ / ٦٢ ، ٦٣ ) . (خ)

(٤٩٨) فى كتاب الأحكام من صحيحه ( ك ٩٣ ب ٤٣ ج ٨ ص ١٢٢ ) . وانظر السنن الكبرى للبيهقى ١٤٧ / ٨ . ( خ ) .



هى مسألة معروفة . وهذا أشد من برودات ذكرها أصحاب التواريخ من أن فلائاً الخليفة شرب الخمر أو غنى أو فسق أو زنى ، فإن هذا القول فى القرآن بدعة أو كفر - على اختلاف العلماء فيه - قد اشتهروا به ، وهذه المعاصى لم يتظاهروا بها إن كانوا فعلوها فكيف يثبت ذلك عليهم بأقوال المغنين والبراد من المؤرخين ( الذين ) قصدوا بذكر ذلك عنهم تسهيل المعاصى على الناس وليقولوا إذا كان خلفائنا يفعلون هذا فما يستبعد ذلك منا . وساعدهم الرؤساء على إشاعة هذه الكتب وقراءتها لرغبتهم فى مثل أفعالهم حتى صار المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، وحتى سمحوا للجاحظ (٤٩٩)

(٤٩٩) قال ابن قتيبة يصف الجاحظ وتلاعبه ونفاقه :

تجدّه يحتج مرة للعثمانية على الرافضة، ومرة للزيدية على العثمانية وأهل السنة . ومرة يفضل علياً عليه السلام ، ومرة يؤخره ، ويقول : قال رسول الله ﷺ ، ويتبعه قال : الجمار ، وقال إسماعيل بن غزوان : كذا وكذا من الفواحيش . ويجل رسول الله ﷺ عن أن يذكر فى كتاب ذكرنا فيه فكيف فى ورقة ، أو بعد سطر وسطين !

ويعمل كتاباً ، يذكر فيه حجج النصارى على المسلمين . فإذا صار إلى الرد عليهم ، تجوز فى الحجة ، كأنه إنما أراد تنبيههم على ما لا يعرفون ، وتشكيك الضعفة من المسلمين .

وتجدّه يقصد فى كتبه للمضاحيك والعبث ، يريد بذلك استمالة الأحداث ، وشراب النبذ .

ويستهزئ من الحديث ، استهزاء ، لا يخفى على أهل العلم . كذكره كبد الحوت ، وقرن الشيطان ، وذكر الحجر الأسود وأنه كان أبيض ، فسوّده المشركون ، وقد كان يجب أن يبيّضه المسلمون حين أسلموا .

ويذكر الصحيفة التى كان فيها المنزل فى الرضاع ، تحت سرير عائشة ، فأكلتها الشاة .

وهو - مع هذا - من أكذب الأئمة وأوضعهم لحديث ، وأنصرهم لباطل . .  
(تأويل مختلف الحديث ص ٥٩ - ٦٠) . [ خ ] .

أن تقرأ كتبه في المساجد وفيها من الباطل والكذب والتناكير ونسبة الأنبياء إلى أنهم ولدوا لغير رشدة كما قال في إسحاق عليه السلام في كتاب الضلال والتضليل ، وكما مكنوا من قراءة كتب الفلاسفة (٥٠٠) في إنكار الصانع وإبطال الشرائع لما لوزرائهم

(٥٠٠) أن قصة المسلمين مع الفلسفة اليونانية قصة مليئة بالفواجع والتكبات . والغريب - والغريب جداً - أنه لا يزال الكثير من مثقفينا يعتقد أن سبب نهضة المسلمين يعود إلى هذه الفلسفة ، مع أنها كانت من أعظم أسباب نزاعهم وبعدهم عن دينهم وضياع مجدهم ، وقد تحقق فيهم خبر أحد الأبحار : وتفصيل ذلك - كما رواه العلامة الشيخ محمد السفاريني : « قال العلماء إن المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى - أظنه صاحب جزيرة قبرص - طلب منه خزانة كتب اليونان ، وكانت عندهم مجموعة في بيت لا يظهر عليه أحد ، فجمع الملك خواصه من ذوى رأى واستشارهم في ذلك ، فكلهم أشاروا بعدم تجهيزها إليه إلا واحد ، فإنه قال : جهزها إليهم ! فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسدتها وأوقعت بين علمائها !! » لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية ج ١ ص ٩ .

ومن الجدير بالذكر أن أولئك النصارى قد طمروا هذه الفلسفة تحت الأرض تخلصاً من شرها لما لمسوه من فسادها وهدمها للدين والفضيلة !

أجل قد تحقق في المسلمين تنبؤ الخبر ، فما كاد علماء المسلمين - بعد أن بلغ مجد الإسلام ذروته في القوة والفتح والعلم - يشتغلون بفلسفة اليونان ، حتى راحوا يؤولون نصوص الشريعة الإسلامية حتى تتفق مع هذه الفلسفة فمسحوا الإسلام وأخذوا يزعمون أن للإسلام ظاهراً وباطناً ، ظاهره للعامة ، وباطنه للعلماء والحكماء ، وأخذوا يشتغلون بعلم الكلام يسمونه ظلاماً وعدواناً بعلم التوحيد ، ولا يكاد يكون فيه من التوحيد إلا الاسم ، أما محتواه ، فهو الفلسفة - نفسها وقد حرم دراسته كبار علماء السلف وأئمة المذاهب أمثال مالك والشافعي وابن حنبل عليهم السلام .

قال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى : « ما أظن الله يغفل عن المأمون ، ولا بد أن يعاقبه على ما أدخله على هذه الأمة ! » .

وقد انبرى هذا الإمام العظيم للفلاسفة المنحرفين المتصفين بالمسلمين الذين نهلوا =

وخواصهم فى ذلك من الأغراض الفاسدة والمقاصد الباطلة ، فإن زل فقيهه أو أساء

= من حمأة الفلسفة اليونانية وأثبت زيفهم وضلالهم وانحرافهم فى كثير من كتبه التى دخل فيها التاريخ ، ونحو لكليات الفلسفة فى البلدان العربية والإسلامية دراسة آرائه وردوده على الفلسفة اليونانية وعلى الذين اعتنقوها من المسلمين .

ولم ينبج من هذا الضلال والانحراف إلا السلفيون المستمسكون بهدى الرسول ﷺ الذين عصمهم الله سبحانه لتمسكهم بنصوص الشريعة الثابتة ، فكانوا فى وجه تيار الفلسفة الجارف وعاصفته الهوجاء كالجبل الأشم ، وكالصخرة الصلدة .

وكان يزيدنا مر الليالى جدة وتقادم الأيام حسن شباب ! فكانوا يمسون بكتاب الله وسنة نبيه دون تأويل ولا تعطيل فى أسماء الله وصفاته .

ومن قال إن الشهب أكبرها ألسنا بغير دليل كذبه الدلائل !

وقد تحدث رسول الله ﷺ عن الاختلاف الذى سيقع بين المسلمين وعن طريقة النجاة منه فقال :

( ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ، ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة !! وهى من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى ) (١) رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة بسند صحيح .

أن أهل القرآن والحديث رحم الله موتاهم وبارك فى أحيائهم وأمدهم بقوته وتوفيقه ، هم مصابيح الهدى والدعاة إلى الرشاد والتقوى ، من عاداهم هلك ، ومن تركهم ضل ، وهم المنصورون على خصومهم ، بشرهم بذلك النبى ﷺ فقال :

« لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، ولا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله ، وهم ظاهرون على الناس ! » (٢) رواه البخارى ومسلم - ، وقد ذكر الإمام أحمد بن حنبل وابن المبارك وسفيان الثورى وغيرهم من كبار العلماء بأن هذه الطائفة هم أهل الحديث الذين يتعاهدون مذهب الرسول ﷺ ويذوبون عنه الظلم ، لولاهم لأهلك الناس المعتزلة وأهل الرأى .

(١) صحيح : رواه أحمد (٢٣٢٢/٢) وأبو داود (٤٠٥٩) والبيهقى (٢٠٨/١) وصححه الألبانى .

(٢) رواه البخارى (١٢٥/٩) ، ومسلم فى الإمامة (٥٣) رقم (٧٠) ، وأبو داود والترمذى (٢٢٢٩) ، وابن ماجه

(٦) وأحمد (٩٧/٤) ، والبيهقى (١٨١/٩) .

= حسبهم شرقاً وفخراً أنهم جعلوا السنة نبزاً لهم فكانوا هداة مهديين وغدوا مصابيح الهدى .

نقلا عن مجلة التمدن الإسلامى مجلد ٣٣ ( ٩ - ١٢ ) ص ١٩١ ، ١٩٢ .

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

وقد كانوا يقولون : الاعتصام بالسنة نجاة ، قال مالك رحمه الله : « السنة مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هلك » وهذا حق ، فإن سفينة نوح إنما ركبها من صدق المرسلين واتبعهم ، وأن من لم يركبها فقد كذب المرسلين . واتباع السنة هو اتباع الرسالة التي جاءت من عند الله .

وهكذا إذا تدبر المؤمن العالم سائر مقالات الفلاسفة وغيرهم من الأمم التي فيها ضلال وكفر ، وجد القرآن والسنة كاشفين لأحوالهم ، مبينين لحقهم ، مميزين بين حق ذلك وباطله ، والصحابة كانوا أعلم الخلق بذلك ، كما كانوا أقوم الخلق بجهاد الكفار والمنافقين ، كما قال فيهم عبد الله بن مسعود ، « من كان منكم مستتاً فليست بمن قد مات - يقصد الصحابة - فإن الحى لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا byدينهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم . ( فتاوى ابن تيمية ١٣٧/٤ - ١٣٨ ) .

فأخبر عنهم بكمال بر القلوب ، وعمق العلم ، وهذه قليل فى المتأخرين . وما أحسن ما قاله الإمام أحمد : « السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبى ﷺ ( المصدر السابق ص ١٥٥ ) » .

نعود بعد هذا الاستطراد إلى المأمون فنقول :

ومع كل الطامات له وقد ذكرنا بعضها فيما سبق ، يعتقد بعضهم أن عصره كان عصرًا ذهبيًا فى تاريخ المسلمين ، وكم كنا نود أن نتحدث عن محاربته لأهل السنة وتعذيبه لهم وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ورضى عنه ، وإكرامه لأصحاب الاعتزال والزنادقة ، غير أن المقام لا يتسع لذلك . [ م ] .

يكن ما أساء النار فى رأس كبكبا (٥٠١) .

وبالوقوف على هذه الفصول (٥٠٢) تحسن نياتكم ، وتسلم [ من ] التغير قلوبكم على من سبق .

وقد بينت لكم أنكم لا تقبلون على أنفسكم فى دينار ، بل فى درهم ، إلا عدلا

(٥٠١) كبكب : جبل خلف عرفات مشرف عليها . والشعر للأعشى ، تمامه :

ومن يغترب عن قومه لا يزل يرى مصارع مظلوم مجرراً ومسحبا  
وتدفن منه الصالحات ، وإن يسيئ يكن ما أساء النار فى رأس كبكبا

[خ] .

(٥٠٢) لا شك أن هذا الكتاب القيم سيحدث انقلاباً عظيماً فى نفوس قرائه ، وسيزيل من أفكارهم ما علق فيها من الدسائس التى ثبت لهم كذبها . وقد تلقوها فى كتب التاريخ التى لا يزال أبناؤنا - وبيا للأسف - يتدارسونها ، فسممتهم ، وهى من وضع خصوم الإسلام .

كل ما عزاه أعداء الصحابة . . رضوان الله عليهم أوردته القاضى أبو بكر بن العربى وسماه ( قواصم ) وأجاب عن كل قاصمة بعاصمة من الحق عن إصدق المصادر ، وأصحها بعد كتاب الله . ومن ذلك تألف كتاب « العواصم من القواصم » الذى علقنا عليه بما لم يترك مقالا لقائل ، فارجع إليه لتطهير قلبك من الغل على الذين آمنوا من تلاميذ محمد ﷺ ، وخاصة أحبابه . فإن أعداءهم شحنوا الكتب بالكاذب التى انتشرت وأفسدت قلوب بعض المسلمين على سلفهم الأول ، إلى أن أظهر الله - سبحانه - الحق بكتاب : « العواصم من القواصم » فانتفع به الكثيرون ولله الحمد والمنة .

وستعجب - أيها القارئ - بعد الاطلاع على الحقائق التاريخية هناك كيف أن الأمة الإسلامية ذهبت ضحية لشرذمة من الطغام الخارجين على أعدل عصور الإسلام . وأسعدها منذ كذبوا ، ثم كذبوا ، حتى انخدع الناس بأكاذيبهم ، فظنوا سحرها =

بريثا من التهم ، سليما من الشهوة . فكيف نقبلون فى أحوال السلف (٥٠٣) وما جرى بين الأوائل ممن ليس له مرتبة فى الدين ، فكيف فى العدالة !

= حقيقة ، ولكن ما لبثت الوقائع أن تبينت كما هى ، فجاء الحق وزهق الباطل ، أن الباطل كان زهوقا . ( محب الدين الخطيب المنتقى ص ٣٧٤ ) . م .  
(٥٠٣) جاء فى العقيدة الطحاوية وشرحها .

وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين - أهل الخير والأثر ، وأهل الفقه والنظر - لا يذكرون إلا بالجميل ، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل .  
قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١١٥) [ النساء : ١١٥ ] فيجب على كل مسلم بعد موالاته الله ورسوله موالاته المؤمنين كما نطق به القرآن ، خصوصا الذين هم ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم - فيما إذا بلغونا عن الرسول - يهتدى بهم فى ظلمات البر والبحر . وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم إذا كل أمة قبل مبعث محمد ﷺ علماؤها شرارها ، إلا المسلمين ، فإن علماءهم خيارهم .  
فإنهم خلفاء الرسول ﷺ فى أمته . والمحيون لما مات من سنته . فبهم قام الكتاب ، وبه قاضوا . وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا . وكلهم متفقون اتفاقا يقينا على وجوب اتباع الرسول ﷺ .

ولكن إذا وجد لواحد منهم قول جاء حديث صحيح بخلافه ، فلا بد له فى تركه من عذر ، وجماع الأعذار ثلاثة أصناف (\*) ، أحدها : عدم اعتقاده أن النبى ، قاله . والثانى : عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول . الثالث : اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ فلهم الفضل علينا ، والمنة بالسبق ، وتبليغ ما أرسل به الرسول ﷺ إلينا ، وإيضاح ما كان منه يخفى علينا ، فرضى الله عنهم ، وأرضاهم . ( ربنا اعفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا إنك رؤوف رحيم ) ( الحشر : ١٠ ) . [ م ] .

(\*) ومن أراد الوقوف على مزيد من المعرفة فليقرأ الكتاب الفذ « رفع الملام عن الأئمة الأعلام » لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [ س ] .

رحم الله عمر بن العزيز حيث قال : وقد تكلموا في الذي جرى بين الصحابة : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٢٤) ﴿ (٥٠٤)

[البقرة: ١٣٤] .

## والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

(٥٠٤) وسئل الإمام ابن تيمية رحمه الله عما شجر بين الصحابة : على ومعاوية ، وطلحة ،

وعائشة هل يطالبون به أم لا ؟

فأجاب : قد ثبت بالنصوص الصحيحة أن عثمان وعليًا وطلحة والزبير وعائشة من أهل الجنة . بل قد ثبت في الصحيح : أنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة .

وأبو موسى الأشعري ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، هم من الصحابة ، ولهم فضائل ومحاسن .

وما يحكى عنهم كثير منه كذب . والصدق منه كانوا فيه مجتهدين . فالمجتهد إذا أصاب فله أجران ، وأن أخطأ فله أجر ، وخطؤه يغفر له .

وإن قدر أن لهم ذنبًا فالذنوب لا توجب دخول النار مطلقًا ، إلا إذا انتفت الأسباب المانعة من ذلك وهي عشرة . منها : التوبة ، ومنها الاستغفار ، ومنها الحسنات الماحية ، ومنها المصائب المكفرة ، ومنها شفاعة النبي ﷺ ، ومنها شفاعة غيره ، ومنها دعاء المؤمنين ، ومنها ما يهدى للميت من الثواب والصدقة والعق ، ومنها فتنة القبر ، ومنها أهوال القيامة .

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « خير القرون القرن الذي بعثت فيه ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » (١) .

وحينئذ فمن جزم في واحد من هؤلاء بأن له ذنبًا يدخل به النار قطعًا ، فهو كاذب مفتر ، فإنه لو قال : لا علم له به ، لكان معطلا ، فكيف إذا قال : ما دلت الدلائل الكثيرة على نقيضه ؟ فمن تكلم فيما شجر بينهم - وقد نهى الله عنه : من ذمهم أو التعصب لبعضهم بالباطل ، فهو ظالم معتد .

(١) رواه الترمذی (٢٣٠٢ ، ٢٣٠٣) ، وأبو نعيم في الحلية (١٧٢/٤) ، ورواه البخاری بلفظ (خير الناس)

(٢٢٤/٣ ، ١١٣/٨) ومسلم في فضائل الصحابة (٢١٢) والترمذی (٣٨٥٩ ، ٥٢٢١) ، وأحمد (٣٧٨/١)

= وقد ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: « تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين ، تصلهم أولى الطائفتين بالحق » وقد ثبت عنه فى الصحيح أنه قال عن الحسن: « إن ابنى هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » (١) . وفى الصحيحين عن عمار : أنه قال : ( تقتله الفئة الباغية ) (٢) . وقد قال تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات] .

فثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف على أنهم مؤمنون مسلمون ، وإن على ابن أبى طالب والذين معه كانوا أولى بالحق من الطائفة المقابلة له ، والله أعلم . (الفتاوى ٤ / ٤٣٢ ، ٤٣٣) .

وما أحسن ما قاله الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : « . . . إني لست من حربهم فى شيء : يعنى أن ما تنازع فيه على وإخوانه لا أدخل بينهم فيه ، ما بينهم من الاجتهاد والتأويل الذى هم أعلم به منى . وليس ذلك من مسائل العلم التى تعيننى حتى أعرف حقيقة حال كل واحد منهم . وأنا مأمور بالاستغفار لهم ، وأن يكون قلبى لهم سليماً ، ومأمور بمحببتهم وموالاتهم ، ولهم من السوابق والفضائل ما لا يهدر » [م] .

(١) صحيح تقدم تخريجه (ع) .

(٢) صحيح تقدم تخريجه (ع) .



## ملاحق (\*)

أضفنا إلى مباحث هذا الكتاب الملاحق التالية زيادة فى الإيضاح وإتماما للفائدة:

## ١٠.

قد أطلق جلال الدين السيوطى فى كتابه : « تاريخ الخلفاء » اسم الدولة الخيرية على الفاطميين ، فقال : ولم أورد أحداً من الخلفاء العبيديين ، لأن إمامتهم غير صحيحة لأمر :

منها : أنهم غير قرشيين ، وإنما سميتهم بالفاطميين جهلة العوام ، وإلا فجدهم مجوسى . قال القاضى عبد الجبار البصرى : اسم جد الخلفاء المصريين سعيد ، وكان أبوه يهودياً حداًداً نشابة . وقال القاضى أبو بكر الباقلانى : القداح جد عبيد الله الذى يسمى بالمهدى كان مجوسياً ، ودخل عبيد الله المغرب ، وادعى أنه ينسب إلى علي بن أبى طالب عليه السلام ، ولم يعرفه أحد من علماء النسب ! وسماهم جهلة الناس الفاطميين . وقال ابن خلكان : أكثر أهل العلم لا يصححون نسب المهدي عبيد الله جد خلفاء مصر، حتى إن العزيز بالله ابن المعز فى أول ولايته صعد المنبر يوم الجمعة، فوجد هناك ورقة فيها هذه الأبيات :

إننا سمعنا نسباً منكراً	يتلى على المنبر الجامع
إن كنت فيما تدعى صادقاً	فاذكر أبا بعد الأب السابع
وإن ترد تحقيق ما قلته	فانسب لنا نفسك كالطائع
أو لا دع الأنساب مستورة	وادخل بنا فى النسب الواسع
وإن أنساب بنى هاشم	يفصر عنها طمع الطامع !

وكتب العزيز إلى الأموى صاحب الأندلس كتاباً سبه فيه ، وهجاه ، فكتب إليه

الأموى : « أما بعد فإنك عرفتنا فهجوتنا ، ولو عرفناك لأجبناك » - يعنى أنه دعى لا نعرف قبيلته ، وما أحسن ما قال حفيده المعز صاحب القاهرة : وقد سأله ابن طباطبا عن نسبهم ، فجذب نصف سيفه من الغمد وقال : هذا نسبي ، ونثر على الأمراء والحاضرين الذهب وقال : هذا حسبي .

ومنها : أن أكثرهم زنادقة خارجون عن الإسلام، ومنهم من أظهر سب الأنبياء ، ومنهم من أباح الخمر ، ومنهم من أمر بالسجود له ! والخير منهم رافضى خبيث لثيم يأمر بسب الصحابة رضي الله عنهم . ومثل هؤلاء لا تتعقد لهم بيعة ، ولا تصح لهم إمامة .

قال القاضي أبو بكر الباقلاني : كان المهدي عبيد الله باطنياً خبيثاً حريصاً على إزالة ملة الإسلام ، أعدم العلماء والفقهاء ليتمكن من إغواء الخلق ، وجاء أولاده على أسلوبه : أباحوا الخمر والفروج ، وأشاعوا الرفض .

وقال الذهبي : كان القائم بن المهدي شراً من أبيه زنديقاً ملعوناً أظهر سب الأنبياء ، وقال : وكان العبيديون شراً من التتار على ملة الإسلام !

وقال أبو الحسن القابسي : إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء والعباد أربعة آلاف رجل ليردوهم عن الترضى عن الصحابة ، فاختاروا الموت .

قال القاضي عياض : سئل أبو محمد القيرواني الكيزاني من علماء المالكية عمن أكرهه بنو عبيد - يعنى مصر - على الدخول فى دعوتهم أو يقتل ؟ قال : يختار القتل ! ولا يعذر أحد فى هذا الأمر ، .. لأن المقام فى موضع يطلب من أهله تعطيل الشرائع وهو لا يجوز .

وقال ابن خلكان : وقد كانوا يدعون علم المغيبات ، وأخبارهم فى ذلك مشهورة ، حتى إن العزيز صعد يوماً المنبر ، فرأى ورقة فيها مكتوب :

إن كنت أعطيت علم غيب      بين لنا كاتب البطاقة !!

بالظلم والجور قد رضينا      وليس بالكفر والحمافة

وكتبت إليه امرأة قصة فيها : بالذى أعزَّ اليهود بميشا ، والنصارى بابت نسطور ، وأذل المسلمين بك ، إلا نظرت فى أمرى . وكان ميشا اليهودى عاملا بالشام ، وابت نسطور النصارى بدمشق .

ومنها : إن مبايعتهم صدرت والإمام العباسى قائم موجود سابق البيعة ، فلا تصح ، إذ لا تصح البيعة لإمامين فى وقت واحد ، والصحيح المتقدم ( تاريخ الخلفاء ص ٤ - ٦ باختصار ) .

وقد بنى العبيديون الجامع الأزهر لينشروا فيه ما يسمى بمذهب الرفض ، وكانوا يجبرون المسلمين على اعتناقه ولما قضى السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى ورضى عنه على ملكهم أبطل ذلك وقرر بدلا منه المذهب الشافعى .

## ٢٠.

لما كان غرضنا من نشر كتاب « العواصم من القواصم » الدفاع عن الصحابة رضوان الله عليهم وتبرئتهم مما نسبه إليهم المفسدون والمضللون ، رأينا أن نقل موجز البحث التالى للأستاذ محب الدين الخطيب وهو بعنوان : « حملة رسالة الإسلام الأولون ، وما كانوا عليه من المحبة والتعاون على الحق والخير ، وكيف شوه المغرضون جمال سيرتهم » وكل ذلك إتماماً لبحث هذا الكتاب :

قال النبى ﷺ : « بدأ الإسلام غربياً ، وسيعود غربياً كما بدأ ، فطوبى للغرباء (١) » رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه وقد سئل ﷺ عن الغرباء فقال : « الذين يحيون ما أمات الناس من ستي » .

ومن غربة الإسلام بعد البطون الثلاثة الأولى ، وهى القرون التى شهد لها رسول الله ﷺ بالخيرية فى قوله : « خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » - قال عمران بن حصين : فلا أدرى أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً (٢) .

(١) رواه مسلم فى الإيمان (٢٣٢)، وابن ماجه (٣٩٨٦ ، ٣٩٨٨)، واحمد (٧٣ / ٤) (ع) .

(٢) صحيح وتقدم تخريجه قريباً (ع) .

وتحديد ذلك إلى نهاية الدولة الأموية ، وقد يلتحق به زمن الخلفاء الأولين من بنى العباس .

أجل ومن غربة الإسلام ، ظهور مؤلفين شوها التاريخ تقريباً للشيطان أو الحكام، فزعموا أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يكونوا إخواناً في الله ، ولم يكونوا رحماء بينهم، وإنما كانوا أعداء يلعن بعضهم بعضاً ، ويمكر بعضهم ببعض ، وينافق بعضهم لبعض ، ويتآمر بعضهم على بعض ، بغياً وعدواناً .

لقد كذبوا (\*) ، وكان أبو بكر وعمر وعثمان وعلى أسمى من ذلك وأنبل . وكانت بنو هاشم وبنو أمية أوفى من ذلك لإسلامهما ورحمتهما وقرابتهما ، وأوثق صلة وأعظم تعاوناً على الحق والخير .

حدثني بعض الذين لقيتهم في ثغر البصرة لما كنت معتقلاً في سجن الإنجليز سنة ١٣٣٢ هـ أن رجلاً من العرب يعرفونه ، كان ينتقل بين بعض قرى إيران فقتله القرويون لما علموا أن اسمه ( عمر ) قلت : وأى بأس يروونه باسم ( عمر ) ؟ قالوا حباً بأمر المؤمنين على : قلت : وكيف يكونون من شيعة على ، وهم يجهلون أن علياً سمي أبناءه - بعد الحسن والحسين ومحمد ابن الخنيفة - بأسماء أصدقائه وإخوانه في الله ( أبي بكر ) و ( عمر ) و ( عثمان ) رضوان الله تعالى عليهم جميعاً . وأم كلثوم الكبرى بنت علي بن أبي طالب كانت زوجة لعمر بن الخطاب ، ولدت له زيدا ورقية . . وعبد الله بن جعفر الملقب بذي الجناحين ابن أبي طالب سمي أحد بنيه باسم ( أبي بكر ) وسمى ابناً آخر له باسم ( معاوية ) ومعاوية هذا - أي ابن عبد الله ابن جعفر ابن أبي طالب سمي أحد بنيه باسم : ( يزيد ) ، عمر بن علي بن أبي طالب كان من نسله عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب سمي أحد بنيه ( أبا بكر ) وآخر باسم ( عمر ) وثالثاً باسم ( طلحة ) . وزين

(\*) من أعظم الأدلة على كذبهم ثناء الله سبحانه في القرآن على الصحابة في آيات كثيرة - ذكر بعضها في أول هذا الكتاب - وقد قال تعالى في وصفهم : ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [ الفتح : ٢٩ ] ، ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [ آل عمران : ١١٠ ] .

العابدين على بن الحسين سمى أحد أولاده باسم 'مير المؤمنين' (عمر) تيمناً وتبركاً .

فهل يعقل أن هؤلاء الأقارب المتلاحمين الذين يتخبرون مثل هذه الأمهات لأنسالهم ، ومثل هذه الأسماء لفلذات أكبادهم ، كانوا على غير ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى لهم من الأخوة في الإسلام والمحبة في الله ، والتعاون على البر والتقوى (\*) !!

لقد تواتر عن أمير المؤمنين على رضي الله عنه أنه كان يقول على منبر الكوفة : « خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر » روى المحدثون والمؤرخون هذا عنه من أكثر من ثمانين وجهاً . ورواه البخارى وغيره . وكان على رضي الله عنه يقول : « لا أوتى بأحد يفضلنى على أبى بكر وعمر إلا ضربته حد المقرئ . . » ولهذا كان الشيعة المتقدمون متفقين على تفضيل أبى بكر وعمر . نقل القاضى عبد الجبار الهمدانى فى كتاب : (تثبت دلائل النبوة) أن أبا القاسم نصر بن الصباح البلخى قال فى ( كتاب النقض على ابن الرواندى ) : سأل شريك بن عبد الله فقال له : أيهما أفضل : أبو بكر أو على ؟ فقال له : أبو بكر . فقال السائل : تقول هذا وأنت شيعى ؟! فقال له : نعم : من لم يقل هذا فليس شيعياً !! والله لقد رقى هذه الأعواد على فقال : « ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، فكيف نرد قوله ، وكيف نكذبه ؟ والله ما كان كذاباً » .

وأن خطبة أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى نعت صديقه وإمامه خليفة رسول الله ﷺ أبى بكر يوم وفاته ، من بليغ ما كان يستظهره الناس فى الأجيال الماضية . وفى خلافة عمر دخل على فى بيعته أيضاً ، وكان من أعظم أعوانه على الحق . وكان يذكره بالخير ويثنى عليه فى كل مناسبة ، وقد علمت أنه بعد أخيه وصهره عمر سمى ولدين من أولاده باسميهما ، ثم سمى ثالثاً باسم عثمان لعظيم مكانته عنده ، ولأنه كان إمامه ما عاش . ١ هـ . باختصار .

(\*) من الرافضة من ينكر كل ذلك ، ومنهم من لا يستطيع إنكارها ، لأن التاريخ يلقيه حجراً بل حجارة ، فيروح ويزعم أن آل البيت أمثال علي والحسن وزين العابدين إنما فعلوا ذلك تقية . وهم بذلك يطمنون بشجاعتهم وبطولتهم وإخلاصهم ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً !

## .٣.

إن كتاب « نهج البلاغة » هو من الكتب المعتمدة عند الشيعة ، وينسبونه إلى على بن أبى طالب عليه السلام ، والحقيقة أن بعضه له ، والأكثر من وضع الرضى والمرضى الشيعيين ، وفيه من الدس والافتراء الشيء الكثير . وقد رأينا أن ننقل عن هذا الكتاب بعض شهادات على فى الثناء على أبى بكر وعمر وغيرهم من الصحابة عليهم السلام ، كما رأينا أن ننقل أيضا عن بعض كتب الشيعة المعتبرة لديهم شهادات أخرى لبعض آل البيت المتقدمين فى الصاحبين ، مع بعض التعليقات من كتاب التحفة الاثنى عشرية للشاه عبد العزيز الدهلوى مما يلزم أعداء الصحابة حجراً ويخرسهم إلى الأبد!

١ - جاء فى نهج البلاغة : أن عمر بن الخطاب لما استشار عليا عليه السلام عند انطلاقه لقتال فارس ، وقد جمعوا للقتال فرفض على ذهاب الخليفة عمر نفسه للاشتراك فى هذا القتال خوفاً على حياته وقال له : « إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة ، وهو دين الله تعالى الذى أظهره وجنده الذى أعده وأمه حتى بلغ ما بلغ وطلع حيثما طلع ، ونحن على وعد من الله تعالى حيث قال عز اسمه ، ( وعد الله الذين آمنوا ) وتلا الآية ، والله تعالى منجز وعده وناصر جنده ، ومكان القيم بالأمر فى الإسلام ، مكان النظام من الخرز ، فإن انقطع النظام تفرق الخرز ، ورب متفرق لم يجتمع . والعرب اليوم ، وإن كانوا قليلا فهم كثيرون بالإسلام عزيزون بالاجتماع ، فكن قطباً وإستدر الرضى بالعرب وأصلهم دونك نار الحرب ، فإني إن شخصت من هذه الأرض انتفضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها .

إن العجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا : هذا أصل العرب ، فإذا قطعتموه استرحتم ، فيكون ذلك أشد لكلهم عليك وطمعهم فيك ١٠٠ هـ باختصار فتدبر - أيها القارئ - منصفاً فقد ارتفع الإشكال واتضح الحال ، والحمد لله رب العالمين .

٢ - وجاء فى نهج البلاغة أيضاً عن على بن أبى طالب عليه السلام : « لله بلاد أبى بكر لقد قوم الأود ، وداوى العلل ، وأذا ' 'ة ، وخلف البدعة ، وذهب نقى الثوب ، قليل العيب ، أصاب خيرها واتقى شرها ، أدى لله طاعة واتقاه بحقه » .

جاء فى كتاب التحفة الاثنى عشرية : وقد حذف الشريف الرضى صاحب « نهج البلاغة » حفظاً لمذهبه . لفظ « أبى بكر » وأثبت بدله : « فلان » وتأبى الأوصاف إلا أباً بكر . ولهذا الإيهام اختلف الشراح ، فقال البعض هو أبو بكر ، والبعض : هو عمر ، ورجح الأكثر الأول ، وهو الأظهر .

٣- إن أمير المؤمنين على عليه السلام قد مدح الشيخين - أبى بكر وعمر - ودعا لهما حسبما ثبت عند الفريقين . وقد نقل شراح نهج البلاغة كتاب الأمير إلى معاوية . وقد قال فيه بعد ما ذكر أبى بكر وعمر : « لعمري إن مكانهما لعظيم ، وإن المصاب بهما لجرح فى الإسلام شديد رحمهما الله تعالى وجزاهما بأحسن ما عملا » .

قال صاحب التحفة الاثنى عشرية تعليقا على هذا الكلام : فكيف يتصور صدور مثل ذلك عن المعصوم - بنظر الشيعة - لو كانا غاصيين ظالمين ؟! معاذ الله من ذلك ، ونسأله سبحانه العصمة عما يعتقدہ أولئك .

٤- وأورد المرتضى فى (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين على عليه السلام من كتابه الذى كتبه إلى معاوية وهو : أما بعد فإن بيعتى - يا معاوية - لزمك ، وأنت بالشام ، فإنه بايعنى القوم الذين بايعوا أبى بكر وعمر وعثمان ، على ما بايعوهم عليه . فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للنايب أن يرد . وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماما كان ذلك لله رضا !! فإن خرج منهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه ، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى .

٥- وجاء فى الصحيفة الكاملة للسجاد من الدعاء للصحابه ومدح متابعتهم ، ولا احتمال للتقية فى الخلوات ، وبين يدى رب البريات ونصه : « اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون : ( ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ) خير جزائك ، الذين قصدوا سمتهم ، وتحروا وجهتهم ، ومضوا فى قفوا أثرهم ، والائتمام بهداية منارهم ، يدينون بدينهم على شاكلهم ، ولم يتهم رب فى قصدهم ، ولم يختلج شك فى صدورهم » إلى آخر ما قال .

٦- وأورد الكلينى فى « الكافى » وهو من كتب الشيعة كالبخارى عند السنيين فى باب السبق إلى الإيمان بروايات أبى عمرو الزبيرى عن أبى عبد الله أنه قال : قلت له : إن للإيمان درجات ومنازل يتفاضل المؤمنون فيها عند الله قال نعم . قلت صفه لى رحمك الله حتى أفهمه . قال : إن الله سبّ بين المؤمنين كما يستبق الخيل يوم الرهان ، ثم فضلهم على درجاتهم فى السبق إليه ، فجعل كل امرئ منهم على درجة سبقه ، لا ينقصه فيها من حقه ، ولا يتقدم مسبوق ، ولا مفضول فاضلا ، تتفاضل بذلك أوائل الأمة وأواخرها .

هذه بعض الأدلة على سمو إيمان الصحابة وفضلهم بصورة عامة وفضل أبى بكر

وعمر بصورة خاصة نقلناها من مصادر شيعية موثوقة لديهم ، غير أن بعض علمائهم - ويا للأسف - يؤولونها بتأويلات تبعث على التقزز والتقيؤ مما لا يقول به عاقل فضلاً عن عالم ، ليزيدوا أتباعهم ضلالاً فوق ضلالهم فتعوز بالله من الكفر والعناد!

#### ٤٠٠

كنا ذكرنا فيما سبق صفحة ١٦٣ صحة حديث الحوآب بإيجاز ونظراً لأهمية الموضوع نزيده إيضاحاً فيما يلي نقلا عن كتاب الأحاديث الصحيحة لشيخنا محدث الديار الشامية ناصر الدين الألباني ( ٥ / ٤٧٤ ) بشيء من الاختصار ، وهو في كلامه يرد على الأستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله تعالى :

ونحن وإن كنا نوافقه على إنكار ثبوت تلك الشهادة ( يريد ما زعمته الرافضة من دعوى شهادة الزبير وطلحة أنه ليس هذا ماء الحوآب ، وخمسون رجلاً إليهم ، وكانت أول شهادة زور دارت في الإسلام ) فإنه مما صان الله تبارك وتعالى أصحابه ﷺ منها لا سيما من كان منهم من العشرة المبشرين بالجنة . . فإننا لننكر عليه قوله : « ولا قال النبي ﷺ ذلك الحديث » كيف وهو قد ثبت عنه ﷺ بالسند الصحيح في عدة مصادر من كتب السنة المعروفة عند أهل العلم ؟!

ثم قال الشيخ ، بعدما ذكر خطأ تضعيف الحديث المذكور :

بيد أن هذا مع بعده عن الصواب ، والانحراف عن التحقيق العلمي الصحيح فإنه حين بجانب قول صديقنا الأستاذ ( سعيد الأفغاني ) في تعليقه على قول الحافظ الذهبي المتقدم في « سير أعلام النبلاء » : وهذا حديث صحيح الإسناد :

« في النفس من صحة هذا الحديث شيء ، ولأمر ما أهمله أصحاب الصحاح وفي « معجم البلدان » مادة (حوآب) أن صاحبه الخطاب سلمى بنت مالك الفزارية، وكانت سبية وهبت لعائشة ، وهي المقصودة بخطاب الرسول الذي زعموه . . ومن العجيب أن يصرف بعض الناس هذه القصة إلى السيدة عائشة إرضاء لبعض الأهواء العصبية » .

وفي هذا الكلام مؤاخذات :

الأولى : يظن الأستاذ الصديق أن إهمال أصحاب ( الصحاح ) لحديث ما إنما هو لعله فيه . وهذا خطأ بين عند كل من قرأ شيئاً من علم المصطلح ، وتراجع أصحاب ( الصحاح ) فإنهم لم يتعمدوا جمع كل ما صح عندهم في « صحاحهم » .



الثانية: هذا إن كان يعني « الصحاح » الكتب الستة لكن هذا الإطلاق « غير صحيح » ، لأن السنن الأربعة من الكتب الستة ليست من « الصحاح » لا اصطلاحاً ، ولا واقعاً ، فإن فيها أحاديث كثيرة ضعيفة ، والترمذى ينه إلى ضعفها فى غالب الأحيان .

وإن كان يعنى ما هو أعم من ذلك ، فليس بصحيح ، فقد عرفت من تخريجنا المتقدم أن ابن حبان أخرجه فى « صحيحه » والحاكم فى « المستدرک على الصحيحين » .

الثالثة : وثوقه بما جاء فى « معجم البلدان » بدون إسناد ، ومؤلفه ليس من أهل العلم بالحديث ، وعدم وثوقه بمسند الإمام أحمد ، وقد ساق الحديث بالسند الصحيح ، ولا بتصحيح الحافظ النقاد الذهبى !!

الرابعة : جزمه أن صاحبة الخطاب سلمى بنت مالك بدون حجة ولا برهان سوى الثقة العمياء بمؤلف « معجم البلدان » .

الخامسة : أن الخبر الذى ذكره ووثق به لا يصح من قبل إسناده بل هو واه جداً ( ولم يقبل به الخطيب نفسه رحمه الله ) .

السادسة : قوله : « إرضاء لبعض الأهواء » .

وكانه يشير بذلك إلى الشيعة الذين يبغضون السيدة عائشة رضي الله عنها ويفسقونها . . بسبب خروجها يوم الجمل . ولكن من هم الذين أشار إليهم بقوله : « بعض الناس » أهو الإمام أحمد . . والذهبي ، أم يحيى بن سعيد القطان شيخ الإمام أحمد وهو من الثقات الأثبات ، أم إسماعيل بن أبى خالد وهو مثله كما عرفت ، أم شيخه قيس بن أبى حازم وهو مثله فى الثقة والضبط .

وللحديث شاهد يزداد به قوة ، وهو من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لنسائه :

« ليت شعرى أيتكن صاحبة الجمل الأديب ( الكثير وبر الوجه ) تخرج فينبحها كلاب الخوآب ، يقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير ، ثم تنجو بعدما كادت » رواه البزار ورجاله « ثقات » .

قال الإمام الزيلعى فى « نصب الرأية » ( ٦٩ / ٤ ، ٧٠ ) وقد أظهرت عائشة الندم كما أخرجه ابن عبد البر فى « كتاب الاستيعاب » عن ابن أبى عتيق ، وهو عبد

الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق : قال : قالت عائشة لابن عمر : يا أبا عبد الرحمن ما منعك أن تنهاني عن مسيرى ؟ قال : رأيت رجلا غلب عليك - يعنى الزبير - فقالت : أما والله لو نهيتنى ما خرجت ا . هـ ولهذا الأثر طريق أخرى صححها الذهبي فى سير أعلام النبلاء ( ٧٨ ، ٧٩ ) .

مما سبق ندرك صحة حديث الحوآب من عدة طرق ومن قبل كبار علماء الحديث ، وقد رأى بعضهم فى هذا الحديث تخطئة لعائشة رضي الله عنها فحاول تضعيفه من غير علم ! ونقول بهذه المناسبة إن الله سبحانه نزه علماء السنة عن الكذب سواء كان ذلك من صالح أهل السنة أو ضدهم ، وهم بعكس كثير ممن يسمون بعلماء الرافضة وغيرهم الذين لا نكاد نجد كلمة صدق واحدة عندهم ! ومهما كان من شأن السيدة عائشة رضي الله عنها فإنها نفسها شعرت بخطئها كما تقدم معنا ، ولها أجر المجتهد كما جاء فى الحديث .

## المراجع

- ١- آراء أبي بكر ابن العربي - الكلامية - للدكتور عمار طالبي - طبع الجزائر .
- ١- الإصابة في تمييز الصحابة - للحافظ ابن حجر العسقلاني [ ٨٥٢ هـ ] وبهامشها الاستيعاب لابن عبد البر .
- ٢- الأحكام السلطانية - للماوردي [ ٤٥٠ هـ ] .
- ٣- الإحكام في أصول الأحكام - لابن حزم الظاهري [ ٤٥٧ هـ ] .
- ٤- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل - للعلمي [ ٥٩٢٧ ] .
- ٥- أنساب الأشراف - للبلاذري [ ٢٧٩ هـ ] .
- ٦- البيان والتبيين - للجاحظ [ ٢٥٥ هـ ] .
- ٧- البداية والنهاية - لابن كثير [ ٧٧٤ هـ ] .
- ٨- تاريخ الطبري - لأبي جعفر بن جرير الطبري [ ٣١٠ هـ ] .
- ٩- تفسير الطبري - جامع البيان [ ٣١٠ هـ ] .
- ١٠- التمهيد لأبي بكر الباقلاني [ ٤٠٣ هـ ] .
- ١١- تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر [ ٥٧١ هـ ] .
- ١٢- تذكرة الحفاظ - للذهبي - طبعة الهند ١٣٣١ هـ .
- ١٣- التمهيد والبيان في مقتل عثمان - لابن بكر الأشعري [ ٧٤١ هـ ] مخطوط .
- ١٤- تهذيب التهذيب - لابن حجر العسقلاني [ ٨٥٢ هـ ] .
- ١٥- حجاج العروس - للمرئضي الحسيني [ ١٢٠٥ هـ ] .
- ١٦- تنقيح المقال - للمامقاني [ ١٣٥١ هـ ] .
- ١٧- تاريخ القرآن والمصاحب - للزنجاني - طبعة مصر سنة ١٣٥٤ هـ .
- ١٨- جامع الترمذي [ السنن ] - لأبي عيسى الترمذي [ ٢٧٩ هـ ] .
- ١٩- خلاصة تهذيب الكمال - للخزرجي [ ٩٢٢ هـ ] .

- ٢٠- ديوان ذى الرمة [ ١١٧ هـ ] .
- ٢١- ديوان الخطيئة [ ٢٧٥ هـ ] .
- ٢٢- الديباج المذهب - لابن فرحون [ ٧٩٩ هـ ] .
- ٢٣- الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم - لابن الوزير [ ٨٤٠ هـ ] .
- ٢٤- سنن أبى داود [ ٢٧٥ هـ ] .
- ٢٥- سنن النسائي [ ٢٠٣ هـ ] .
- ٢٦- سنن ابن ماجه [ ٢٧٣ هـ ] .
- ٢٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة - للألبانى .
- ٢٨- سلسلة الأحاديث الضعيفة - للألبانى .
- ٢٩- السنن الكبرى - للبيهقى [ ٤٥٨ هـ ] .
- ٣٠- شذرات الذهب - لابن العماد [ ١٠٨٩ هـ ] .
- ٣١- شجرة النور الزكية - لمخلوف . طبع السلفية بمصر .
- ٣٢- صحيح البخارى [ ٢٥٦ هـ ] .
- ٣٣- صحيح مسلم [ ٢٦١ هـ ] .
- ٣٤- طبقات ابن سعد [ ٢٣٠ هـ ] .
- ٣٥- طبقات الشافعية للسبكي [ ٧٧١ هـ ] .
- ٣٦- العبر - لابن خلدون [ ٨٠٦ هـ ] .
- ٣٧- عثمان بن عفان - محمد الصادق عرجون [ طبعة مصر ١٣٦٦ هـ ] .
- ٣٨- فتوح البلدان . للبلاذرى [ ٢٧٩ هـ ] .
- ٣٩- فتح البارى - لابن حجر العسقلانى [ ٨٥٢ هـ ] .
- ٤٠- فهرست ما رواه عن شيوخه ابن خير الأشبيلي [ ٥٧٥ هـ ] .
- ٤١- الفصل فى الملل والنحل - لابن حزم [ ٤٥٧ هـ ] .

- ٤٢ - كتاب الخراج للقاضي أبي يوسف [ ١٨٢ هـ ] .
- ٤٣ - كتاب الزهد - للإمام أحمد بن حنبل [ ٢٤١ هـ ] .
- ٤٤ - كتاب العزلة - للخطابي [ ٣٨٨ هـ ] .
- ٤٥ - الكفاية - للخطيب البغدادي [ ٤٦٣ هـ ] .
- ٤٦ - لسان العرب - لابن منظور [ ٧١١ هـ ] .
- ٤٧ - لسان الميزان لابن حجر العسقلاني [ ٨٥٢ هـ ] .
- ٤٨ - موطأ مالك [ ١٧٩ هـ ] .
- ٤٩ - منهاج السنة - لابن تيمية [ ٧٢٨ هـ ] .
- ٥٠ - مسند الإمام أحمد [ ٢٤١ هـ ] .
- ٥١ - الميسر والقдах - لابن قتيبة [ ٢٧٦ هـ ] .
- ٥٢ - المنتقى من أحاديث الأحكام - للمجد ابن تيمية [ ٦٥٢ هـ ] .
- ٥٣ - مشكاة المصابيح - بتحقيق الألباني .
- ٥٤ - المنتقى من منهاج الاعتدال - لابن تيمية - والذهبي اختصره [ ٧٤٨ هـ ] .
- ٥٥ - مجموع فتاوى ابن تيمية . جمع ابن قاسم - ٣٧ مجلدًا .
- ٥٦ - معجم البلدان - لياقوت [ ٦٢٦ هـ ] .
- ٥٧ - نسب قريش - للزبيرى [ ٢٣٦ هـ ] .
- ٥٨ - النهاية فى غريب الحديث - لابن الأثير [ ٦٠٦ هـ ] .
- ٥٩ - وفيات الأعيان - لابن خلكان [ ٦٨١ هـ ] .

## فهرس الكتاب

الصفحة

الموضوع

٥	..... مقدمة التحقيق
٧	..... عقيدة أهل السنة فى صحابة رسول الله ﷺ
١٢	..... فضيلة الصحابة رضيهم
١٤	..... فضيلة الصحابة وعدالتهم فى القرآن والسنة
١٧	..... الأحاديث فى فضل الصحابة وعدالتهم
٢٠	..... ترجمة المؤلف
٢٩	..... تقديم للشيخ محمود مهدي الاستنبولى حفظه الله
٣١	..... تصدير للعلامة محب الدين الخطيب رحمه الله

## العواصم من القواصم

## جزء فى : تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى ﷺ

٣٩	..... مقدمة المؤلف
----	--------------------

## قاصمة الظهر

٤٠	..... وفاة النبى ﷺ ووقعها فى نفوس الصحابة
٤٥	..... موقف جيش أسامة

## عاصمة

٤٦	..... تدارك الله الإسلام والأنام بأبى بكر
٤٦	..... رباطة جأش أبى بكر ، ووداعه النبى ، وخطبته فى المسجد
٤٧	..... موقفه فى سقينة بنى ساعدة

## خلافة الصديق واستخلاف عمر

٤٩	..... موقف الصديق من مانعى الزكاة
٥٠	..... تنظيمه للجيش ، واختياره القواد والعمال
٥١	..... حديث لا نورث ما تركنا صدقة
٥٣	..... حديث لا يدفن نبى إلا حيث يموت
٥٥	..... جعل عمر الأمر شورى فى اختيار الخليفة بعده
٥٥	..... خلافة عثمان ودعاة الفتنة
٥٧	..... سجايا عثمان ومكانته العالية فى الإسلام
٥٧	..... حديث « أن عمر شهيد ، وعثمان شهيد ، وله الجنة على بلوى تصيبه »

وصف إجمالى لدعاة الفتنة الذين قاموا على عثمان ..... ٥٩

### قاصمة

المظالم والمأكبر التى ادعوها على عثمان ..... ٦٣

### عاصمة

بيان بطلان هذه الدعاوى سنداً ومتناً ..... ٦٤

موقف عثمان من عبد الله بن مسعود ..... ٦٤

موقف عثمان من عمار بن ياسر ..... ٦٥

جمع القرآن حسنة عثمان العظمى وخصلته الكبرى ..... ٦٧

وقعة اليمامة واستماتة حملة القرآن من الصحابة علي مصحف عثمان ..... ٦٧

عبد الله بن مسعود ومصحفه ..... ٧١

ما أُوخذ به عثمان من حماية الحمى لابل الصدقة ..... ٧٢

أبو ذر ومسيره إلى الربذة ..... ٧٣

ما وقع بين أبى الدرداء ومعاوية ..... ٧٥

عثمان وأبو الدرداء . رد الحكم . تحقيق ابن تيمية وابن حزم وابن الوزير ..... ٧٦

عثمان واتمامه الصلاة فى منى ..... ٧٨

معاوية ومكانته فى خلافة أبى بكر وعثمان ..... ٨٢

تولية عثمان عبد الله بن عامر بن كريز ..... ٨٥

تولية عثمان الوليد بن عقبة ..... ٨٧

الولاية اجتهد وعلى ولئى أقاربه ..... ٨٨

عدالة مروان ، وزنه من كبار الأمة عند الصحابة وفقهاء المسلمين ..... ٩٠

سقوط كل ما استدلووا به على الوليد فى آية ( إن جاءكم فاسق بنبأ ) ..... ٩١

إقامة عمر الحد على صهره قدامة بن مظعون من رجال بدر ..... ٩٥

ما فعله عثمان والذين قبله فى خمس الخمس والاقطاع ..... ١٠٢

عثمان لم يضرب أحداً بالعصا ..... ١٠٤

علو عثمان على منبر رسول الله ﷺ ..... ١٠٤

تخلفه بالمدينة عن بدر لتريض زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ..... ١٠٥

لو لم يكن لعثمان من الشرف إلا بيعة الرضوان لكفاه ..... ١٠٦

تحقيق علمى عن الكتاب المنسوب لعثمان ..... ١١٠

الخارجين على عثمان حساد طلاب دنيا ..... ١١٢

تسيير عثمان مثيرى الفتنة إلى معاوية بالشام ..... ١١٨

قولهم لمعاوية : كم تكثر علينا بالأمره وبقريش ..... ١٢١

- انتقال مثيرى الفتنة إلى منطقة عبد الرحمن بن خالد ومعاملته لهم بالخزم ..... ١٢٤
- تظاهروهم بالتوبة ..... ١٢٤
- مسير فرق الثوار إلى المدينة ..... ١٢٦
- الثوار يناقشون عثمان ..... ١٢٦
- وقائع ومحاورات بين عثمان والبعثة عليه ..... ١٢٦
- فتوي ابن عمر لعثمان بألا يخلع نفسه لثلاث تتخذ عادة ..... ١٣١
- إشراف عثمان على الناس واستشهاده أيامهم بسوابقه ..... ١٣٢
- موقف عثمان من أمر الدفاع عنه أو الاستسلام للأقدار ..... ١٣٤
- عثمان فى ساعته الأخيرة ..... ١٣٤
- الحكم الفقهي فى موقف عثمان من الدفاع عنه أو الاستسلام للأقدار ..... ١٣٨
- الذين دافعوا عن عثمان فى الساعة الأخيرة خارج الدار ..... ١٤١

### خلافة على

- قولهم فى بيعة طلحة : يد شلاء ، وى طلحة والزبير بايعا مكرهين ..... ١٤٣
- موقف على من قتلة عثمان ..... ١٤٥

### قاصمة

- اجتماع أصحاب مكة وخروجهم إلى البصرة ..... ١٤٧
- خبر الحوآب ، وثبوت صحة الحديث ..... ١٤٨
- خروج على إلى الكوفة ، وما وقع فى العراق قبل وصوله ..... ١٤٩

### عاصمة

- مجنى أصحاب الجمل إلى البصرة لتأليف الكلمة ، وللتوصل بذلك إلى إقامة الحد على قتلة عثمان ..... ١٥١
- الاجتماع فى البصرة ..... ١٥٣
- كتابة الكتاب بين عثمان بن حنيف وأصحاب الجمل بالكف عن القتال ..... ١٥٣
- وصول على إلى البصرة ووقوع التفاهم بينه وبين أصحاب الجمل ..... ١٥٥
- تحقيق علمى لمسألة الحوآب ..... ١٦١

### قاصمة

- موقف على من قتلة عثمان ..... ١٦٢

### عاصمة

- حرب صفين ، ودعوى الفريقين ، وما اخترع فى ذلك من أكاذيب ..... ١٦٤
- حديث « ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين » ..... ١٦٩



## قاصمة التحكيم

- ١٧٢ ..... الصحيح فيها ما رواه الدار قطنى وخليفة بن خياط  
 ١٧٣ ..... العراقيون جاءوا بأبى موسى من عزلته لأنه كان ناصحاً بالدعوة إلى السلم  
 ١٧٤ ..... معاوية لم يكن يومئذ خليفة حتى يخلعه عمرو أو يشبهه

## عاصمة

- ١٧٨ ..... رواية الدار قطنى خبر التحكيم فضحت الأكاذيب المفتراة  
 ١٨٠ ..... نصيحة المؤلف للناس بالأدب مع الصحابة

## قاصمة

- ١٨١ ..... احتجاج الشيعة بحديث « خم » ودعاء « وال من والاه »  
 ١٨٢ ..... افتراء الشيعة على أبى بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وأهل الشام  
 ١٨٥ ..... الصحابة كلهم كفة عند الشيعة  
 ١٨٨ ..... تكفيرهم كل عاص بكبيرة  
 ١٨٨ ..... طعن الشيعة فى الصحابة

## عاصمة

- ١٩٠ ..... يكفيك من شر سماعه  
 ١٩٠ ..... مقارنة موقفهم من الصحابة بموقف النصارى واليهود من أصحاب موسى وعيسى

## قاصمة

- ٢٠٤ ..... بيعة الحسن وصلحه مع معاوية  
 ٢٠٩ ..... مزايا معاوية وسيرته الممتازة  
 ٢١٤ ..... تحقيق علمي : هل العنينة معناها ضعف الحديث  
 ٢١٩ ..... انعقاد البيعة لمعاوية على الوجه الذى وعد به رسول الله  
 ٢١٩ ..... كلام العلماء فى إمامة المفضول مع وجود الفاضل  
 ٢٢٠ ..... حجر بن عدى والأسباب التى حملت معاوية على قتله  
 ٢٢١ ..... خير الناس بعده عليه السلام أبو بكر ثم عثمان ثم على ثم معاوية خال المؤمنين  
 ٢٢٢ ..... فساد ما تقول الشيعة فى وفاة الحسن  
 ٢٢٢ ..... أهلية يزيد للولاية  
 نقد أخبار ملفقة على وهب بن جرير فى تمهيد معاوية لولاية يزيد تحذير ونصيحة من المؤلف للمسلمين من الدخول فى دماء الصحابة وأعراضهم بسوء  
 ٢٢٤ ..... الليث بن سعد يسمى يزيد أمير المؤمنين  
 ٢٣٦ ..... ضراعات كبار الصحابة والمفكرين للحسين بلزوم رجوعه  
 ٢٤٢ ..... حزن يزيد لاستشهاد الحسين ومعاملته لأهل بيته  
 ٢٤٥

- ٢٤٦ ..... طعن آل البيت بالشيعه.
- ٢٤٧ ..... هل يزيد مسؤول عن مقتل الحسين.

## نكتة

- ٢٥٤ ..... النبي ﷺ أول من عقد الولاية لبنى أمية.
- ٢٥٥ ..... استلحاق معاوية لزياد.
- ٢٥٦ ..... ما روى من اعتراف أبي سفيان لعلى بن أبي طالب بأبوته لزياد.

## نكتة

- ٢٦٢ ..... للولايات والعزلات معاون وحقائق لا يعرفها كثير من الناس.
- ٢٦٢ ..... تسمية الذين شهدوا بأبوة أبي سفيان لزياد.

## قاصصة

- ٢٦٤ ..... كانت الجاهلية مبنية على العصبية ، وافتراق المسلمين بعد وفاة النبي
- ٢٦٤ ..... ظهور الأحزاب البكرية والعمرية والعلوية والعباسية.

## عاصمة

- ٢٦٦ ..... تحذير المسلمين من أهواء المفسرين والمؤرخين الجهلة منهم وكذا أهل الآداب.
- ٢٦٨ ..... ابن قتيبة برىء من كتاب « الأمامة والسياسة »
- ٢٦٨ ..... تشيع المسعودى ، وميل المبرد للخوارج.
- ٢٧٢ ..... تحقيقات علمية هامة من كتاب شرح العقيدة الطحاوية.
- ٢٧٢ ..... وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.

## ملاحق

- ٢٧٩ ..... الفاطميين ليسوا بخلفاء لأنهم مجوس وأكثرهم زنا.
- ٢٨١ ..... بحث موجز للشيخ محب الدين الخطيب فى شأن الصحابة.
- ٢٨٤ ..... كتاب نهج البلاغة ليس كله لعلى بن أبي طالب ، وأبحاث هامة منه.
- ٢٨٦ ..... تفصيل فى تصحيح حديث الحواب.
- ٢٨٩ ..... المراجع.
- ٢٩٢ ..... فهرس الموضوعات.